ما حدث للبنان نتيجة لما جرى في مصر

ما من أحد أخبرته أنني أجريت مقابلة مع محمد حسنين هيكل حتى سألني: ماذا قال هيكل؟ هل هو كثير التشاؤم حول الأوضاع القائمة؟ هل حدد بعض الأمل؟ يهمنا كثيراً ما يقوله هيكل!

هذا هو محمد حسنين هيكل، الذي عندما يقول شيئاً يصغي الكثيرون إلى ما يقوله. صديق الرئيس جمال عبد الناصر، صاحب التفكير الاستراتيجي الذي قالت صحيفة «التايمز» اللندنية أن كتابه «خريف الغضب» باع مليوناً ونصف مليون نسخة. في كل مرة أقابله. أتمنى لو أنني أملك أسئلة أكثر وأكثر لكي أطرحها عليه. فهذا الإنسان صاحب الذاكرة العميقة، ذو رؤيا مستقبلية واضحة وشاملة. مع هيكل لا تتم مقابلة اللحظة ـ الحدث، فاللقاء معه حدث بحد ذاته.

● مجلة الصياد اللبنانية ـ ١٩٨٤/٤/٢٥ ـ هدى الحسيني

● **«الصياد»: ذكرت مرة أن القوى الكبرى عندما تعطي أحداً فهي في حقيقة الأمر تستثمر سياسياً واستراتيجياً. فما الذي يستثمره الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط، وما الذي كانت تعتقد الولايات المتحدة أنها ستستثمره في لبنان، ثم اكتشفت خطأ حساباتها؟**

■ محمد حسنين هيكل: في سؤالك خطأ نقع به كلنا وهو التجزئة. فعندما تأخذين موضوعاً معيناً تنظرين إلى جزئياته، بينما الدول العظمى لا تفكر بهذه الطريقة.

لكل دولة في العالم ثلاثة مستويات في العمل هي: الاستراتيجية العليا، والاستراتيجية فقط، ثم التكتيك. أي وسائل تنفيذ الاستراتيجية العادية والاستراتيجية العليا. في المناقشة الاستراتيجية لا يوجد لبنان، لأنه في هذا هو نقطة، ولا توجد سوريا لأن سوريا أيضاً على الخريطة مربع.

عندما تتكلمين عن القوتين العظميين، فإنك في الواقع تتكلمين عن وضع لم يسبق له مثيل في التاريخ. لأن الدول العظمى تناقش الأمور بينها بمقياس القوى، فهي تتكلم عن الأرض وسط الفضاء، وإلى أي مكان تستطيع الوصول، كما تتكلم هذه القوى عن أمنها ومصالحها المتشابكة، وقدرتها على الردع والدفاع عن أمنها قدرة فائقة.

سأعطيك مثلاً: أنا شخصياً سمعت غروميكو يقول، وكنا نرجوهم أن يصوروا لنا ما يجري في سيناء أثناء الاحتلال الاسرائيلي: «نحن بالأقمار الصناعية نستطيع أن نصور ثعباناً يتلوى فوق أرض الصحراء».

وأخبرك أمراً آخر: أنا أعلم، أن الأمريكيين عندما عرفوا عن مرض ليونيد

بريجنيف لأول مرة، كان ذلك من حديث يجري في سيارة تسير في أحد شوارع موسكو ومتجهة إلى الكرملين، وفيها اثنان من زعماء السوفيات. وقتها لأول مرة عرف العالم خبراً عن مرض بريجنيف.

أحب أن أقول لك، إنك تستطيعين تطبيق كل المعايير على القوتين العظميين. يكفي أن تتصوري أن كل قوة من هذه القوى تملك قوة ردع تكفي لتدمير العالم، ليس مرة أو مرتين، بل خمس وست مرات. إنك تتكلمين عن قوى مصالحها ضخمة جداً، وأمنها متشابك ووسائلها في سياستها الأمنية مختلفة جداً عن المقاييس التي في تصورنا، لذلك اخرجي من النظرة التقليدية.

أول ما بدأت قلت أن روسيا تستثمر وأمريكا أيضاً. الاتحاد السوفياتي لا يستثمر في المنطقة، إنما وبسبب ظروف معينة صارت سوريا آخر موطىء قدم موجود للاتحاد السوفياتي في منطقة لا يستطيع أن يخرج منها. والمنطقة هي الشرق الأوسط، الهلال الخصيب منطقة مصر، البحر الأحمر، البحر الأبيض، المحيط الهندي والمحيط الأطلسي.

المشكلة التي نقع فيها كلنا هو خطر النظرة الجزئية في عالم لم يعد يعترف بكل النظرات الجزئية.

كان الكلام عبر نظرة جزئية ممكناً يوم كانت خطوط الحدود بين الدول، هي الأسلاك الشائكة وكان لها معنى. الآن لا معنى لها. وكل شيء مستباح. إذن نعود للتحديد. ما هو الموجود في سوريا، وماذا الأمريكا في لبنان؟

بالنسبة إلى الاتحاد السوفياتي، منطقة الشرق الأوسط مهمة لأسباب كثيرة جداً.

أولاً: إنها قريبة جغرافيا منه.
ثانياً: إنها منطقة تمركز العدو الأساسي أو القوى الأخرى المنافسة له.
ثالثاً: إنها منطقة ثروات ومواصلات، والأهم أنها تدخل في نطاق أمنه.

عندما كان العالم كله يتكلم عن صواريخ «الكروز» و«البيرشنغ»، الأمر الغريب أن العالم العربي لم تشده هذه القضية، قالت اسرائيل فوراً: «نحن لا

نملك «البيرشنغ» ولا «الكروز». لأنه ببساطة عندما تتصورين أن صواريخ «الكروز» منصوبة في صقلية، فهذا يعني أنها موجودة في مناطق تهدد الاتحاد السوفياتي، وبالتالي فإن الاتحاد السوفياتي سيضرب هذه الدائرة التي تدخل فيها كل منطقة الشرق الأوسط. مع الأسف اسرائيل كانت الدولة الوحيدة المتنبهة والتي نعطت الاتحاد السوفياتي مقدماً الضمان، بينما كنا نحن وما زلنا منشغلين بقوة الانتشار السريع. ونبقى دائماً بعيدين. لنأخذ مثلاً ما حدث في قناة السويس، حيث عبرت حاملة الطائرات البريطانية «انفنسيبل» في زيارة إلى الاسكندرية. هذه الحاملة وصلت بعد ذلك إلى أوستراليا، فرفضوا هناك إدخالها لأن عليها أسلحة نووية، أقول هذا لأصل إلى أننا لسنا متنبهين بما فيه الكفاية لما يجري في العالم. لا نزال نتعامل بالمنطق القبلي، نحلم ونتصور تركيب الألعاب الصغيرة بينما الدنيا انتقلت نقلة كاملة.

نعود ثانية إلى موضوع «البيرشنغ» واسرائيل التي تكاد تكون مستعمرة اميركية، كانت الوحيدة في المنطقة التي ردت على الرسالة، لأنه هناك حوار صامت في العالم. تحدث تصرفات، لا أحد يدري بها، إنما على الدول أن تدركها. نحن لا يبدو أننا مدركون أي شيء، أبداً، بينما اسرائيل من خلال ادراكها أدت إشارة للاتحاد السوفياتي بأنها لا تنوي أن تضع قواعد لصواريخ نووية على أراضيها.

إذن، ما هو الاستثمار السوفياتي في المنطقة؟

لنأخذ ما حدث. لقد خرج الاتحاد السوفياتي من مصر ومن السودان عمق مصر، وخرج من الصومال (القرن الافريقي) وبقي له بشكل أو بآخر وجود في أثيوبيا إنما غير كاف. ثم انحسرت الثورة الفلسطينية التي كان الاتحاد السوفياتي يعتمد عليها باعتبارها قنبلة قابلة للتفجير في كل البلاد العربية. هو بشكل أو بآخر كان موجوداً في مناطق كثيرة في المنطقة، لكن هذا الوجود تقلص وبقي عنده وجود في سوريا وهو غير واثق منه، لهذا فهو يلعب لعبة يبدو فيها أحياناً عنصر مجازفة، ويبدو فيها أحياناً عنصر حذر، لأنه غير واثق من الأرضية.

الاتحاد السوفياتي، بعد الذي حصل من تطورات بالنسبة لمعايير القوة، وموازين القوى الحقيقية، مضطر، وقد انسحب من قلب الشرق الأوسط، أن يقف

على الحافة، ويتمسك جيداً، ولو أدى الأمر إلى أن يستعمل السلاح، من هنا وجوده في أفغانستان. وخصوصاً بعد الثورة الايرانية، فقد كانت علاقته مع الشاه محددة. وكانت معاهدة ١٩٠٦ معروفة، إذا تدخل طرف في جنوب ايران يتدخل الاتحاد السوفياتي في الشمال. الآن بصرف النظر عن المعاهدة، جاء نظام آخر، هو يريد التفاهم معه، لكنه حتى الآن لم يجد طريقة لهذا التفاهم.

إذن، للاتحاد السوفياتي مواقع صلبة، ومواقع أخرى يتحرك فيها، وأكثر موقع أمامي موجود عنده في المنطقة هو ما تستطيع سوريا أن تفعله. وفي أي حال، نسقت سوريا أوراقها التكتيكية في إطار هذه اللعبة، ولغاية الآن الأمر معقول.

نأتي إلى لبنان، أمريكا لا تقامر على لبنان بحد ذاته، لأن الموضوع ليس موضوع لبنان، إنما يتصل أيضاً بالمواجهة الأمريكية ـ السوفياتية. لا أعني أن كل تحرك يصب في إطار هذه المواجهة، لكن ماذا في لبنان؟ كانت سوريا، وكان الفلسطينيون، وكان الأمريكيون في صدد عملية تهدئة المنطقة كلها بصفة عامة، ما تستثمره أمريكا في لبنان هو التالي:

أولاً: المطلوب ازاحة بقية مواقع الأقدام الموجودة للاتحاد السوفياتي، أو ضرب الوضع في سوريا.

ثانياً: وهذا المهم تصفية بقية المقاومة الفلسطينية والتمهيد لاتفاق أمريكي يكون شاملاً.

إذن، هذا ما تريده أمريكا في لبنان، فهي لا تريد لبنان هادئاً كي تذهب إلى الكازينو، أو تصيف في بحمدون وعاليه. إنك تتكلمين عن لعبة كبرى جداً، ولعبة شطرنج، وبالتالي عندما ترغبين في الكلام بما لدولة كبرى في دولة معينة، فيجب أن تكون نظرتك شاملة. من أكبر مشاكل العالم العربي. إن النظرة الجزئية تشغل كل تفكيره. هناك غياب للرؤية الشاملة، ربما ما كان يميز جمال عبد الناصر، وقد يزعل الآخرون، هو أن النظرة عنده كانت شاملة والصورة العالمية كانت موجودة.

هناك أمر حدث ونحن غير قادرين على فهمه. لنأخذ التطورات الحاصلة عندنا. كانت هذه المنطقة باستمرار تلعب في إطار لعبة ثنائية: مصر على علاقة

ثنائية مع انكلترا في طلب الاستقلال: سوريا ولبنان على علاقة ثنائية مع فرنسا، السعودية على علاقة ثنائية مع انكلترا في الأول، وتعودنا على هذه الألعاب، ثم، كان الذي نتكلم معه فقط هو المعتمد أو المسؤول البريطاني أو الفرنسيّ. فصارت عندنا أحادية في التفكير، وصرنا نتكلم في طلبات محدودة وفي قضايا محدودة أيضاً. ما لم نستطع إدراكه أن الحرب العالمية الثانية غيرت هذا الوضع في أساسه. كسرت كل الحواجز في العالم، وكسرت كل احتكار القوة، وفي الوقت نفسه منعت استعمالها، ولم يعد ممكناً وقوع حرب. ولا تصدقي كل من يقول لك أن الحرب النووية على الطريق. وبالتالي أنت أمام عدة أمور:

أولاً: شئت أم لم تشائي أنت موجودة في العالم ومتأثرة بما يجري فيه.

ثانياً: لا سيطرة لأحد على هذا العالم سيطرة مطلقة ولا ضابطاً لايقاعاته كلها.

ثالثاً: شئنا أو لم نشأ العالم كله يعمل على أساس أنه في عالم واحد، ونحن ما نزال نشتغل على أساس أننا فيه عدة قبائل.

إذن، لا تقولي لبنان وسوريا يا ستي...

● **«الصياد»: لنتكلم عن النظرة الشاملة، فما الذي تخططه أمريكا للعالم العربي ولما وراءه من المحيط الأطلسي حتى المحيط الهندي، وكما تسميها أنت منطقة نطاق العمل الاسرائيلي السياسي والعسكري؟**

■ محمد حسنين هيكل: افصلي بين الاثنين. تعالي نتكلم أولاً، ما الذي تريده أمريكا؟ أمريكا لم تخف نواياها. فمن مزايا التغييرات التي حصلت في العالم، أن الكل صار يحكي بصراحة، ولا أحد يخفي نواياه، لكن نحن لا نقرأ، وإذا قرأنا لا نفهم، وإذا فهمنا لا نصدق، وإذا صدقنا نخاف مما صدقناه ونهرب منه (...).

أمريكا، تقول طلبها بوضوح، وهذا ما يجري، وهو أن تكون المنطقة هذه تحت أو في إطار النفوذ الأمريكي. وهذا باختصار مطلب طبيعي ومطلب منطقي جداً.

أنا ضد أن ندخل مكارم الأخلاق في موازين القوى. لأن القضيتين مختلفتان، كما أنني لا ألوم أمريكا. إن تقول أمريكا أنها تريد منطقة الشرق الأوسط منطقة نفوذ

لها، هذا من حقها كدولة عظمى، لكن من واجبي أنا، كقوى محلية أو كقوى اقليمية، أن أقاوم هذا المخطط ولا أتضايق. مصلحة أمريكا تقتضيها أن تمنع نمو هذه المنطقة بطريقة مستقلة لسبب واحد، هو رغبتها في مواصلة أخذ ما هي في صدد أخذه.

أنا لا أمل من القول، ولا أعلم في التاريخ الانساني كله، مثيلاً لما يجري عندنا.

تعالي نأخذ أمثلة بسيطة جداً. عصر النهب الامبراطوري. هناك امبراطوريات نهبت ولم تستطع، وامبراطوريات نهبت ثم استطاعت. اسبانيا نموذج عن التي نهبت ولم تستطع. وصلت لأمريكا اللاتينية. نهبت ولم تستطع. وصلت لأمريكا اللاتينية، نهبت كل الذهب، لكنها أخذته في مرحلة لم يكن البخار قد استعمل، فراح الذهب كله على الكنائس والقصور. جنب الارامخوز هناك قصر بنته إحدى ملكات اسبانيا للرجل الذي تحبه، كل ما فيه من ذهب. السرير والكرسي والطاولة. وهذا ما نسميه العصر الذهبي لاسبانيا. لكن لم يتحول هذا الذهب إلى إنتاج وبقي ذهباً. ولو رغبت اسبانيا يوماً أن تصفي الذهب الذي في الكنائس والمتاحف والقصور لاكتشفت ثروة!

انكلترا من الدول التي نهبت واستطاعت. انكلترا نهبت الهند بالمعنى الحرفي لكلمة نهب. وليحاول أحد، أن يقوم بإحصاء عدد المراكب التي غادرت كالكوتا متجهة إلى انكلترا ـ منذ أول ما جاءت «شركة الهند الشرقية» إلى منطقة البنغال ـ ويرى ما كانت تحمل. كانت تحمل كل شيء حتى الفصوص الثمينة الموجودة على تاج محل. أخذت كل شيء. بعد النهب جاء الاستغلال.

الثروات كلها وصلت انكلترا حيث تصادف عصر البخار، فعملت انكلترا نهضة صناعية وبنت الأساطيل وصارت امبراطورية تهز العالم.

الآن، لو أخذنا تاريخ الامبراطوريات كلها، لو أخذنا الأمويين والعباسيين والامبراطورية المسيحية الجديدة، والاسبانية والبريطانية، أنا أدعي أن العالم العربي فيه ثروات أكثر من كل هذه الامبراطوريات مجتمعة..

انكلترا، نستطيع القول أنها بنت مجتمعاً صناعياً، فيها دولة عدالة، حتى ولو على حساب الآخرين. اسبانيا إذا ما احتاجت يوماً إلى الذهب فهو موجود. نحن العرب جاءنا أكثر من كل هذا مجتمعاً، ولم يبق منه شيء. هناك شبكات طرق، ومستشفيات ومدارس تم بناؤها بالضرورات الطبيعية لاسكات الناس، لكن أين ذهبت الثروات التي تصنع امبراطوريات وقوى عظمى؟ لا أثر لها...

عندما تسألين ما الذي تريد أمريكا؟ هي تريد أن تستمر بما تعمله الآن. ثم هي تريد:

أولاً ـ مناطق نفوذ.

ثانياً ـ أن تواصل الحصول على ثروات المنطقة على النحو القائم.

ثالثاً ـ أن تمنع الاتحاد السوفياتي من الدخول في هذه المنطقة.

رابعاً ـ أن تطوع هذه المنطقة لمعركتها هي مع الاتحاد السوفياتي.

ولم تخف أمريكا هذا. ولا ينبغي أن نغضب منه. لكن ممكن أن نقول لا، نحن طرف، ونتدخل لافشال هذه المخططات من دون أن ندخل في حرب مع أمريكا. إنما نحاول تفشيل المخطط، نحاول أن نقف ونمنع تنفيذه كي لا يكون التنفيذ على حسابنا. ويبقى واضحاً جداً ما تريده أمريكا.

● **«الصياد»: لكن هذه الثروات ستنتهي في أحد الأيام.**

■ محمد حسنين هيكل: هذه هي المصيبة. فكل الثروات انتهت، النهب الامبراطوري انتهى، لكن المجتمعات الحية كانت قادرة في فترة التدفق أن تحول المال السائل أو الذهب السائل إلى ثروات منتجة أو تحول الأرصدة إلى اقتصاد. وليس أموالاً احصائية. في العالم العربي أموال احصائية لكنها لا تعني شيئاً. الذي يعني شيئاً هو أن تكون هناك طاقة انتاج.

لنأخذ على سبيل المثال المبيعات الأمريكية. أقول بأن العالم العربي يشتري سنوياً بحوالي مئة مليار دولار. ثم هذا العالم العربي لا يعرف من يحارب بهذه الأسلحة. قولي لي من؟ حددي لي من هو العدو؟ إذا كنا ما بين «كامب ديفيد»،

ومقررات فاس، وخطة ريغان، لسنا محاربين اسرائيل، فشراء أسلحة بمئة مليار دولار لماذا؟

عندما كانت اسرائيل هي العدو، مصر التي كانت تحمل كل العبء اشترت طوال العشرين سنة مواجهة مع اسرائيل، من ١٩٥٥ إلى ١٩٧٥ ما قيمته ٢ مليار دولار من الأسلحة، دفعت منها ٥٠٠ مليون دولار، أي الربع، ولم تدفع الباقي.

أخبريني لماذا نشتري كل هذه الأسلحة؟ مع العلم أن هذه الأسلحة الحديثة الآن والمعقدة، ستصبح عتيقة ومهجورة بعد ثلاث أو أربع سنوات. إنما أمريكا تريد أن تبيع. ولماذا يهمها جداً أن تبيع للدول العربية؟ لأن مبيعاتها في الخارج تصرف على أبحاثها في الداخل. نحن نمول أبحاث الفضاء الأمريكية، نحن نمول أبحاث الصواريخ الأمريكية، نحن نمول عمليات غزو الفضاء الأمريكي. يبيعوننا الفائض لديهم من الأسلحة، وندفع الثمن، ولا نستعملها، وأمريكا لا تخاف منها. لكن الفلوس العربية تذهب إلى أمريكا كي تمول عملية استمرار التقدم. هذا هو مخطط أميركا، وهذا ما تريده.

● **«الصياد»: عندما تنتهي الثروات، وينتهي ثراء العرب منها، له سينتهي الدور الأمريكي؟**

■ محمد حسنين هيكل: تستمر السيطرة وذلك لمواجهة الاتحاد السوفياتي. ثم لا تنسي أن في هذه المنطقة إلى جانب الثروات والنفط هناك بشر. خذي بلداً مثل مصر، عدد سكانها الآن خمسين مليوناً، وسيصبح ٧٧ مليوناً قبل نهاية هذا القرن. إذن هناك بشر سيصحون ذات يوم. لكن بانتظار ذلك، الحرب ستستمر، وستستمر أيضاً الرغبة في السيطرة. أخذت أمريكا النفط، لم أعد أملكه. إنما عندي قوة بشرية كبيرة، قد تتحرك في هذا الاتجاه أو في الاتجاه الآخر، المسألة مهمة.

● **«الصياد»: الهند بالنسبة إلى بريطانيا فيها بشر، ولكن انظر إلى وضع بريطانيا ووضع البشر والفقر في الهند بعد خروج بريطانيا، ولا أحد يسأل...**

■ محمد حسنين هيكل: ما تقولينه عن الهند ليس صحيحاً. فعندما تنظرين إلى

بلد في مرحلة النمو ومرحلة التحول، لا يجب أن توقفيها عند لحظة معينة، وتقولين أنها هكذا، انكلترا منذ ٢٠٠ سنة تختلف عما هي اليوم. أما الهند فصحيح أنها دولة متخلفة، لكنها صنعت القنبلة الذرية. لقد وصلت إلى الطاقة الذرية، فيها صناعات ثقيلة. ثم الهند واحدة من البلدان القليلة التي كانت نسبة التضخم فيها صفراً في السنة الماضية. إذن هناك بلد في حالة التحرك. للأسف الشديد الهند تسير اليوم في نفس الطريق الذي كنا نسير عليه. نحن توقفنا وهم يكملون الطريق. وعلى الأقل أنهم يسيرون على سياسة الاعتماد على الذات في التصنيع. في أحد الأيام، كنا والهند نشتغل على مشروع طائرة ومحرك الطائرة، وبدأنا العمل. استعنا بتقنيين المان، ودخلنا في مشروع واحد، بعدما اتفقنا أن كل فريق يصنع جزءاً. لكن عدنا نحن وانسحبنا. الهند اليوم تملك رخصة، فهي تصنع «الميغ ـ ٢١» و«الميغ ـ ٢٥»...

أنا أعتبر الهند من النماذج المعقولة في العالم الثالث التي تسير بطريقة معقولة. قد تكون عندها ظروف ثانية، إنما تبقى دولة لا بد وأن نهتم بها. إنها دولة مهمة ومؤثرة حيث هي، ولها سياسة واضحة ومحددة.

● **«الصياد»: لماذا سمح للهند بصنع القنبلة النووية ولم يسمح لأي دولة عربية بذلك؟**

■ محمد حسنين هيكل: وأضيف أن كل المحاولات العربية تم ضربها. السبب واضح. الهند ليست على طريق أي مواصلات، ثم الهند بلد واحد يضم ٧٠٠ مليون نسمة، أي أنها عبء كبير على أي دولة أخرى، ولا دولة ترغب أيضاً في أخذ الهند. ثم أنها لا تملك ثروات لتأخذها الدول الأخرى. والدولة التي ستأتي ستصرف عليها. ما كان عندها تم نزعه من زمان، وما بقي هو الناس بمشاكلهم، التي يحاولون حلها تحت قيادة نهرو عندما كان، وبتوجيه غاندي ثم بزعامة انديرا غاندي. لكن الهند لا تعترض طريق أحد. أما هنا في المنطقة، فلا عملاق ولا شيء. إنما شظايا مقسمة، لكنها على شبكة مواصلات كبيرة، وفيها ثروات ضخمة، ويوجد فيها أناس ـ ما شاء الله ـ مستعدون أن يتطوعوا ولأسباب مختلفة جداً، كي يتعاونوا مع أي أحد ضد أي أحد..

في سنوات ١٩٥٨ و١٩٥٩ و١٩٦٠، زمن عبد الناصر عندما حاولنا أن نركز على الصواريخ والطيران والتكنولوجيا النووية، لم يكن الهدف صنع قنبلة فقط، كانت المسألة أن نعيش في العصر. كان عبد الناصر يحفظ أسماء كل واحد من الشباب الذي يبشر بأمل. وعندما كان مدير مشروع الطاقة النووية الهندية الدكتور بهابها يأتي إلى مصر، لم يكن جمال عبد الناصر يتركه لمدير الطاقة الذرية عندنا، بل كان يجلس معه ساعات طويلة، لأنه كان يرغب في الدخول إلى عصر بكامله.

وعندما قرر أن يعمل صواريخ، كان جزء كبير من العالم العربي ينظر باستخفاف إلى مصر كونها تعمل الصواريخ. وليكن أننا صنعنا الصاروخ وفشل على الأقل فشلنا في أمر واحد هو التوجيه. أول تجربة توجيه لم تكن سليمة. وكل الناس واجهت مشكلة التوجيه.

بعد الحرب العالمية الثانية تسابق العالم كله على العلماء الألمان، وفون براون مخترع صواريخ «في وان»و«في ـ تو» أخذه الأميركيون. نحن أتينا بالدكتور بنز وهو متخصص بالصواريخ.

والنموذج الأساسي للظافر والقاهر. كان هو تقريباً نفس نموذج الـ «في ـ تو» الألماني. كانت عندنا مشكلة التوجيه وحاولنا حلها. لكنهم هددوه. ضربوا سكرتيرته ونسفوا سيارتها، ومارسوا عليه ضغوطاً لا تحتمل. بعد ذلك سافر إلى الصين وهو الذي نفذ صاروخ الصين فيما بعد (. . . .) من الذي هدده؟ الاسرائيليون. . .

الحرب ضد العلماء الألمان في مصر كانت من أكبر المعارك التي خاضتها «الموساد»، وصدرت كتب حولها تعرضنا لكل هذا، لسبب بسيط جداً وهو وجودنا في منطقة مهمة جداً.

كنا نتكلم قبل دقائق عن أمريكا. لكن يجب أن نتكلم عن الدور المتميز لاسرائيل. لأن هناك مشكلة ثانية مضافة إلى مطامع القوى الكبرى هنا، وهي حالة خاصة غير متكررة في العالم إلا في جنوب افريقيا، وتبقى عندنا مختلفة، وهي حالة

إسرائيل، وهذا أيضاً وضع معقد يضاف إلى تعقيدات سابقة بسبب الوضع العالمي.

لذلك، ليست فقط الدول الكبرى هي التي تحاول أن توقف هذه المنطقة عن التصنيع النووي، إنما هناك كيان آخر خاصة يتعاون مع إحدى القوتين الكبريين في مرحلة من الطريق، ولا يتعاون في مرحلة أخرى. إنما يجب أن نعمل حساباته التي هي أيضاً معقدة. جزء منها يشمله ما ينطبق على أمريكا، وجزء منها له خصوصيته الذاتية.

● **«الصياد»: يعني هذا ما يعترض تقدم العالم العربي؟**

■ محمد حسنين هيكل: أكثر ما يعترض تقدم العالم العربي هو العقلية القبلية. مثلاً نحن نرفض أن نتحول من قبائل إلى شعوب، ومن شعوب إلى أمم، ومن أمم متخلفة إلى أمم متقدمة.

بالدرجة الأولى، ليس هناك مبرر لضعف أي كان إلا انهزامه في الداخل. لأنه من الممكن أن تقاومك كل قوى الأرض، إنما الأمر يتوقف عليك إذا كنت ستقعين وتسلمين إرادتك.

أنا كنت أقول دائماً أننا عام ١٩٦٧ لم نهزم ولما جاء عبد الناصر وأسماها نكسة، أنا كنت بالفعل اعتبرها نكسة، ولا بد أن يكون هناك حساب للمسؤولين عنها، ولا بد أن تطير رقاب. لكن أنا لا أعتبرها هزيمة، لأن الهزيمة في النهاية هي احتلال الارادة وليست احتلال الأرض، جزء من أرضك احتل، هذا ليس بقضية طالما أنك تواصلين المعركة.

عندما جاء هتلر واحتل كل أوروبا. لم يقل أحد أن أوروبا هزمت. صحيح أن دولاً استسلمت، إنما ظلت أوروبا تقاوم إلى جانب بقية المعسكر الغربي أو العالم الأطلسي أو الحلفاء. وأذكرك بكلمة قالها شارل ديغول: «أنا أخذت سيف فرنسا مكسوراً، لكنني أمسكت بمقبضه وفي جيبي نما له نصل». القضية قضية انهزام الارادة، وانهزام الارادة ليس بالضعف فقط، يمكن أن يحدث بسبب الطمع، أو بسبب الجهل، أو بالانبهار الأعمى من قوة الآخرين، لكن المطلوب منك أن

تقدري قوة الآخرين وأن تخوضي معارك محسوبة، وأن تكون لك استراتيجية مقابل استراتيجيات، لكن ليس مطلوباً منك الخوف أو التفكير بالمنطق القبلي.

● **«الصياد»: قلت أن أمريكا مهتمة بهذه المنطقة لثرواتها؟**

■ محمد حسنين هيكل: لمعلوماتك أنها مهتمة بثروات كل دول العالم الثالث. التقارير التي صدرت هذه السنة عن الـ «أي. أم. أف» والبنك الدولي، ذكرت شيئاً غريباً جداً. قالت أن الدول النامية ودول العالم الثالث ستدفع بالفوائد وأقساط الديون مبلغ ١٣ مليار دولار أكثر مما ستأخذ. اذن حتى ما يبدو أنه معونة تحول أيضاً إلى وسيلة أخرى للنهب.

● **«الصياد»: نعود إلى أمريكا، انسحابها من لبنان، هل يسمى هزيمة «صغيرة»، يعني بالرغم من النظرة الشاملة التي تنصحني بها، إلا أن الكل أجمع على أن أمريكا انهزمت، والكل متفق أن المنطقة لها، فكيف تفسر الأمر؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لا أسميها هزيمة، بل أسميها تراجعاً وخطأ، وعلى الأقل هم اعترفوا به. أين توجد الولايات المتحدة في منطقتنا؟ لنترك مناطق النفط، لأنه خارج هذه المناطق الوجود الأمريكي هو وجود بحري. والساعة التي تنزل فيها أمريكا على الشواطىء المأهولة بالبشر فإنها ترتكب خطأ. لكن طالما هي في الأسطول السادس وموجودة في البحر فهي في أمان. لأن أحداً لا يطالها. لكن ساعة تنزل وتصبح لحماً ودماً وتذرف نقطة دماء، كما قلت تكون قد ارتكبت غلطة. في لبنان نزلوا، ونزلت منهم براميل دماء، لكنهم لم يكابروا فانسحبوا بسرعة.

الذي حصل، عملية غبية، ومنيوا بهزيمة معنوية، وكان عليهم أن لا يقترفوا هذا الخطأ لكن هذا لا يعني أنهم انسحبوا من المنطقة أو من لبنان. كل الذي حصل، أن واحداً وضع رجله في مكان غلط، وجد فيه وحلاً، وشعر أنه سيغرق، فسحب نفسه وابتعد.

● **«الصياد»: ولماذا نزلوا في غرانادا وكانوا يقولون سوفيات وكوبيين...**

■ محمد حسنين هيكل: لا... لا... لا... غرانادا قضية ثانية. درسنا في

المدرسة خطوط العرض والطول. وهي خطوط افتراضية ذات قيمة. وبالنسبة للقوى في العالم هناك خطوط حدود غير مرئية، إنما يعرفها كل واحد. يجب أن تعرفي وبشكل مباشر أن أحداً لا يستطيع أن يتدخل في أمريكا اللاتينية بعد أحد معين. ولا تأخذي كوبا كقاعدة. كوبا كانت ضرورة في مرحلة، وهي الاستثناء الذي يثبت القاعدة. لكن كل نصف الكرة الغربي الذي فيه أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية هو منطقة حيوية بالنسبة لأمريكا، والاتحاد السوفياتي يحترم هذا الأمر. يستطيع أن يلعب هناك لعبات محدودة، لكن عند اللزوم يتوقف عنده حده.

لقد تلدخلت أمريكا في «سان دومينغو» وكادت أن تتدخل في كوبا لو لم يتراجع الاتحاد السوفياتي، وتدخلت في السلفادور، وفي كل المناطق التي كانت غرانادا آخرها.

أنا لا أعتقد أنه كانت هناك خطة لغزو غرانادا أبداً. كانت مسألة ضرورات لأن ضربة «المارينز» في بيروت كانت كبيرة جداً على ريغان. وبالتالي يجب أن يتحرك ويرد. اسرائيل ضربت مناطق في البقاع، والفرنسيون قاموا باستعراض قوة. لكن أمريكا من تضرب وأين في لبنان؟ كان على ريغان أن يضرب في أي اتجاه وبالتالي ذهبت غرانادا ضحية من ضحايا بيروت: ولسبب واحد هو استعادة بعض مظاهر القوة من أجل هيبة أمريكا. لذلك لم يستشر حلفاءه الذين فوجئوا. وتأثرت علاقته ببريطانيا. لم يقصد أن يهمل الحلفاء، إنما وقته كان ضيقاً. تقررت عملية غرانادا في ٢٤ ساعة لأنه كان لا بد لأمريكا من القيام بعملية تحفظ لها ماء الوجه.

هنا توجد مسألة مهمة جداً، وهي كيف تستفيد القوى الكبرى من أخطائها بلا كبرياء. يعني، الأمريكيون في بيروت نزلوا في الوحل، جاءت ضربة «المارينز»، كان ممكناً لأمريكا أن تحتل بيروت، لا بل أن تحتل كل لبنان. لكنها كانت ستدخل في مستنقع أوسع. لذلك ضرب ريغان في مكان آخر.

● **«الصياد»: إذا كان نزولها خطأ، فماذا يمكن أن نسمي الاتفاقية بين لبنان واسرائيل التي تعهدتها أمريكا؟**

■ محمد حسنين هيكل: هذا يجرك إلى ما كنت أقوله لك...

أمريكا تدرك جيداً أنها في هذه المنطقة هي دولة بحر، لأنها تستطيع أن تؤثر براً عن طريق أطراف معها. لا يمكن التأثير براً إلا بالوساطة. وعندما جاءت اسرائيل وقالت: «أنا لا أستطيع، عندي خسائر بشرية، وعندي حسابات ولن أتعدى هذا الخط فتفضلوا وتصرفوا أنتم» . . أصبحت سوريا هي دولة البر الوحيدة التي يمكن أن تتصرف. وبالتالي عادة أميركا إلى ممارسة دورها البحري بصرف النظر عن التعهدات التي قطعتها.

والمعروف أن الاتحاد السوفياتي جاء وساعد دولة البر في هذه المنطقة، وأعاد لها بناء قواعد الصواريخ، ودخل ليحافظ على مواقعه، وصارت هناك دولة بر قادرة على أن تتصرف، دولة بر محلية، دولة البحر، القوى العظمى، عادت ثانية إلى البحر وليس عندها طرف محلي فهي تحاول أن تمد الصلات مع سوريا.

● **«الصياد»: ماذا يعني ذلك؟**

■ محمد حسنين هيكل: من دون أن تفكري وتحسبي، لا بد أن تقدري أن هناك اتصالات أمريكية سورية جارية.

هناك مظاهر للأشياء عندما تحدث أمامك يجب أن تدركي أن وراءها أسباباً أخرى.

انسحبت أمريكا إلى البحر، وهي كان باستطاعتها النزول، لكن، لو فعل لشعر ريغان أنه يعزز خسائره. العالم المتقدم يعزز نجاحاته وينسحب من خسائره. أمريكا أدركت مع الخطوة الغلط إنها ستقع في شرك لا تقدر عليه، وهو مخالف لطبائعها. عليك أن تعرفي أن سياسة أي دولة تبنى على طبيعة ما تستطيع أن تفعله. جغرافياً لا تستطيع أمريكا أن تنزل على الشاطىء اللبناني، وإذا نزلت فإن حسين موسوي يطالها، ويطالها وليد جنبلاط، وكذلك نبيه بري. . ولا يمكن لقوة عظمى أن تقبل لنفسها هذه المتاهات. فانسحبت. هي كانت تعتمد على قوة بر محلية تنفذ لها ما تريد، قوة البر هي اسرائيل التي عند حد معين قالت لا. وذلك لطلب مزايا أكثر أو لقطع الخسائر لأن لإسرائيل أيضاً مشاكلها فهي دخلت في المحظور الذي

ظلت طوال عمرها تتجنب الدخول فيه، وهو الاقتراب من الكثافة السكانية العربية. تسرح عندنا في سيناء، وتمرح في الجولان، لكنها لا تتورط بالدخول في الكثافة السكانية، هي الأخرى انسحبت وتوقفت عند خط نهر الأولي.

● «الصياد»: كان هناك اتفاق استراتيجي بين أمريكا واسرائيل، وأنت ذكرت مرة أن اسرائيل هي شرطي أمريكا في المنطقة.

■ محمد حسنين هيكل: فعلاً هي هكذا...

● **«الصياد»: بعد هذا الرفض هل ما زالت الشرطي؟**

■ محمد حسنين هيكل: ما زالت، لأن الشرطي عند الحاجة يرفض سماع أمر الضابط، لأنه يكون قد رأى كميناً.

وما تتكلمين عنه هو شرطي المنطقة، وليس علاقات شخصية، بل مصالح بين دول.

تأتي اسرائيل وتقول: كلفة هذا الشيء نسبتها عالية ولا أستطيع تحملها. وتقول: أنا دخلت وحاربت، وضربت. أنتم لم تستغلوا الموقف بل سمحتم للجميع بالخروج بسلام. أنا لا أستطيع التدخل ثانية. هذا ما يمكن أن تقول اسرائيل لأمريكا.

بمعنى أن هذا الشرطي ليس انساناً آلياً، بل له مصالحه أيضاً التي في قسم منها قد تتناقض والمصالح الأمريكية. ولو أن حجمه أصغر من حجم السيد الكبير، لكن له طلبات تتعلق بأمنه، يعني أنه مستعد أن يقوم بدور لحماية أمنه ومصالحه، لكنه ليس مستعداً للانتحار. نعم اسرائيل هي الشرطي الأمريكي في المنطقة وقد عمد هذا بوضوح أمامنا، لكن الشرطي ليس أداة. إنه طرف محلي له أهدافه ومطالبه التي لا تتوافق كلها مع أهداف ومطالب الطرف الرئيسي الذي يشغله. هنا يبدو جزء من التناقض أو على الأقل يظهر الحذر. ولا أحد يتصور الطاعة المطلقة من أحد.

لكن نحن، حتى منطقنا في هذا غريب. ساعات نقول لأمريكا: اطلبي من اسرائيل أن تفعل كذا وكذا... هناك أمور تقدر أمريكا أن تفرضها على اسرائيل،

وأمور لا تستطيع بسببها أن تتدخل لأن المصالح الاسرائيلية لا تسمح بذلك!

● **«الصياد»: يعني، ما زال الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي ـ الاسرائيلي قائماً؟**

■ محمد حسنين هيكل: طبعاً لا يزال قائماً ويسير بشكل جيد.

● **«الصياد»: لماذا لا تستطيع أي دولة عربية أن تؤدي لأمريكا في المنطقة ما تؤديه اسرائيل، ثم ما هي الدول العربية التي ترحب بالمشاركة في قوة التدخل السريع؟**

■ محمد حسنين هيكل: السبب الأول إذا كان المطلب الأمريكي هو إخضاع العالم العربي، فكيف تتطوع دولة عربية، على افتراض أنها تملك القدرة، على أن تنفذ هذا الدور؟ أنه دور عملياً مستحيل، السبب الثاني أنه لا توجد دولة عربية واحدة تملك القدرة التكنولوجية، والقدرة العلمية والعسكرية كي تمارس دور إخضاع. لا تقدر بحكم الانتماء، إذ كيف يمكن أن تطلبي من أخ أن يتولى مسؤولية اخضاعك، ثم على افتراض أن هناك من هو مستعد، فإن القدرة على تنفيذ ذلك لا بد وأنها تنقصه!

● **«الصياد»: وبماذا تفسر حماسة بعض الدول العربية للمشاركة في قوة التدخل السريع الأمريكية؟**

■ محمد حسنين هيكل: في واقع الأمر قوة التدخل هذه ليست أمريكية. لنسأل من هي قوات التدخل الموجودة؟ هناك فرقتان في الأردن، وهذا أمر معروف، كذلك هناك فرقتان من باكستان في منطقة الشرق الأوسط وهذه الفرق ليست سوى قوة ردع لحماية أوضاع قائمة.

أمريكا لا ترسل قوات من عندها، ترسل سلاحا فقط. الاتحاد السوفياتي يرسل قوات ردع.

● **«الصياد»: لكن أمريكا تنادي بقوة التدخل السريع لمواجهة الاتحاد السوفياتي؟**

■ محمد حسنين هيكل: هذا ليس صحيحاً. إنه كلام فارغ. أسألك هل ستقف الفرقتان الأردنيتان بوجه الاتحاد السوفياتي، أم الفرقتان الباكستانيتان؟ ابعدي عن ذهنك هذه المسألة. لا توجد حرب بين القوتين الكبريين. هناك سباق على التسلح، والحرب موجودة عن طريق هذا السباق. لأن كل طرف من الطرفين يتصور أنه أغنى، وأنه قادر على جر الثاني في سباق التسلح حتى يجعله يفلس من الداخل.

ما الذي يحصل هذه الأيام إذا نظرنا، يجب أن ننظر بوضوح. أنا أقول ببساطة: أولاً أن الحرب النووية مستحيلة. واضح كلامي؟

ثانياً: أن أي حرب تقليدية تشترك فيها القوتان الكبريان، لا بد أن تنقلب في مرحلة من مراحلها إلى حرب نووية. إذن هي مستحيلة. وبالتالي لن يقوم اشتباك بين الطرفين اطلاقاً.

● **«الصياد»: هناك تسابق ليس فقط في السلاح إنما أيضاً في «قضم» المناطق؟**

■ محمد حسنين هيكل: هذا موضوع آخر. لنكمل الموضوع الأول. كيف تسير الحرب الآن؟ الحرب العالمية الثالثة قائمة فعلاً، لكن من خلال سباق على سلاح لن يستعمل. إذن لماذا يصنع هذا السلاح؟ اقتصاد الاتحاد السوفياتي يشكل تقريباً ٦٥٪ من اقتصاد أمريكا. أمريكا تقول عبر سياستها أن النظام الاجتماعي في الاتحاد السوفياتي يقف وراء حكومة مضى عليها ستون عاماً. الاتحاد السوفياتي يقف وراء حكومة مضى عليها ستون عاماً. الاتحاد السوفياتي راصد (أ) للتنمية و(ب) للأمن. تقول أمريكا أنها تريد أن تقلل من ميزانية التنمية وتجعله يرفع ميزانية الأمن، كي يضيق الشعب السوفياتي، فيضج ويثور ويسقط هذا النظام الاجتماعي لهذا، ادخل معه في سباق وأرغمه على مجاراته وألا تفوق عليه. وهكذا أرغمه على أن ينقل من حصة التنمية إلى الأمن، فتتحول أولوياته إلى السلاح، وتقل

خدماته في دولة الرفاهية والوعود الاشتراكية والشيوعية. وبالتالي يسقط النظام لأنه لم يستطع أن يحقق أهدافه.

هذه هي الحرب الدائرة هناك زعماء كثيرون في أوروبا تنبهوا لها، وتنبهوا أيضاً أن أمريكا تريد أن تخرب الاتحاد السوفياتي، لكن في الطريق ستخرب الدول العربية.

إذن، من خلال سباق التسلح تستمر الحرب العالمية الثالثة ويستمر انتاج أسلحة لا تستخدمها الأطراف التي تنتجها، لأنها غير قابلة للاستخدام، إنها تستعمل في هدف ما تحدثنا عنه، ويبقى الصراع الموجود بين القوتين العظميين حول النفوذ والسيطرة على الموارد الطبيعية وعلى خطوط المواصلات.

في النهاية وباختصار لا حرب بين الطرفين، إنما صراع، ومع هذا يطمح الاتحاد السوفياتي لأن يصل بأي شكل مع أمريكا إلى وقف التسابق في السلاح. لكن أمريكا لا تعطيه هذه الفرصة.

● **«الصياد»: الآن ماذا بعد عودة أمريكا إلى قوة بحرية في المنطقة؟**

■ محمد حسنين هيكل: قوة بحرية لا بد وأن تعتمد على مرتكزات برية، وقوة البر الأساسية التي تعتمد عليها أمريكا هي اسرائيل. أما الباقي فلعب تكتيكي مثلاً تجميد مصر في «كامب دايفيد».

في بعض المرات تملكين قوة لكنك لا تستطيعين استعمالها، فإن تجميدها يكون أمراً جيداً. والغاء تأثير مصر، وخروج مصر من المعادلة العربية يعني أن أمريكا حققت إنجازاً ضخماً جداً في العالم العربي.

تأتي سوريا، التي تمارس معها أمريكا العاباً تكتيكية. إنما السؤال هو ما إذا كان واضحاً في تفكير سوريا ماذا تريد أن تفعل؟ أنا خائف من أن تكون سوريا لا تعرف ما هي الخطوة المقبلة؟

يعني ألغي الاتفاق جيد. انسحب الأمريكيون جيد. لكن كيف يمكن لسوريا أن تجمع باتفاقها كل الأطراف اللبنانية المتصارعة وإلى أي مدى؟ مشكلة الدور

السوري في لبنان أنه محكوم بموازين دقيقة جداً (. . .) ثم هل وجود السوريين قابل للمقايضة بمرتفعات الجولان أم لا؟

أنا أعتقد أنه غير قابل. لأنه لا يمكن لسوريا أن تسترد الجولان إلّا بمعركة عسكرية والظروف في المنطقة كلها غير ملائمة لمعركة عسكرية ضد اسرائيل.

لغاية الآن، تلعب سوريا على المستوى التكتيكي لعبة ذكية وتتصرف بحذر شديد. إنما، ماذا بعد؟

هل تملك سوريا تصوراً أين هي في المنطقة التي حولها؟

وهل بعد التصور، عندها خطة للمنطقة؟ وهل تقدر؟

يعني يمكن لكل واحد أن يعجب بالتكتيك السوري، إنما يجب أن نسأل ماذا بعد؟

يمكن أن تعجبك أي لعبة تكتيكية، لكن السؤال هو هل يمكن أن تصل هذه اللعبة إلى أن تحقق ثمرة سياسية قابلة للبقاء، ومؤهلة لأن تضيف إلى رصيدك أم لا؟

● **«الصياد»: ضمن المعطيات الموجودة هل يمكن لسوريا أن تحقق ثمرة اللعبة التكتيكية؟**

■ محمد حسنين هيكل: سوريا أثبتت أمراً واحداً، وهو أنه فيما يختص بهذا الوضع في هذه اللحظة من الزمن لا يستطيع أحد تجاهلها. إذن يجب الحوار معها. ماذا ستقول، وماذا ستعمل، فلننتظر. .

● **«الصياد»: وهل يمكن للاتحاد السوفياتي أن يدخل في اللعبة التكتيكية أكثر؟**

■ محمد حسنين هيكل: الاتحاد السوفياتي لا يتدخل في ألعاب يعلم أنها يمكن أن تؤثر جداً في موازين أعلى، لأن كل لعبة محلية، تصل في لحظة معينة، وتضرب بميزان أعلى. وكل الناس يريدون عازلاً بين الميزان الأعلى وبين ما يجري محلياً.

أنا لا أعترف بهاتين الكلمتين، إنهما من الألفاظ العربية التي تمسكنا بها، وكأننا في عالم الكلمة الذي يغني عن الفعل.

القضية ليست قضية تشاؤم أو تفاؤل باختصار أقول أن هذا الوضع لا يدعوني كي أطمئن إلى المستقبل. هذا ليس تشاؤماً. أنا أحاول أن ألقي نظرة حقيقية، أو على الأقل نظرة واقعية أو نظرة موضوعية، أو نظرة علمية لما أراه أمامي وأحاول أن أقول: هذه هي الظروف..

● **«الصياد»: ما هو القائم في العالم العربي كله؟ في قضية لبنان، في القضية الفلسطينية، في الحرب العراقية ـ الايرانية في قضية الخليج والمضيق؟**

■ محمد حسنين هيكل: مع الأسف، العالم العربي عالم قبلي. قبائل متنازعة مع بعضها البعض، تصفي ثأرات وحسابات غير واعية لما يجري في العالم، وترفض أن تستيقظ. والمسألة المهمة جداً والخطيرة هي أنني لا أرى نقطة بادية لأي أمل إلا إذا ارتسمت هنا في القاهرة، لسبب واحد، فهنا أكبر شعب من شعوب الأمة العربية القادر على التحريك، لأنه بسبب ظروفه وموقعه وطاقاته ونوعية البشر، يقوم دائماً بدور المحرك، يعني أنه محرك كل الأمة العربية. والذي نجح فيه الأمريكيون وغيرهم، هو أنهم فصلوا المحرك عن العربة ووضعوا الأول في مكان ليأكله الصدأ، ووضعوا العربة في مكان آخر تعشش فيها خيوط العنكبوت. في رأيي يبدأ الأمل في العالم العربي يوم تجد مصر نفسها، وأن تجد نفسها داخل عالمها وليس خارجه.

● **«الصياد»: وعن أي طريق ستجد مصر نفسها؟**

■ محمد حسنين هيكل: التاريخ مثل الإنسان، يتم العلاج فيه من خلال أمرين: إما بالأدوية والعقاقير أو بالجراحة. الجراحة في السياسة هي الثورة. والطب والتمريض محاولات إصلاح. لغاية الآن أنا أمل بأن تجد مصر دورها بواسطة «الطبيب» حسني مبارك «الدكتور» حسني مبارك. لكن إذا لم يستطع، تصبح الحاجة إلى جراح أكثر من ضرورية.

● «الصياد»: كطبيب ماذا يجب أن يفعل؟

■ محمد حسنين هيكل: الطبيب هو إخصائي، فليس كل واحد طبيب. وليس كل من يعتقد أنه يفهم في الطب بقادر على معالجة الناس. بل يجب أن يكون مؤهلاً. الرئيس موجود في هذا المكان، على رأس الدولة المصرية، إذن فهو في وضع طبيب ولا بد أن يكون عنده تشخيص. هو يحاول. وأنا أشهد له، وأقول أنه استطاع خفض حرارة المريض، فهو عندما جاء كانت درجة حرارة المريض ٤١ وحالته فظيعة جداً. وبعد أن هدأت الحمى، عليه أن يعرف الأمراض الحقيقية. فهناك أمراض اقتصادية واجتماعية. لكن الخطير جداً في اعتقادي وما أنا خائف منه، هو فقدان الحس التاريخي لدور مصر. هذا هو الأمر الخطير، لأنه لا يوجد دور في الدنيا يأتي لمجرد الكلام عنه. ولا أن تقحمي نفسك بمشاكل لا دخل لك بها لمجرد أنك تبحثين عن دور.. ولا يمكن أن تؤثري إلا بما هو مؤثر فعلاً...

أنا أتصور أن أمام الرئيس مبارك مهام مهمة جداً، صحيح أن آلام المريض صارت محتملة، لكن هناك قضية فقدان هوية، وليس كافياً القول أنك عربية. فكل ادعاء لكي يتحول إلى إلزام يحتاج إلى التزام. هذه مشكلة. أيضاً، عندما أنظر إلى أين يتجه العالم وحركته، وأرى حجم القوة التي تواجهنا، أكون واحداً من الذين لا يرون أي أمل في تنمية مصر، ولا أمل في تنمية سوريا، أو أي دولة عربية أخرى. هناك أمل في تنمية المنطقة كلها كمنطقة،وليس هناك أي أمل لدولة عربية واحدة في صنع أو امتلاك السلاح النووي. العراق قام بمجهود، لكن المفاعل النووي ضربته اسرائيل.

أنا فاكر زمان، سنة ١٩٧٦ أثناء مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في الرباط، كتبت رسالة مفتوحة قلت فيها: «أننا خضنا حرب أكتوبر بالأسلحة التقليدية، لكن الحرب المقبلة قد تكون نووية، إذا نحن واصلنا المعركة، بمعنى أن اسرائيل بالكثافة السكانية القليلة أمام الحجم السكاني العربي». وقلت «في حرب أكتوبر أثبتنا أننا قادرون على استعمال الأسلحة التقليدية بطريقة معقولة، لذلك ما سنواجهه في المرة المقبلة، على أقل تقدير، هو الابتزاز النووي». واقترحت خطة،

وهي «أن ننشىء صناعة ذرية، وليس مجرد بناء مفاعل، لأن إلى جانبه هناك على الأقل ما بين ٣٠ و٤٠ صناعة نووية كبرى. وهذا كله يمكن أن ينتشر في مناطق كثيرة من العالم العربي. لكن لا يمكن التنمية إلا بمشروع عربي واحدٍ، ولا يمكن صنع قوة نووية إلا موحدين. الهند لو لم تكن ٧٠٠ مليون لما استطاعت، والصين أيضاً لو لم تكن ألف مليون ما استطاعت.

اسرائيل استطاعت ليس لأنها اسرائيل بل لأن ادوارد تيللر قدم لها هدية.

تيللر، كنا نشتمه، لكن عندما ذهب تيللر الذي صنع القنبلة الهيدروجينية وأقام في اسرائيل في التخيون على أربعة مواسم، في كل موسم ستة أشهر، يعني سنتين في اسرائيل، لم نسأل ماذا يفعل تيللر في التخيون؟

نعرف كلنا أن اسرائيل تملك قنابل ذرية، وهذا ليس سراً. ونعرف أن القنابل هذه مفكوكة، وساعة صدور القرار السياسي يصبح لاسرائيل قنابل مجمعة في مدة لا تزيد عن ثلاثة أيام. وأنا ماذا أملك؟».

عندما كتبت هذه الرسالة المفتوحة كتبت الصحف العربية تقول أنني أخيف العرب. وأحد الرؤساء العرب المشاركين في المؤتمر قال عندما قرأ الرسالة: أمضى هيكل خمس سنوات يخيفنا بالفانتوم، والآن جاء ليخيفنا بالقنبلة الذرية..

تعرفين، نحن باستمرار نخوض معارك الحرب الماضية.

● **«الصياد»: كنت تحدثني عن ضرورة عودة الاتحاد السوفياتي، فهل ما زلت مقتنعاً بأنه لا يمكن أن تتم أية تسوية في الشرق الأوسط إلا باشتراك القوتين الكبريين معاً؟**

■ محمد حسنين هيكل: لا يمكن تسوية أية مشكلة حادة في العالم، وليس فقط في الشرق الأوسط. إلا بتواجد القوتين الأعظم، وكل النظام العالمي القائم، قائم على التنافس والتوازن بين قوتين غير قادرتين على تحقيق السلم حتى هذه اللحظة، إنما لن تشعلا حرباً إطلاقاً. أما عن الشرق الأوسط فلا يمكن تسوية هذه المشكلة، إذا كان هناك من حل، إلا بوجود واشتراك الدولتين العظميين.

● **«الصياد»: كنت تتكلم عن مصر، وأن التغيير في العالم العربي يبدأ بتحرك من مصر، الآن ماذا تعني عودة مصر إلى منظمة الدول الاسلامية؟ ثانياً: هل يمكن لمصر أن تتحرك عربياً وتعود إلى العالم العربي مع «كامب دايفيد»؟**

■ محمد حسنين هيكل: لنبدأ بمنظمة العالم الإسلامي.. أنا سعيد جداً أننا عدنا. لكن لا أعتقد أن هذا يعتبر انتصاراً. لأنني أفكر باستمرار أن منظمة المؤتمر الإسلامي وجدت للدوران حول موقف مصر. باستمرار هناك رأي في هذه المنطقة يحاول أن يميع التميز القومي أو الخصوصية القومية مع الذين لا يتمتعون بأية خصوصية. تقولين العالم الاسلامي، أنا تربطني بهذا العالم روابط روحية ومعنوية وإنسانية وحضارية. لكن ببساطة الأمم تقيم مستقبلها على مخططات أمرين: مصالح مشتركة وأمن مشترك ولا يمكن غير ذلك. أنا لا أعرف كيف يمكن أن أحقق أمناً مشتركاً مع أندونيسيا، ولا أعرف كيف أصل أمنياً إلى الفيليبين. أساعدهم معنوياً ومادياً. لكن عندي قضية أمن تختلف تماماً عن قضيتهم الأمنية. هنا توجد خصوصية عربية. ثم أن منظمة العالم الإسلامي بدأت بعد ١٩٦٧ في محاولة لأن ترث دور مصر العربي وتمييع كل قضية التميز العربي، وفي الأصل، ترددت مصر كثيراً في الانضمام إلى المنظمة، ولما ذهب أنور السادات وحضر مؤتمر قمة مكان جمال عبد الناصر كانت التعليمات الموجهة له، وأنا أقول هذا لأول مرة، «تمييع المؤتمر». ماذا ستحقق منظمة العالم الإسلامي؟ لا شيء أبداً. ثم بالنسبة لعودة مصر، فإن مصر عادت إلى منظمة تعلم جيداً أنها وجدت بالتحديد لتحجيم العالم العربي وبالتحديد دور مصر فيه.

بيني وبينك، كنت أفضل بدل منظمة العالم الإسلامي، أن يلتقي ملوك ورؤساء الدول الإسلامية مرة كل سنة في الحج وهم بملابس الأحرام ويتكلموا ويتبادلوا الآراء ثم يذهب كل واحد إلى بلده.

لكن منظمة وسكرتارية و.. ليس بالأمر المفيد، لأنها منظمة اقليمية، ثم كأننا نقول للعالم أن يعلن منظمة للعالم المسيحي ومنظمة للعالم اليهودي. الأديان تملكها القلوب، لكن مسألة الأمن والمصالح تحتاج إلى تنظيمات فيها عنصر

تماسك، ومصالح أمنية وتنموية. والآن، فلنتكلم عن الجامعة العربية.

● **«الصياد»: أحب أن أذكرك فقط بأن أبو عمار وعد بإخراج مصر من «كامب دايفيد»؟**

■ محمد حسنين هيكل: اسمعي، أنا أحب أبو عمار كإنسان لكنني أظن أن مجيئه إلى مصر ليس كافياً لاخراجها من «كامب دايفيد»، ولا أعتقد أن هذا في مقدوره وأتصور أن أبو عمار قال هذه الكلمة في معرض الرد على النقد الذي واجهه بعد ما جاء إلى مصر. . فأبو عمار كان موجوداً في الجلسة التي أعلن فيها أنور السادات أنه ذاهب إلى القدس، ولم يستطع أن يمنعه، ولم يستطع أن يمنع مصر من الذهاب إلى القدس.

للثورة دور، وعليها أن تدرك حتى تكون استراتيجيتها سليمة أنها إلى جانب دول، وأن هذه الدول أكبر منها وأقوى، على الأقل في تنفيذ ما تريده. «إخراج مصر من كامب دايفيد» أنا أعتقد أنه ليس مرهوناً بأحد إلا بشعب مصر، من غير أن أقلل من قيمة أبو عمار، لأن ما قاله أبو عمار كان في غمرة دفاعه عن نفسه، إنما لا يستطيع أبو عمار إخراج مصر من «كامب دايفيد» ولو بعشرين زيارة.

في الواقع، بدأت «كامب دايفيد» تسقط. لقد ألغي على الورق اتفاق ١٧ أيار (مايو) بين لبنان واسرائيل، وعملياً في مصر، ألغيت «كامب دايفيد».

وأنا بأسف أتحدث عن الفرق بين هنا وهناك، فبينما في لبنان أطراف تتعاون فعلاً مع اسرائيل من غير ورق، هنا في مصر وبرغم الورق الموقع، لا أحد يريد أن يتعاون. . وبالعكس، أنا أتصور أنه بأثر رجعي، وبأسباب أخرى وحده السادات رآها، لم يكن عندي مانعاً مما حصل، لأنه حصل أو لم يحصل النتيجة واحدة. من أية ناحية؟

من ناحية أن الشعب المصري على الأقل، استبان وحده، وبدون جمال عبد الناصر، وبدون قيادته وبدون إلحاحه، وبدون دفعه، وأيضاً بدون قيادة النحاس باشا القديمة، وبدون الملك فاروق. . . استبان أن ليس لدى إسرائيل ما

تعطيه، وبالتالي، ليس هناك سلام بيننا وبين اسرائيل، كذلك فإن، اسرائيل غير راغبة في السلام.

لقد حصلت اسرائيل على أكبر جائزة كانت تحلم بها وهي الصلح مع أكبر دولة عربية. ومع ذلك ترفض أن تتخلى عن مرتفع أمني واحد، كيلو متر مربع في طابا ترفض التخلي عنه، كذلك ترفض التخلي عن ١٤ نقطة على الحدود، ولا نراها راضية بأن تدفع ثمناً للتطبيع مع أكبر دولة عربية، كذلك لا نراها تفرط بمجموعة تلال على الحدود. لا يوجد سلام. هذا مجتمع لا يستطيع أن يتحمل تبعات السلام!

● **«الصياد»: نعود إلى عودة مصر إلى الجامعة العربية، ما رأيك؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا أرحب... أتمنى أن تعود مصر، إنما بدور مصر، وهي تدرك ماذا تفعل، لكن إذا عادت لتأخذ كرسياً، حيث الكراسي مصفوفة، وكأن الجميع يجلس في مأتم، فأنا لا أريد لمصر هذه العودة.

أريد مصر العائدة إلى الجامعة العربية أن تعود إلى عمل عربي وليس إلى مقعد. المسألة مسألة فاعلية...

● **«الصياد»: نصل إلى الفلسطينيين، ما رأيك بالانقسامات الفلسطينية وما هو الدور الفعال المطلوب من المنظمة القيام به حالياً؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لا أحب أن أدخل نفسي في الخلافات الفلسطينية، إنما أقول أمراً واحداً وهو أن العالم العربي كله في أزمة، الأنظمة في أزمة ولا تختلف منظمة التحرير عن بقية الدول العربية فهي في الأزمة نفسها. وإذا كان مطلوباً من كل الأنظمة أن تقوم بمراجعات أساسية فمنظمة التحرير مطالبة أيضاً بهذا الأمر.

نحن أحياناً نقدس الأسماء وننسى ما هي منظمة التحرير؟ إنها تعبير عن الشعب الفلسطيني. هذه موجودة، الإرادة موجودة وكذلك المقاومة. المنظمة كيان صنع في مرحلة من المراحل، وإذا كان هذا الكيان قادراً على تجديد نفسه، فهذا أمر

جيد. أما إذا كان غير قادر، فإن الشعب الفلسطيني سيعاني عندئذ الكثير الكثير. . . أنا لا أقبل الأسماء، إنما أقول أن منظمة التحرير هي إحدى القوى التي كانت موجودة على الساحة في العشرين سنة الماضية وما ينطبق على الأزمة العربية العامة ينطبق عليها.

● **«الصياد»: يقول البعض أن بقاء الأردن والفلسطينيين كدول وليس كشعوب يعتمد على إنشاء اتحاد كونفيدرالي أردني ـ فلسطيني. ما رأيك؟**

■ محمد حسنين هيكل: إذا كنا نتكلم عن المعنى الحرفي للدول، فالأردن باق من غير الفلسطينيين، وإذا كنت تتكلمين عن شيء أكبر من هذا، فليس الأردن والفلسطينيون فقط، بل هناك كيانات أخرى كثيرة بحاجة إلى دراسة.

وإذا كنت تتكلمين عن الواقع فقط، فهناك ظروف الآن تفرض الأوضاع القائمة.

● **«الصياد»: وماذا عن الاتحاد الكونفيدرالي؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لا أعرف ماذا سيحل هذا الاتحاد. فالقضية أن فلسطين كلها تحت الاحتلال، اتحاد كونفيدرالي يعني اتفاق طرفين على عمل خطوات اتحادية مع بعض، ولو محدودة. وفي الواقع الراهن هناك طرف غير موجود إطلاقاً.

الفلسطينيون في الأردن هم تحت السيادة الأردنية، والأرض الفلسطينية موجودة تحت أمر آخر، فكيف؟

لكن إذا كنا نريد أن نتلاعب بالألفاظ فهذا ممكن، نبقى خمسين سنة.

اتحاد كونفيدرالي وطرف من الطرفين أرضه محتلة؟

● **«الصياد»: ولماذا اذن المحادثات؟**

■ محمد حسنين هيكل: وهل ترين أنها قد تصل إلى شيء؟ أمريكا تحاول القيام بمحاولات تهدئة في المنطقة. طبخت مشروعاً. هناك أطراف لا تستطيع أن

تتحدى أمريكا، فتتظاهر بأنها تفعل شيئاً وهي لا تفعل أي شيء. ولا نزال في مسرحية عبثية مثل «بانتظار غودو»، الناس «رايحة جاية»، إنما لا أحد يقف ويسأل نفسه هو ذاهب إلى أين؟ وماذا يريد؟

هناك هستيرية حركة في العالم العربي لكنها حركة لمجرد الحركة وكلنا نسير وراءها.

● **«الصياد»: قبل إجراء الحديث، قلت لي أن المسائل وصلت إلى القاع، فكيف تتصور هذا القاع وإلى أين سيقودنا؟**

■ محمد حسنين هيكل: الغريب أنك أنت اللبنانية تسألين هذا السؤال حيث المسائل وصلت إلى القاع. المتحاربون أو أطراف النزاع في لبنان ليسوا الدولة اللبنانية، إنما الطوائف، الدروز والشيعة وسكان قرى الجنوب من غير تنظيم، الكتائب والقوات اللبنانية حتى أن الغطاء الدولي رحل وصارت الصراعات والمعارك على مستوى القرية، وعلى مستوى الارتباط المحلي والعشائري والقبلي والطائفي. هنا وصلنا إلى القاع أم لا... لهذا أقول أن الأمريكيين وغيرهم استطاعوا التعامل مع البنى العليا في العالم العربي، لكن عندما انكشف قاع هذا العالم صعب عليهم التعامل معه. فخرج الجميع لأنك فعلاً وصلت إلى القاع، إلى العظم. أنا لم أكن أتمنى أن يصل العالم العربي يوماً إلى القاع.

● **«الصياد»: يعني لبنان فقط هو الذي وصل إلى القاع؟**

■ محمد حسنين هيكل: العالم العربي كله سيصل إليه. فهو أمام مشاكل غريبة جداً... سأعطيك نموذجاً. أنا في حالة ذهول من الموقف الذي يتخذه العالم العربي تجاه الحرب العراقية ـ الايرانية. أنا لا أناقش أسباب الحرب، قضية انتهى وقتها.. إننا أمام واقع يقول أن الدولة القومية في العراق مهددة.. لقد جاء وقت كنت فيه متحمساً للثورة الايرانية، لأنه كان هناك إنسان، واندفاعة وبشر. ثم جاءت الحرب. لكل حرب في الدنيا هدف، إنما أول مرة في التاريخ أجد أن مسؤولاً وضع هدفاً له وهو إسقاط حاكم معين، بالاسم وبالتحديد، ومع ذلك ليس

هذا هو الموضوع الذي يهمني. ما يخيفني جداً في هذه الحرب المستمرة هو التالي: تقول إيران أنها تريد دولة إسلامية يعني دولة شيعية. أتلفت وأجد أن الدولة القومية العربية انفك تماسكها وأجد البعض نزح إلى مكان آخر، والفريق الثاني انضم إلى دولة أخرى. أي ضم وسلخ. إذا حصل، قولي لي، من سيقف بوجه هذا الخطر الذي سيتمدد حتى البحر الأبيض؟ إذن سنعود إلى دول الطوائف. إني أنظر إلى العالم العربي ولا أعرف ماذا يفعل في هذه الحرب. إنه لا يفعل شيئاً. كما أني أرى دولاً عربية تساعد إيران. اسأل ما هو الهدف؟ بعض الدول العربية تقول: الحق على من بدأ الحرب. هذا لا يهمني، القضية قضية بلد يجب أن يكون هناك تصور، كل الناس في العالم يتحركون وفق تصور محدد. من هو الذي تكمن مصلحته في تفكيك الدولةالقومية في العراق؟ ثم ما هو تأثير تفكيك هذه الدولة على كل دول منطقة الهلال الخصيب، وما تأثير هذا على شبه الجزيرة العربية؟ ثم ما تأثيره على مصر؟ ومع ذلك العرب جالسون، يتعاطون مع هذه الحرب بدفع فلوس أو بيع السلاح. لكن إلى أين هم ذاهبون؟ لا أحد يطلب منهم أن يذهبوا ويحاربوا إلى جانب العراق، إنما، إنما لو استطعنا تحريك قوى قادرة على إيقاف هذه الحرب، وأتصور وجود قوى قادرة نكون قد حققنا الكثير. وفي هذا المجال ترينني أخشى من القول أنه عندما بدأت هذه الحرب كانت هناك أطراف عربية سعيدة بها. ولن أنسى أبداً قول أحد المسؤولين العرب لي في عاصمة عربية عندما بدأت الحرب: «وربما تموت الأفاعي من سموم العقارب» أي فليأكل الطرفان بعضهما بعضاً... وماذا بعد؟ انظري البلادة عندنا. انظري ما يحصل في الخليج، وما يحصل في بلدك لبنان، ثم لا يتحرك أحد...

● **«الصياد»: أحب أن نتكلم قليلاً عن الرئيس جمال عبد الناصر. لقد تحدثوا كثيراً عن علاقته بأمريكا، وكانت كل قصة تناقض الأخرى. أنت أشرت مرة إشارة عابرة إلى هذه العلاقة. فهل نستطيع أن نعرف بوضوح أكثر كيف كانت.**

■ محمد حسنين هيكل: أية علاقة؟ جمال عبد الناصر رجل في منطقة معينة، يرى ما حوله ويدرك ضرورة أن يتعامل مع قوتين. عنده علاقت بالاتحاد السوفياتي

وأخرى بالولايات المتحدة. طوال عمره، لم يرتبط جمال عبد الناصر بعلاقة أحدية مع أحد، حتى في حرب ١٩٦٧، وحتى وهو يعلم مدى التورط الأمريكي مع اسرائيل، كان داخلاً في اتصالات معها ويتكلم ويدرك ببساطة، أن أحداً غير قادر على مخاصمة قوة عظمى.

العالم الدولي لا يقوم على علاقات خصام التي قد تنفع في بيوتنا، ولكنها غير ممكنة على مستوى الأمم والشعوب.

بعد الثورة مباشرة جرى أول اتصال بيننا وبين الأمريكيين، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٢ وصرنا نتكلم معهم. جاؤوا وكلمونا بموضوع الدفاع المشترك، فقلنا لا ندخل في دفاع مشترك إلا عندما يخرج الانكليز. ولما خرجوا قلنا لا ندخل. قدموا مشروع ايزنهاور. وهكذا كان بيننا وبينهم علاقة صراع طبيعية، لأن الظرف الذي كان في المنطقة أدى إلى هذا، كنا ننسلخ عن الانكليز والفرنسيين الموجودين في المنطقة، وفي نفس الوقت كانت لنا علاقة مع الاتحاد السوفياتي، ونحاول أن نشد به لكي نؤمن توازناً استراتيجياً في المنطقة عبر تواجد شرعي.

● **«الصياد»: قال البعض أن أمريكا توسطت ما بين عبد الناصر واسرائيل.**

■ محمد حسنين هيكل: كلام.. مع الأسف الشديد، لقد قرأت كل الذي كتب، لكن لا يوجد أحد، قال مرة أنه سمع شيئاً، من جمال عبد الناصر. قالوا أموراً مختلفة. واحد قال أنه رأى الدكتور أحمد حسين في أمريكا وتكلم معه، وقال آخر أنه قابل الدكتور محمود فوزي.

يجب أن تضعي في ذهنك أمراً واضحاً جداً وهو أن جمال عبد الناصر رجل رأى مشكلة اسرائيل بالعين المجردة، وهو ضابط في فلسطين لكنه أدرك أن هذه المشكلة ليست في قوة اسرائيل وإنما في ضعف العرب. وبالتالي عندما استلم الحكم، كان همه في الدرجة الأولى إعادة بناء مصر، وثانياً توحيد العالم العربي. وأعطى لذلك أولوية على مواجهة اسرائيل. اسرائيل كانت ترى هذا كله، ولهذا شدته إلى معارك معها.

المرة الوحيدة التي ظهر لدى اسرائيل احتمالات نوايا صادقة، كانت في فترة

موسى شاريت. لقد تصور شاريت أن الانقسام داخل اليهود لا علاقة للعرب به. فالانقسام في الحركة الصهيونية موجود باستمرار. فهناك قسم قال: ممكن التفاهم مع العرب على حدود معينة نجلس داخلها. وقسم قال أن أرض اسرائيل من النهر إلى البحر.

موسى شاريت من مدرسة الذين تصوروا أن حدود ١٩٤٨ «حدود نجلس داخلها ونحاول التفاهم مع الذين حولنا». حاول أن يتوصل إلى اتفاق بهذا الشأن فوسط أناساً من الكويكرز. . وبين الذين كتبوا وتوسطوا لم يقل لي أحد وأنا شاهد على كل شيء، أن جمال عبد الناصر تكلم بهذا أو بذاك. لكنني أقدر على أن أقول أمراً واحداً، وهو أن جمال عبد الناصر من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٦ لم تكن إسرائيل الأولوية الأولى بالنسبة إليه، لأنه كما قلت لكن كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن القصة ليست قوة اسرائيل، إنما ضعف العرب بالدرجة الأولى هل تعرفين أنه بعد سنة ١٩٥٢ خفض جمال عبد الناصر خمسة ملايين جنيه من ميزانية الجيش، وكل الأموال المصادرة من أسرة محمد علي، على سبيل المثال، راحت كلها لبناء الوحدات المجمعة في الريف لأنه كان يتصور أن المسألة هي بأن اسرائيل عندها كيف قادر، ونحن عندنا كم غير قادر. فإذا حولنا الكم إلى كيف نكون قد فعلنا شيئاً مهماً.

هو كان قد رأى المعركة الحربية، ورجع بهدف محدد يقوده إلى أن القضية ليست قضية حرب في اللحظة الراهنة، بل قضية أن يعاد بناء الكم المصري ليصبح كيفاً مصرياً، وتبقى له قيمة كيفية، ثم يضاف إليه كم عربي وكيف عربي أيضاً.

وظلت اسرائيل بعيدة عن أولوياته حتى حرب السويس.

وأنا لا أقول هذا من باب الدفاع، أو لأقول أنه لم يتصل، لا بالعكس، فلو رأى عبد الناصر فرصة لما تردد. وأعطيك مثلاً، حتى أبرهن أنه في هذا الموضوع كان مرناً.

عندما عقد مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥ اتصلت اسرائيل بالدول الخمس التي اجتمعت في كولومبو لتحضير المؤتمر، فقالت هذه الدول أن اسرائيل دولة اسيوية

ويجب أن تدخل. عبد الناصر اتصل وقال: هذا مستحيل، إذا ذهبت اسرائيل للمؤتمر فأنا لن أدخل. فأرسل له سوكارنو ونهرو واونو يطلبون منه تحديد موقفه وأن يقول ماذا يريد. وتلاحظين أنه ذهب إلى مؤتمر باندونغ وقال: «نحن نقبل بقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة». وكان يعتقد، على أساس تعديل برنادوت، أن النقب تبقى منطقة عربية، وبهذا الشكل لا تبقى اسرائيل عازلاً برياً بين الدول العربية، بل يبقى هناك خط مفتوح، المغرب العربي كله متصل بالمشرق العربي، ومن ثم تقسيم الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧.

اذن، أعلن عبد الناصر موقفه، ولو قبلت اسرائيل لحصل شيء ما، وهذا لم يكن سراً كان موقفاً علنياً، لأنه عندما طلب منه سوكارنو ونهرو واونو أن يحدد موقفه قال: أنا ذاهب لأقول ما أريد. ذهب ووقف وقال: «أقبل قرار التقسيم للجمعية العامة سنة ١٩٤٧ بتعديل برنادوت». وهذا لم يكن سراً.

● **«الصياد»: لاحظنا أن كثيرين كتبوا مذكراتهم على أساس علاقتهم بعبد الناصر، فهل كان عنده الوقت الكافي ليصرفه في مناقشات مع أفراد حتى ولو كانوا مسؤولين؟**

■ محمد حسنين هيكل: سأقول لك شيئاً، كنت أتمنى لو أن أحداً من هؤلاء كتب وجمال عبد الناصر ما زال حياً. المشكلة أنني أقرأ وأفاجأ. لن أقول أسماء، إنما أخبرك أنني قرأت كتاباً كاملاً لأحدهم كتبه عن عبد الناصر، وأنا والله العظيم، أعلم يقيناً أن علاقته بعبد الناصر كانت عشر دقائق فقط(.....).

أتمنى أن يجرؤ أحد ويقول: «وقد نشرت هذا في حياة عبد الناصر» لكن.. تعرفين، عندنا النقل عن الأموات سهل.. كل زعيم في التاريخ روي عنه بعد مماته أكثر بكثير مما يمكن يكون هو قد قاله في حياته، لو كان جلس متفرغاً طوال عمره، أي لم يعمل أي شيء سوى الكلام مع هؤلاء... «مش معقولة»!

● **«الصياد»: لماذا حصل هذا مع عبد الناصر؟**

■ محمد حسنين هيكل: لأن التجارة كويسة... كل واحد يعطي نفسه المصداقية ويروي حكايات. لا أعتقد أن هناك شكاً في أنني كنت أعرف عبد الناصر، وكانت

العلاقة موجودة وهو موجود. لم تنتحل بعد رحيله. وأعتقد أنني رأيته أكثر مما رآه أي إنسان آخر. ومع ذلك أقرأ أموراً غريبة عنه. في وقائع أنا حضرتها ورأيتها بعيني، فجاءت في كتب المذكرات صوراً متناقضة، ويسأل بعدها القارىء: الله... من هو جمال عبد الناصر هذا؟

هذا هو الخلط... وليس عبد الناصر كما قلت وحده الذي تعرض لهذا كله، كل واحد في التاريخ من الأنبياء حتى القادة. هل تعرفين قصص جحا؟ ربما كان هناك رجلاً اسمه جحا، لكن كمية ما نسب إليه جعلته غير واقعي، جعلته حكايات. نحن في العالم العربي «شطار قوي» بالحكايات فنحن أصحاب ألف ليلة وليلة وعنترة ابن شداد... يعني أننا قصاصون جيدون. لكن المشكلة التي نعاني منها أنه في السياسة كتاب قصة، وفي القصة ساعات نحاول أن نعمل سياسة!

● **«الصياد»: ما هي أصعب لحظة مر بها الرئيس جمال عبد الناصر، ومتى شعر أنه مضطر لاتخاذ أصعب قرار؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا أعتقد أن أسوأ وأصعب يوم في حياة جمال عبد الناصر كان مساء يوم ٦ حزيران (يونيو). كان ذلك أصعب يوم لأنه دخل معركة ٦ حزيران (يونيو) على حسابات معينة، وهي أن الخطة «قاهر» موجودة. وأنه إذا لم يكن في استطاعة القوات المسلحة أن تتقدم، فهي في كل الأحوال قادرة على تنفيذ الخطة «قاهر» وهي التمسك بخط الحدود المصرية كخط أول، أو خط المضائق كخط ثان ولم يكن عنده أدنى شك بذلك. أيضاً، كان يعتقد أن المعركة الدفاعية هذه ستستمر وقتاً كافياً جداً لغاية ما تتحرك موازين عالمية كثيرة ـ وفي كل الأحوال لم يكن يتصور أن خط المضائق طبقاً للخطة «قاهر» يمكن اختراقه. وبالتالي، يوم ٥ حزيران (يونيو)، في الليل شعر بضربة الطيران ثم عرف أثرها، إنما بقي عنده أمل بأن القوات البرية، حتى بدون غطاء جوي، تستطيع إكمال معركتها الدفاعية طبقاً للخطة رغم أن الظروف صارت صعبة. لكن على باب يوم ٦ حزيران (يونيو) في الليل عرف أن أمراً بالانسحاب من سيناء قد خرج من القيادة ـ هو كان يشعر أن وجوده في القيادة يمكن أن يربك القادة العسكريين، ويمكن أن يشجع أطرافاً

سياسية على التواجد هناك، ففضل أن يعود ويتابع التحركات السياسية ويترك القادة العسكريين لأنه تصور أن الخطة قائمة ـ إذن، يوم الثلاثاء ٦ حزيران (يونيو) عند الظهر الطيران ضرب، ثم الخطة «قاهر» لم تنفذ، وفي الليل صدر أمر انسحاب عام من سيناء، رأى عندئذ حجم الكارثة، وأنا أعتقد أن هذا كان أصعب يوم في حياته.

● **«الصياد»: وما كان أصعب قرار اضطر لاتخاذه؟**

■ محمد حسنين هيكل: كل قرار بالنسبة إليه كان صعباً. أصعب قرار؟ بعد عام ١٩٦٧ كان هو متعهد قضية الجيش، وإعادة بناء القوات المسلحة. وكان يعتبر إزالة آثار العدوان الهدف الأساسي. وحقيقة، عندما جاء وقرر الاستقالة، كان فعلاً يريد أن يستقيل، لكن لما رأى تمسك الناس به، بقي وشعر على أي حال كم هو مسؤول. فكانت ادارته الأولى قيادة الجيش.

أصعب القرارات في اعتقادي كانت تلك المتعلقة بالشباب الذين يذهبون بإذن منه في عمليات داخل سيناء أو داخل اسرائيل، وهو يعلم أن نسبة العودة فيها ضئيلة جداً..

في تلك الفترة كنت أراه. كيف يمكن أن تتصوري انساناً لا ينام إلا عند الفجر، لأنه يريد أن يطمئن إلى أن الدوريات رجعت. فآخر خبر يتلقاه قبل أن يحاول النوم كان من الذي عاد، ومن الذي لم يعد... كان هذا صعباً جداً!

وكانت الحياة الإنسانية عنده غالية جداً. هو لم يكن غريباً عن السلاح، ولم يكن غريباً عن جو المعارك، وعن الضابط والعسكري. مثلاً كان حافظاً مجموعة أسماء هذه الفرق... وكان معجباً بضابط اسمه إبراهيم الرفاعي، كان قائد صاعقة، بعد ذلك، مع الأسف قتل في الثغرة، مات رخيصاً جداً، كان هذا الضابط من أشجع الناس الذين عرفهم العالم العربي، وتقريباً كان هذا الشاب يذهب كل ليلة إلى داخل سيناء وراء القوات الاسرائيلية، وكان جمال عبد الناصر يومياً ـ وأحمد صادق موجود، وكان مدير المخابرات وقتها، ورئيس أركان حرب المسؤول عن عمليات حرب الاستنزاف التي وراء الخطوط الاسرائيلية ـ كان عبد الناصر يعرف بالاسم المجموعات الداخلة وكان يسأل: ابراهيم رجع، ويأتيه الجواب:

رجع. ويسأل: كويس؟ ويقولن له: كويس... كيف بامكانك أن تتصوري حالة إنسان عند الفجر، ينتظر دوريات عائدة، أحياناً تفوق العشر دوريات والمناطق مكشوفة في سيناء ومحاولة الاختباء فيها صعبة جداً. تصوري إنسان عند الفجر ينتظر عودة الذين كتبت لهم الحياة، والذين سرقهم الموت؟ عندما كان يطفىء نور غرفته لينام، كان يفكر بالذين رحلوا تلك الليلة...

● **«الصياد»: لو أن الرئيس عبد الناصر جاء في ظروف مرحلة مرتبطة بـ «كامب دايفيد»، كيف كان سيمارس سلطاته؟**

■ محمد حسنين هيكل: هذا نوع من الأسئلةأجد صعوبة جداً في الإجابة عنه. لأنك تضعين شخصاً معروفاً أمام احتمال مجهول. لو أن جمال عبد الناصر مع هذه الظروف. أنا لا أعرف ما كان سيفعل، إنما في الدور الذي يقوم به كل إنسان إجابة عن سؤال محدد. ولكن في سؤالك غلط رياضي، لأن هناك كماً معلوماً وكماً مجهولاً. مثل عمليات القلب، تنفع أو لا تنفع، لا أعرف.. لو كان الوضع معقداً كما هو الآن؟ جمال عبد الناصر جاء أيضاً في وضع معقد، إنما في ظروف أخرى مختلفة، لكن إذا أخذت فقطدرجة الاستعداد، فأنا أتصور أنه كان يمكن أن يفعل أموراً أخرى.

● **«الصياد»: كيف كانت نظرته إلى لبنان؟ وهل حصل أن حدثك مرة عن نظرته للعالم العربي بعد رحيله وكيف سيكون؟**

■ محمد حسنين هيكل: كان عبد الناصر يشعر بأنه سيموت باكراً، إذا لم يكن بالمؤامرات فبوسائل أخرى. كان يحب أن يكون صحفياً، وكان يحب الصحافة، وجو الأخبار، وتتبعها والتعليقات. مرات بعد أن ننتهي من العمل في آخر الليل، كنا ندردش. مرة قلت له: أنا أتصور أنه من الضروري أن تكتب سيرة حياتك، وأنا أساعد فيها. فكان يقول لي: لا... أنت اكتبها لوحدك... سألته مرة عن السبب، فقال لي: محمد الذي يعيش عيشتي من المستحيل أن يكمل..

هناك فرق بين العبء الملقى على رئيس دولة من دولنا، والعبء الملقى على الرؤساء الغربيين. ريغان في أزمة يصحونه من نومه، أو يلحقون به إلى ملاعب

الغولف أو يجدونه في كاليفورنيا على صهوة جواده. العبء الملقى على رئيس دولة في مثل ظروفنا عبء رهيب!

يتهيأ له، أنه كان عنده الأمل بأن يخوض معركة قبل أن يرحل.

● «الصياد»: **وهل حدد نظرة معينة للعالم العربي؟**

■ محمد حسنين هيكل: في أسوأ لحظات التشاؤم، لأنه كان قلقاً جداً من التأخير في المعركة، وكان يعتقد أن التأخير يمكن أن يحدث تآكلات في النفس العربية. لكن لا أظن أن في خياله خطر له أن يحصل للعالم العربي ما حصل...

● «الصياد»: **كيف كانت نظرته إلى لبنان، هل كان ينظر إليه كنقطة أيضاً أم كبلد؟**

■ محمد حسنين هيكل: الاثنان معاً، إذا كنت تتكلمين على مستوى الاستراتيجية العليا بالنسبة إلى الدول كان يراه نقطة على الخريطة، لكن عندما تنزلين من النقطة وتنظرين إلى الواقع، أقول أن عبد الناصر كان عنده ضعف تجاه لبنان. لأن لبنان كان مسألة مهمة جداً... لا تنسي أن لبنان كان يقوم بدور أهم مراكز التسمع والحركة على المنطقة كلها، وعبد الناصر كان اهتمامه قوياً جداً بلبنان كدور وظيفي. وظل لبنان مهماً بالنسبة إليه خاصة بعدما اقترب عبر الوحدة مع سوريا، ورأى الناس على الطبيعة ورأى الصورة أقرب.

● «الصياد»: **لو أنه ما زال حياً، هل كان حصل ما حصل في لبنان؟**

■ محمد حسنين هيكل: الذي حصل في لبنان هو نتيجة للذي حصل في مصر والذي حصل في مصر كان نتيجته لغيابه.

• مصر تعيش مرحلة انتقالية

عندما انتهى حوارنا مع محمد حسنين هيكل حرص الرجل على وداعنا عند المصعد. ولما طال انتظاره. قال بحسرة أنا لا أريدكم ان تنزلوا السلم. حتى لا تصدموا. وباستيضاحنا السبب المحتمل للصدمة قال: اتعلمون من يشغل الشقة تحتنا؟ قلنا لا، قال هيكل «تحتي الاكاديمية الاسرائيلية في القاهرة» فوجمنا جميعاً.

ساد الصمت لحظات وصل خلالها المصعد. فودعنا الرجل وهبطنا نغادره

● الشراع اللبنانية ـ ٧ / ٥/ ١٩٨٤ ـ حسن صبرا

في بداية اللقاء سألته:

● **هل يمكن توصيف الوضع في مصر هذه الأيام؟**

■ كل وضع في الدنيا يمكن توصيفه وهذا امر طبيعي ولا يستعصي على الوصف. ولو جئت تسألني كيف أصف الوضع في مصر اليوم، فاعتقادي أننا اليوم في وضع انتقالي. وأعتقد أنك لو رأيت مصر في الحقبات الماضية، تجد أن هناك مصر العصر الملكي، فجاء عبد الناصر وطرح نقيض العصر الملكي وطرح أفكاراً وأجرى ممارسات وخاض معارك استمرت من أول ٥٢ لغاية ٧٣ . . وأنا أعتقد أن عبد الناصر كبشر، أختفى من على الساحة أو بعد عنها سنة ١٩٧٠، لكن الماكينة التي صنعها وقوة الدفع التي أوجدها بقيت مكملة مسيرتها الطبيعية، في اعتقادي، لغاية ٧٣. ونستطيع أن نقول أن شرعية جمال عبد الناصر عام ١٩٧٣ اكتملت دائرتها وحلقتها، وأنور السادات اكتسب شرعية جديدة في حرب اكتوبر (تشرين الأول) والتي كانت في الواقع نتيجة واستمراراً لدفع وديناميكية عصر عبد الناصر. فجاء أنور السادات ابتداءاً من عام ١٩٧٤ وطرح افكاراً أخرى وممارسات أخرى. وأكمل على هذا النحو. ثم انتهى عصر أنور السادات بحادثة المنصة. وجاء حسني مبارك بعدها، وبدأ ما يمكن أن نسميه عملية مراجعة. . بدأت من ١٩٨٢ ولا تزال مستمرة لغاية الآن.

نستطيع أن نقول ان فترة عبد الناصر كانت فترة طرح لنقيض ما قبل الثورة، وإن أنور السادات جاء وأعلن في البداية أنه استمرار لعبد الناصر، ولكنه لم يستطع أن يكون استمراراً له، ولكنه بشكل أو بآخر تحول الى نقيض له. فأصبح عندنا، كما يقول الفلاسفة وعلماء الرياضة، الفرضية ونقيض الفرضية. ثم جاء حسني مبارك محاولاً أن يعمل معادلة «سنتيز»، لكن أنا اعتقد أنه لا يوجد شيء اسمه «سنتيز» في

هذا الموضوع وفي التاريخ.. ! بل هناك شيء واحد، هو ان تقيّم عبد الناصر وتقيّم أنور السادات.. فتعرف أين هو الايجابي وأين هو السلبي في جمال عبد الناصر وفي أنور السادات، ثم تخرج بشيء.

ومع الأسف الشديد، لم تحصل عملية التقييم هذه، وبالتالي لا نزال في مرحلة قلق، فيها موازنات تستطيع أن تقول أن بعضها محرج، ولكن لم يصل أحد - في اعتقادي - إلى قرار..

إذاً، لو سألتني كيف أصف الوضع في مصر، فأنا أعتقد أنه توجد فترة خلط نعيشها الآن، وتوجد فترة بحث في إعماق النفس، وهناك عملية إعادة تقييم، وإعادة تصورات، بل حتى أيضاً هناك إعادة بعث قوى لم تكن موجودة على الساحة، وبالتالي فنحن أمام مرحلة نستطيع أن نصفها بأنها مرحلة انتقال ومرحلة إعادة بحث في أعماق النفس، ومرحلة البحث عن الطريق.. لكن هذه العملية لا تزال مستمرة.. إذاً لا وصف للمرحلة التي نعيشها الآن.

● **المرحلة الانتقالية هي مقدمة الى شيء ما سيحصل.. ما هي ملامح المرحلة القادمة؟**

■ حتى هذه اللحظة أنا لا أعتقد أنه توجد ملامح ظهرت. ولكن استيطع أن أقول أنه توجد ايماءات، فعلى سبيل المائل، لا أستطيع أن أغفل إشارات الرئيس حسني مبارك المتكررة الى العدل الاجتماعي.. فهذه إيماءات.. ولا أستطيع أن أغفل إيماءة الرئيس حسني مبارك حينما وقف في البيت الأبيض وقال أنه لا بد من حقوق للشعب الفلسطيني، وكذا وكذا وكذا... إن هذه هي وقفة مهمة جداً.. ولكن تبقى في حدود الإيماءة، ولم تتحول الإيماءات بعد الى سياسات، ولا حتى الى ملامح! إذاً هي إشارات للمرحلة الحالية، مرحلة الانتقال إعادة التفكير وإعادة البحث وإعادة التصور، لكن هناك إيماءات موجودة لم تتحول بعد الى سياسات، أو على الاقل لم يظهر لها أثر بعد على السياسات. ولم تبرز بعد كملامح محددة وواضحة القسمات.. لكن توجد إشارات وإيماءات. وهذا يدخل ضمن الاطار العام وضمن الصورة كلها. وكل من فيها وكل ركن فيها يبحث عن مكان بالضبط في الصورة والخريطة.

● **البعض يعتبر أن طبيعة الرئيس حسني مبارك كقائد للسلاح الجوي أو كطيار، يحاول أن يحدد ملامح الهدف قبل الأقتراب منه. هل تعتقدون أن هذه الإيماءات هي جزء من عملية جسّ النبض واستكشاف الهدف قبل الانقضاض عليه؟**

■ تجربة الرئيس حسني مبارك كطيار تجربة مهمة جداً، لكن أنا لا أظن أنها بالضبط مفتاح تستطيع أن تأخذ منه توجهه السياسي. . في العمل السياسي لا توجد عملية انقضاض. وممكن أن تجربته كطيار تستطيع أن تعطيه القدرة على الرؤية الشاملة، وعلى رؤية أفق بكامله، وهذا مهم جداً. . وممكن أن تجربته كطيار تستطيع أن تعطيه الاحساس بعنصر الأمان. فالطيار في الطبيعة يطير وهو معلق في الهواء. . وممكن أن تعطيه الأحساس بأهمية عامل الأمان وتعطيه أهمية استكشاف أفق أوسع أمامه، وهذا مهم جداً. .

لكن في السياسة لا يوجد انقضاض لسبب أساسي، هو أن بين الطيار وبين هدفه لقاءاً مباشراً، وقد تكون هناك نيران من العدو. لكن في السياسة انت تتعامل مع قوى إجتماعية في الداخل، وتتعامل مع قوى إقليمية في الاقليم، وتتعامل مع قوى دولية، ومع مناخ عام، وأحوال نفسية، ومع تاريخ وجغرافيا، ومع غد وأشياء غير مرئية وإنما هي محسوسة.

فالطيار يطير الى هدف معلوم، ومشار إليه، وهو يعرف ماذا سيضرب بالتحديد، فأصابة الهدف تصبح واضحة أمامه، والغرض يصبح واضحاً أيضاً. أما في السياسة فتتعامل مع معانٍ. فعندما نقول: تاريخ. . ما هو التاريخ؟. . أين هو التاريخ؟. . أنت لا تستطيع الامساك بالتاريخ، ووضعه على خريطة. . بل تستطيع أن تحس بفعله في كل لحظة. لكن لا تستطيع ان تحدد له مكاناً على وجه التحديد، وعلى وجه اليقين، اليس كذلك؟!. . . فعندما نأتي للتكلم عن الجغرافية أو عن قضية الانتماء، فالانتماء هذا هو ممارسة يومية وليس عملية إصابة هدف. . فتجربة حسني مبارك كطيار تجربة ممكن أن تنفع. . ولكن أنا أعتقد أن أهمية تجربته، هي ليست في أنه طيار. . بل أعتقد أن تجربته هي عنصر مهم، ليس كطيار، ولكن كمواطن مصري. . كمواطن عاش الخمسينات وعاش

الستينات وعاش السبعينات واقترب منها. وفي هذا كله أتيح له أن يرى ويبصر، وأن يتعرض لما هو حوله في المجتمع.

إذاً الظاهرة التي تهمني فيه ليست في كونه في يوم من الأيام لبس البدلة الزرقاء الخاصة بالطيارين، وعليها الأجنحة، وما إلى هنالك ولكن ما يهمني هو أنه وهو شاب، عاصر الخمسينات والستينات وشاهد خلالها المد الثوري والحركة العربية العامة والتحول الاشتراكي والتصنيع في مصر. إلى آخره..

في الخمسينات والستينات حضر عمليات ضرب الجيش، وهو كان موجوداً كطيار.. وحضر العملية المهمة جداً لمقاومة من قوى كبرى جداً جداً.. مقاومة أن تكون لمصر قوة فاعلة ومؤثرة، وهذا ما رآه بعينه هذه التجارب التي رآها كإنسان، تعنيني جداً أكثر من كل تجربته كطيار، في ما عدا ما أشرت لك إليه من قدرته على الاستكشاف البعيد، وعنصر الأمان والرؤية الواسعة.. إلى آخره..

● **هناك مسألتان طرحتهما استاذ هيكل في الاجابة: أولهما هو أنه في السياسة ليس هناك انقضاض، وهذا يعادل ما كان يكرره دائماً الرئيس حسني مبارك في أنه لا يحب أسلوب الصدمات. فهل هذه تعادل تلك أولاً؟ وثانيهما، قلت ان الرئيس مبارك هو مواطن في النهاية، وتنظر إليه كمواطن وليس كطيار له بدلة الخ.. فهل هذا أيضاً جزء من الانتماء الى حسّ اجتماعي معين في المجتمع المصري تبلور خلال الثلاثين سنة الماضية؟.**

■ صحيح أن حسني مبارك وهو موجود في الطيران، كان ضابطاً ملتزماً ولم يُعلم عنه إشتغاله في السياسة، لكن يبقى أنه لا يهمني اشتغاله في السياسة. فأنا اعتقد أن الاشتغال في السياسة، مع الاسف الشديد، قد يكون في بعض الاحيان عباً على صاحبها وليس ميزة! وإن ما يعنيني فيه ويهمني أكثر فأكثر هو حسه الذي تكلمت أنت عنه كشاب موجود ويشهد مراحل التطور ولا يمكن مهما كان بعيداً عن السياسة أن يكون منعزلاً عن التأثر بها. وأنا أرى بذلك دلائل ممكن أن تطمئن.

ولكن على أي حال، إن ما نراه حتى الآن هو مجرد إيماءات، لأن الظروف هي في منتهى الصعوبة. ونلاحظ أنه من المشاكل التي يواجهها الرئيس حسني مبارك،

ولأسباب مختلفة، لم تجر في بداية عهده عملية تقييم لما تسلمه. فأي واحد في الدنيا يرث أي وضع، أول عمل يقوم به هو أن يرى ما هي التركة التي ورثها. أليس كذلك؟! ولكن أنا لا أعتقد أن هذه العملية أجريت في مصر، سواء كانت بدافع الوفاء أو بدافع الاستمرار أو مهما كانت دوافعها. لكن في النهاية، هو تسلم تركة مجهولة، ولم يحصل أي فرز لها بالقدر الكافي.. وهذه تلقي عليه مسؤوليات لأنه لا يُطالب في ما يُطالب به، للحساب الحقيقي للتركة، ولكن يُطالب بالانطباع العام الموجود عند الناس، وهو أنه «كويس» و«ماشي كويس».. وهذه مشكلة من المشاكل الموجودة حالياً

● عدم العودة الى تقييم هذه التركة، الا يعتبر موقفاً سياسياً، وليس فقط في سبيل الوفاء؟

■ أنا لا أظن أنه موقف سياسي.. أكاد أقول أنني أعتبر ذلك خطأً سياسياً ترتب عليه شيء آخر.. لكن ترتب عليه إحساس متزايد بقضية الأمن. وانتبه جيداً الى أنه لم يرث موقفاً طبيعياً. صحيح أنه كان موجوداً. ومشاركاً في الساحة وواقفاً على المنصة التي حصل عليها ما حصل. وبالتالي رأى صورة ما كان جارياً.. رأى عاصفة النار التي كانت موجودة. وقد تكون اعطته كطيار، إحساساً بالخطر أكثر منه بالموازنة السياسية. وبالتالي أنا لا أعتقد أن ذلك هو اختيار سياسي.. ممكن أن يكون إملاء ظروف. لكن الأمر كان يقتضي أن يقوم بتقييم بعد سنة.. ولكن ذلك لم يحصل..

● ودافع الأمن؟

■ قد يكون أضيف الى دافع الأمن، أن ذلك فات وقته ودافع الرغبة في الاستمرار، وأن الصحة المصرية كانت تتغير..

● هناك من يعتبر أن للرئيس حسني مبارك رأياً في موضوع الحركات الاسلامية قبل حادثة المنصة. كان لديه الاعتقاد بأنه يجب مواجهة هذه الحركات قبل استفحال أمرها؟

■ أنا درست هذه القضية حين كنت أعمل في «خريف الغضب». وأنا أعتقد بأن الرئيس حسني مبارك كان عنده من الالتزام ومن الانضباط ما يجعله يعمل ضمن

رؤية أنور السادات كمساعد تنفيذي له، دون أن يكون بالتحديد، متبنياً هذه الرؤية. ممكن أن إخواننا يبنون اعتقاداتهم هذه على أساس أن الرئيس حسني مبارك كان هو المسؤول عن اللجنة التي تولّت أجراءات ما قبل سبتمبر (أيلول). لكن أنا اعتقد أن هذا يدخل ضمن إطار العمل التنفيذي أو المسؤولية التنفيذية، وليس في إطار الاختيار السياسي. فلا أستطيع أن اتكلم عن اختياره السياسي. لم أر أمامي في كل الاوراق التي قرأتها وكل المتابعة التي حاولت أن أقوم بها للموقف وللصورة كلها، ما يدل على أن الرئيس حسني مبارك كان يرى موضوع ملاحقة الجماعات الدينية شأنه شأن أي واحد آخر، لأنه حضر اجتماعات نوقشت فيها قضية استشراء ظاهرة الجماعات الدينية، واستشراء ظاهرة جمع السلاح واستشراء ظاهرة التدريب. . .

هو حضر هذه الاجتماعات، لكن ليس واضحاً أمامي بالتحديد ماذا كان رأيه في هذا! وفي كل الأحوال، أنا أعتقد أنه كان عنده من الانضباط والالتزام - والاوراق تقول ذلك - أنه في الدرجة الأولى ينفذ سياسة المسؤول.

● هناك حالة كمون للجماعات الإسلامية حالياً، بحيث تكمن هذه الجماعات حالياً في مصر. هل لهذا الكمون علاقة بما تعتقده انه موقف سابق للرئيس حسني مبارك منها؟

■ لا. . لا أعتقد ذلك بل أعتقد ان هذا الكمون مبعثه غير متعلق بالرئيس حسني مبارك. أنا اعتقد أن الكمون موجودة فيه الجماعات الإسلامية لأسباب، منها أن الجماعات الإسلامية التي كانت موجودة بتفكيرها - حتى تنظيمات الجهاد - لم تكن تسعى الى مواجهة مع النظام. . بل كانت تسعى إلى تقوية نفسها لكي تبني قوتها، لكي تعيد عن طريقها تشكيل المجتمع طبقاً لآرائها.

لكن الذي حصل، والذي تراه انت كموناً، هو ماذا؟! . . هو في الواقع ليس كموناً. . فالجماعات الإسلامية ضربت في مواجهة استفزاز في سبتمبر (أيلول). وأنا اعتقد أنه لو لم يكن الرئيس السادات استفز قوة كبيرة جداً في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١، ما كان حصل ما حصل. . إذاً، ما تراه أنت بادياً كأنه كمون، هو أولاً: لا يوجد عنصر استفزاز. . وثانياً: نشاط عنصر الملاحقة، لأنه بعد حادثة المنصة، من

الطبيعي أن تكون هناك ملاحقة شديدة ومطاردة. . إذاً هما عنصران اجتمعا مع بعضهما: أولاً، الجماعات الدينية وخصوصاً جماعات «الجهاد» بحكم تكوينها، لم تكن تسعى الى مواجهة. بل كانت ستنتظر لكي تبني نفسها كما هي تتصور. . فهي استفزت ولهذا ضربت، فظهر خطرها. والذي يُظهره هو الاستفزاز وليس شيئاً آخر.

ولو تقرأ التحقيقات يمكنك جداً أن ترى ذلك بوضوح فاسأل خالد الاسلامبولي: ما هي الاسباب التي كذا وكذا وكذا؟. . يجيبك: أولاً. . وثانياً. . ثم في الاجابة الثالثة في كل الاسئلة والاستجوابات، يجيبك. . عملية القبض على علماء المسلمين والصفوة المختارة من أهل الرأي والعقل.

والمحقق يسأله: هل أنت تعتبر نفسك من أهل الرأي والعقل؟ وكيف يجوز لك أن تكفر مسلماً من غير أهل الرأي والعقل؟ فيقول له: عندما ذهبت ابحث عنهم كانوا في السجن كلهم!.

فإذاً من أهم الاسباب أولاً: استفزاز. . وثانياً: ملاحقة. . لكن لو لم يكن الاستفزاز. ما كان حصل ما شاهدتموه. .

● **هل يمكن القول بأن طبيعة الاوضاع السياسية في هذه المرحلة هي أنعكاس للأحداث التي تمت في خريف عام ١٩٨١؟**

■ أنا أعتقد أن الإجابة عن السؤال الأول تصح على هذا السؤال. . فنحن في ظروف لم يكن لأحد سيطرة عليها. وأنا لا أعتقد أن ما تراه اليوم هو نتيجة لرؤية حل. لكن هو نتيجة تداعيات ظروف وصدامات قوى. وبعضها. كما كنت أشرح حول الجهاد، اضطُرًّا اضطراراً إلى الدفاع عن نفسه. وهذا ليس معناه أن موقفه كان صحيحاً! أنا لا أقول ذلك. ولكنه دافع عن نفسه لأنه هوجم، سواء كان موقفه صحيحاً أم لا. . فهو محرج يدافع عن نفسه.

وفي المحصلة، فإن الموقف الذي تراه اليوم في مصر ليس انعكاساً لرؤية حسني مبارك أو غير حسني مبارك. أنا أعتقد أن الافتراض هو نتيجة صدام أكبر بكثير من أي أشخاص ونتيجة ضياع رؤى. فأولاً جمال عبد الناصر كان يرى بشكل معين وجاء أنور السادات الذي يرى بشكل هو نقيض. . ثم جاءت حادثة

المنصة . . ثم اختبرت أشياء كثيرة جداً، وظهر أن الكلام عن السلام مع إسرائيل هو كلام ضدها. لأن إسرائيل بالطبيعة، هي مجتمع غير قادر على السلام. . قد يكون قادراً على الحرب، ولمدة. . ولكنه غير قادر على السلام إطلاقاً ولا لأية مدة. وأنت عندك لبنان مثلاً على ذلك.

وثانياً، أختبر مقولة الانفتاح. . فهو أتى في ظرف معين في تاريخ البلد حصلت فيه حادثة كبيرة لفتت الأنظار، ثم أن الانفجار الذي حصل لم يكن فقط في المنصة بل أن الانفجار الذي حصل أظهر حقائق كثيرة فالنار التي صعدت من المنصة أظهرت أشياء كثيرة وانكشفت خباياها. . وليس مصادفة بأن تحقيقات المدعي الاشتراكي بطريقة واضحة بدأت تظهر صورة الانفتاح على حقيقتها. وأنا أعتقد أنها لم تكن محاكمة رشاد عثمان، ولا توفيق عبد الحي ولا عصمت السادات. . لكن الواقع كان انكشاف الستار أو ارتفاع الستار أو تمزق الستار، إذا أحببت أن تقول ذلك. عن سياسة الانفتاح. إذاً هناك سياسات ومقولات انكشفت. . وهناك سياسات ضاعت. وهناك أشخاص لم يكونوا موجودين بذاتهم وبصفتهم. وبالتالي خلق كل ذلك فوراً لم يكن موجوداً. فما تراه أنت. لا أعتقد أنه اختيار حل، ولكنه ظرف معين خلقته تداعيات، وخلقته صدامات، وخلقه مناخ وحقائق كثيرة بدأت تظهر. . وهكذا. . فالموجود الان هو ليس رؤية لشيء معين. .

● اليست هناك ملامح معينة مرتبطة بحكم الرئيس حسني مبارك مباشرة؟.

■ تستطيع أن تقول ما هي الملامح الموجودة، والتي قلت لك أن معظمها إيماءات. . ونحن بعدما خرجنا من السجن شاهدنا الرئيس حسني مبارك جميعاً. والذين رأوه كانوا من الناس الذي يتحركون على الساحة فما حصل هو أننا عندما خرجنا من السجن، وذهبنا من دون أن ندري أننا ذاهبون الى قصر العروبة. . فكنا في عربة واحدة كان فيها: أنا وفؤاد سراج الدين وفتحي رضوان وحلمي مراد ومحمد فهيم وآخرون من الأخوان، في عربة «الاكسفورد» التابعة للشرطة. واقترحت ونحن في الطريق أن يتكلم فؤاد باشا بصفته أكبرنا سناً وأقدمنا في العمل السياسي، نيابة عنا إذا كان الرئيس حسني مبارك سيقول شيئاً. . وفتحي رضوان صحّح لي

معلوماتي فقال لي بأنه هو أقدم في العمل السياسي، ولكنه بسبب فارق السن تنازل لفؤاد باشا. . .

فذهب الوفد ليتكلم. . وكان يمثل خريطة القوى التي كانت موجودة في السجن. وذهبنا الى الرئيس حسني مبارك. . فما قال لنا؟ قال:

أولاً، نبتدىء صفحة جديدة، وهذا كلام مهم جداً. .

ثانياً، أنه يريد تعاون كل القوى الوطنية معه. .

وثالثاً، أن ننسى ما فات. .

إذاً، أنت أمام رجل أحب أولاً أن يفتح صفحة جديدة وثانياً يريد تعاون كل القوى الوطنينة معه، وثالثاً أن ننسى ما فات. . إذاً هذه هي في الواقع أول إيماءة، والتي تراها منعكسة على الساحة. . لكن أيضاً أنا اعتقد أن ذلك لم يكن مخططاً، لأن الرجل واجه موقفاً صعباً جداً، ورأى أن الممارسات القديمة ليست ناجحة وليست مؤدية إلى أي شيء. ورأى أن كل القوى الوطنية أو رموزها أو ممثليها، موجودة بعيداً. . فأتى بهم وتكلم معهم. . فبانت هذه الإيماءة. .

فتستطيع أن تقول أنه أولاً، خفض درجة الحرارة، فالموقف في مصر كان ملتهباً. وثانياً، أدرك أن الجزء الكبير جداً من القوى المؤثرة على الساحة موجودة في السجن وأنه لا يستطيع ان يكمل طريقه هكذا، فبالتالي رأى أنه عليه الاتيان بها. . إذاً إحساسه ببساطة أن التركيبة التي كانت مركبة به غير كافية. . وإن هؤلاء الناس لهم مكان بشكل أو بآخر.

هذه أول الأشياء التي تنعكس وتتمثل بها شخصيته بأنه أدرك بسرعة أن الموقف القديم غير قابل للاستمرار. . وأدرك بسرعة أنه لوحده وأنه يريد تعاون كل القوى الوطنية معه. . هذا هو الشيء الجديد الذي اضافه. وأنا استطيع أن أقول أن حسني مبارك:

١ ـ خفض حرارة المريض.

٢ ـ سمح بمشاركة أوسع، أو ترك المجال أمام مشاركة أوسع لأنه أدرك أن رموز هذه القوى الموجودة، والتي تشكل تركيبة النظام، غير قادرة على الاقل في وقت الراهن، وبالتالي يوجد ناس آخرون يجب أن يأتوا ويتعاون معهم.

أيضاً له في باب الإيماءات، إيماءة واضحة في مسألة الفساد وهـذه الاشياء كلها، فتكلم عن الانفتاح وقال أن الانفتاح يجب أن يكون غير استهلاكي وإنما انتاجي. وبدأ يزور المصانع، وهذه مسألة مهمة جداً. وأنـا أعتقـد أن في ذلك اختلافاً كبيراً عما قبل. فلم يأت بـ «فرانك سيناترا» ويسهـر معـه.. !! أو يأت بـ «خوليو ايغليسياس».. !! بل إنه يذهب إلـى المصانـع ويرى العمـل ويلتقـي معهم.. وكل ذلك يدخل في باب الإيماءات..

فالتغييرات التي حصلت في الصورة، أنا اعتقد أنهـا لم تكن مجـرد أختيار. واعتقد أن جزءاً كبيراً منها كان طبيعة ظروف أو حتمية ظروف. ولكن مبارك بقي مستجيباً.. فكان يستطيع أن يعالج. وبعض العناصر بعد حادثة المنصة قالوا أن ما سمّوه بثورة ٥ سبتمبر (أيلول) لا تزال مستمرة.. هناك أناس قالـوا ذلك. فأدرك حسني مبارك أن هذا الأمر لا ينفع، ويمكن أن كونه طياراً رأى الصـورة أوسع مما هي عليه. فخفض درجة الحرارة المرتفعة في المجتمع المصري، فأتى بالقـوى الأخرى لكي يتكلم معها، ويطالب بالتعـاون معها بشكل أو بآخر. لكن كل ذلك كان «دينامنيكاً» أي من جراء حالة تفاعل ظروف وأحداث معينة.

● **اعتـادت مصـر أن تشهـد حالات سياسية تكون فيهـا السلطـة قوية أو المعارضة كذلك أين نحن من هذا الوضع الآن؟**

■ إن ذلك هو في النهاية نتيجة صدامات، وليس نتيجة خيارات. فعندمـا تأتـي الازمات في أوقات الرخاء، تكون انت حراً في القرارات. فتعتمد توجهات سياسية وتقوم بسياسات.. لكن في أوقات الأزمات تقوم بعمـل ردة فعـل، أي ترد علـى الحوادث. وأنا اعتقد أننا الآن في مرحلة ردود الفعل. فلم يخطط أحد لما تراه الآن على الساحة ثم قال أن هذه هي ديمقراطية.. هذا غير صحيح! فنحن نرى في مصر ظواهر انفراج ديمقراطي، وهذا صحيح ويستحق التشجيع في كل الأحوال.

لكن أنا واحد من الناس الذين يعتقدون أن هذا هو ليس اختيار قرار أو اختياراً بقرار. ولكني اعتقد أنه محصلة ظروف معينة أكبر بكثير من أي قرار.. وأن قيمة القرار السياسي بهذا، أنه أستجاب مع حركة تيار معين، أو حركة تاريخ معينة، ولم

يقف عندها. وفي المحصلة تجد قوى متعادلة ومتوازنة. فلو أتى احدهم يقول لي: أنا لا يهمني كل أصوات الانتخابات القادمة كلها. لكن أقول أن الحالة الديمقراطية أو ما يبدو من بوادر انفراج ديمقراطي ظاهرة على الساحة المصرية، هي نتيجة قوى كثيرة جداً متوازنة في حركتها وقوتها وفعلها، بما فيها قوة جهاز الدولة، وبسبب أنه لا يوجد عنصر قادر أن يحسم نهائياً، فأنت ترى أنه يوجد هذا الانفراج فعلاً.

والفترة القادمة أعتقد أنها أهم جداً من الفترة الماضية.. لأنه بعد الأنتخابات ستظهر أشياء كثيرة جداً، وتتضح أكثر فأكثر. فإذا كانت ديناميكية الحوادث في الظروف التي مرت هي التي أملت ظرفاً معيناً، فبعد ذلك سيأتي عنصر الاختيار، أي عنصر القرار. ولذلك اعتقد أن المرحلة الانتقالية تنتهي بعد الانتخابات وليس قبلها.. واعتقد أن الانتخابات هي جزء من المرحلة الانتقالية أيضاً.

● هناك من يعتقد أنه كلما كانت السلطة قوية وبرزت في مقابلها معارضة قوية في مصر، يحصل الانفجار. هل نستطيع أن نصل الى هذه المرحلة؟

■ هذا ليس صحيحاً.. فنحن نتصور في بعض الاحيان أنه عندما نتكلم عن الديمقراطية، نتكلم عنها بالمطلق عن مشاكلنا كلنا. وتبرز أكثر للمثقفين أن أمامنا نموذجاً ديمقراطياً في الغرب على سبيل المثال، قادراً وقوياً وملهماً وأنه مثير للاهتمام وجدير بالتمثيل ولكننا ننسى أحياناً أن هذا هو ليس لكي تختاره الناس.. بل هو محصلة لتطورات اقتصادية ـ اجتماعية نشأت في أوروبا الغربية، وفي الملحق التابع لها أي أمريكا، لمدة ٤٠٠ سنة. فتستطيع أن تقول إنه خلال ٤٠٠ بالتحديد بقي التطور الديمقراطي سائراً في أوروبا، لغاية أن بدأ يستقر وتتضح ملامحه، ونقول مثلاً، بعد الحرب العالمية الأولى. ثم سار بعدها ثم استقر وترسخ.

نحن هنا نستطيع أن نقول أن بداية محاولة بناء الدولة الحديثة بدأت منذ حاول محمد علي القيام بمحاولة وضُربت، كما نقول إنه حصلت عدة صحوات، ثم جاء جمال عبد الناصر وقام بإنجاز جديد في أعتقادي.

ولكن متى نستطيع أن نقول انه يوجد ديمقراطية مضمونة؟ وماذا حصل في مجتمعات الخارج؟ إن ما حصل في المجتمعات الخارجية، الغرب مثلاً، أن القوى الاجتماعية نمت وأضحت قادرة على التعبير عن نفسها، والدفاع عنها وعن مصالحها إلى درجة وجود التكافؤ. فعلى سبيل المثال، لنأخذ حزب المحافظين وحزب العمال في انكلترا، حيث نجد بوضوح أن أحدهما يمثل قوى العمل والآخر يمثل قوة أصحاب الأعمال.

وأريد أن أقول إنه لا يمكن أن تتكلم عن الديمقراطية إلا إذا كنت تتكلم عن أحزاب، ولا يمكن أن تتكلم عن أحزاب إلا إذا كنت تتكلم عن طبقات. ولا يمكن أن تتصور الحزب إلا وهو يمثل مصالح معينة ويدافع عنها. لأنه لا يمكن أن تجتمع المتناقضات أو المتعارضات في إطار سياسي واحد. وفي النهاية الحزب هو تعبير سياسي عن مصلحة اقتصادية ـ اجتماعية. فإذا كان هناك طغيان لجماعات أو لطبقات، لا يوجد هناك ديمقراطية. فمتى تنشأ الدميقراطية إذاً؟ تنشأ حين يكتمل نمو الطبقات وتصبح قادرة على أن تحمي مصالحها.

نعود إلى النموذج الذي ضربته حول حزب العمال وحزب المحافظين. ولو أننا افتكرنا الانتخابات التي جرت في انكلترا، نجد أن حزب العمال أخذ من نقابات العمال للحملة الانتخابية ٥ ملايين جنيه استرليني، طبقاً لتقدير اللجنة الملكية التي بحثت مصاريف الانتخابات. وتجد أصحاب الأعمال أعطوا لحزب المحافظين ٤ ملايين جنيه، أي أن العمال كانوا أقدر من أصحاب الأعمال، على أن يخوضوا المعركة حتى بسلاح المال.

إذاً، لا يكفي أن نرى نموذجاً، ونعجب به.. أنا أوافق على أن نرى نموذجاً يتكلم عن الديمقراطية ونعجب به.. ولكن علينا أن ندرك أن هذا النموذج هو محصلة وليس بداية. وهو نتيجة وليس سؤالاً مطروحاً في الأول. صحيح أننا سائرون على هذا الطريق، لكن أنا لا اعتقد أنه يمكن أن تقوم في أي مجتمع ديمقراطية حقيقية قابلة للبقاء وليست هبة من أحد، وليست منحة من أحد وليست برضى أحد وليست بتطوع من أحداً، إلا إذا كانت تستند على قوى اجتماعية قادرة

على حماية مصالحها، وعندما تصبح القوة قادرة ويوجد توازن في قدرتها، تستطيع أن تقول إنه ممكن أن يقوم حوار ديمقراطي بين القوتين، أو بين القوى المختلفة. ونستطيع ان تقول إنه ممكن للاثنين أن يقبلا بسيادة القانون.

العمال في انكلترا اصبحوا قادرين، واصبح لديهم قوة أصحاب الأعمال نفسها. فإذا كان صاحب العمل لا يستطيع أن يُسيِّر مصنعه، يستطيع العامل ان يقفل هذا المصنع انظر إلى ما هو حاصل اليوم في حركة نظام المناجم. قوة العمل قوة ضخمة جداً، في أي مجتمع، وقادرة على أن تقف بوجه اصحاب الأعمال، وهكذا..

وعندما نتكلم عن شرط قيام الديمقراطية في أي مجتمع، أي شرط قيام ديمقراطية قادرة على البقاء، وعلى أن تمارس وعلى أن تؤكد، هو أن تكون القوى الأجتماعية نمت بحيث تستطيع أن تفرض إرادتها وأن تتحاور مع غيرها من القوى دون خوف، وأن تقبل حكم القانون. ودون هذا يستحيل وجود ديمقراطية.

وحين نأتي ونتكلم عن النظام الموجود حالياً، أنا أعتقد أنه توجد مظاهر انفراج ديمقراطي. لكن أخشى أن يكون ذلك ظاهرة وليس مظهراً. ظاهرة مرحلة معينة. واستطيع ان أطمئن عندما اتأكد من أن القوى الاجتماعية في مصر أو في غير مصر، قادرة على أن تقف كطبقات وكمصالح.. لكن عندما أتكلم الآن عن الفلاحين..! من الذي يؤكد سلطة الفلاحين؟!..

جاء جمال عبد الناصر وسبق التطور وقال أن العمال والفلاحين لهم ٥٠٪ ونحن رأينا كيف امكن أن يُهدر ذلك. ونحن رأينا ذلك في الواقع العملي، ولم يعد مؤثراً، لماذا؟.. لأنه لا يكفي أن تقنن شيئاً بنص ورقة أو بنص قانون. في النهاية، القوانين هي تعبيرات عن حقائق اجتماعية ـ اقتصادية.

وبالتالي، أنا لا أزال أقول إذا سمحت لي بذلك أن الحديث عن أنه إذا كانت معادلة المعارضة قوية جداً فذلك يسبب أنفجاراً، أنا غير موافق عليه.

أنت تجد في بلدنا جهاز الدولة، مع الأسف الشديد، هو الأقوى، والذي يمثل

النظام تقريباً ويمثل استمراريته. لماذا؟!.. أنا هنا أحاول أن أجلس مع أخواننا، وأقول لهم إن هناك ثلاث شرعيات في التاريخ، وسأكون سعيداً لو أن أحدكم يأتيني بشرعية رابعة!.. لا يوجد!.. فهناك شرعية تقليدية قائمة على أساس قبلي أو ديني أو.. إلى آخره.. وهذه أقدم شرعية عرفها التاريخ.. وعندما أتكلم عن شرعية اتكلم على القبول الطوعي والاختياري، بما فيه أن يقبل الواحد منهم أن يذهب إلى حبل المشنقة وواحد يذهب الى الحرب. وهذا يعني القبول وليس الورق، فأي ورق هو كلام فارغ. هذه هي أول شرعية..

وآخر شرعية، الشرعية الثالثة، هي الشرعية القانونية الدستورية كالتي نراها في مجتمعات الغرب والتي اتفقنا على أنها لا يمكن أن تقوم على أساس قابل للبقاء والاستمرار، إلا إذا كانت مستندة على التوازنات في النمو الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي السياسي.

في الوسط، المجتمعات تتحرك بما هو تقليدي أي قبلي أو ديني الخ. إلى ما هو دستوري وقانوني، وتدخل في مرحلة انتقال جهاز الاستمرار في الدولة البيروقراطية، والتي يبرز فيها الجهاز الذي يأخذ في بعض الاحيان في العالم الثالث، دور التحديث والذي يكون في الواقع السلّم الاجتماعي، وهكذا..

لا تنظر إلى معارضة قوية وحكومة قوية في المطلق.. يجب أن نزيل الواجهات وننظر إلى القوة الحقيقية الاجتماعية والاقتصادية وراء الواجهات.

● استاذ هيكل.. قلت أن كل حزب لا بد أن يكون تعبيراً عن طبقة أو عن فئة أو عن مصلحة معينة. هل هذا موجود في مصر حالياً؟

■ أبداً.. وهذا هو الشيء الذي يخيفني.. ولذلك أقول لك إن ما تراه الآن استطيع أن أطمئن له إذا تأكدت أنه يعبر عن قوى. لكن لو أنا اتيت انظر إلى المجتمع المصري، فماذا أجد؟! أجد في الواقع تيارات وليس تعبيرات عن قوى اجتماعية. وهذا ما يخيفني!... فلا استطيع أن اتكلم عنه كظاهرة انفراج ديمقراطي، مبعثها ظروف معينة، وتوازنات في القوى وليس في المصالح وبالتالي

فإن هذا يمكن ان يخلق وضعاً معيناً ومؤقتاً، ولحظة معينة من الزمن اذا استطعنا أن نمسك بها أو لم نستطع.

● قد تتساءل لماذا البعض يرى أن الحيوية السياسية في الشارع المصري لم تكن في قوتها كما هي منذ ٣٢ سنة، هل هذا صحيح؟ وما الفرق بينها وبين ما كان قائماً منذ تلك الفترة؟

● أنا أقول لك إن هذا غير صحيح، وانا أرى أنه توجد ظواهر حياة في الشارع المصري. ولكن عندما تقول لي عن الحيوية، فأقول لك أنني شاهدت في السويس سنة ٥٦ ما هو أكثر من ذلك. لقد شاهدت فاعلية الشعب المصري في المقاومة وليس فقط الحيوية.. لا تطمئن الى صورة تراها وحاول أن ترى الأصل باستمرار. أي إرجع إلى الاصل لأنه ممكن أن تكون الصور خادعة. وأنا اعتقد بأن فترة السويس كانت أكثر حيوية الف مرة من الآن.. وأنا أدّعي بأن فترة التحول الاشتراكي في مصر مثلاً، وإعلان القوانين الاشتراكية في مصر، كان أكثر حيوية في الشارع المصري.

الذي تراه الآن في الشارع المصري تستطيع أن تقول إنك ترى جزءاً من حيوية التعدد وليس حيوية الشارع. فبلا جدال، يوجد تعددية.. وأنا موافق على ذلك. لكن هل هذه التعددية إذا قستها بالحيوية، هي أكثر حيوية عاشها الشعب المصري؟!.. أنا أقول لك لا.. وهذا غير صحيح!.. أنا أقول أن حيوية الشعب المصري أمام الهزيمة في ٩ و١٠ يونيو (حزيران) كانت أقوى مما تراه الآن. لأن الشعب كان يعرف فعلاً ماذا يفعل. ولكن تستطيع أن تقول، وهذا ظاهرة صحيحة، إنه يوجد مظهر تعددية، وأنه لا بأس به. ولكن لا استطيع أن اقبل مقولتك بأن الشارع منذ ٣٢ سنة لم يكن في حيوية.. لا هذا غير صحيح، فالشارع المصري شهد الحيوية خلال الـ ٣٢ سنة التي تتكلم عنها.. ونحن دخلنا في قياسات غريبة! يقولون لك الـ ٣٢ سنة التي مضت، أي يقصدون سنة ٥٢..! وأنا أدّعي بأن يوم ٢٣ يوليو (تموز) كان في حيوية لم يرها قبل ذلك. وأدعي أن يوم السويس

كان الشارع المصري في حيوية أكثر من الآن. وأدّعي أن يوم التحول الاشتراكي وقرارات يوليو (تموز) الاشتراكية، كان الشعب المصري أكثر حيوية. وأدّعي أنه يوم الوحدة كان أكثر حيوية من الآن ايضاً. وأدّعي أنه يوم إتمام السد العالي كان أكثر حيوية كذلك.. وأدّعي أشياء كثيرة جداً.. واتوقف على كيفية النظر إلى الحيوية..! هل هي حيوية صحة..؟!

وإذا نظرت إلى الحيوية على أساس أنها صحة، اقول لك نعم. هذا ظاهر.. وإذا قلت لي أنه يوجد حوار في الشارع المصري، أقول لك هذا صحيح وظاهر.. لكن لا استطيع أن أقبل مقولة أنه منذ ٣٢ سنة لم يكن الشعب المصري في حيوية، فهذا غير صحيح ببساطة!!!

● **هل هذا رد على ما يقال بأن الفترة الماضية كانت فترة انغلاق؟ اظن أنه رد كاف..**

■ أي انغلاق؟!!.. انا في بعض الأحيان أصاب بذهول! قل لي: الانغلاق ماذا يعني؟! فأنا عندما أقول أن الشعب المصري في سنة ٥٦ أمام العالم كله، والعالم كان يقول إن الشعب المصري غير قادر على إدارة قناة السويس، فيها. هل هذا يعني إنغلاقاً؟! وعندما أممنا ما أممناه سنة ٦١، قالوا للشعب المصري: أنت ليس عندك كفاءات تمكنك من أن تدير ما أممته! ومع ذلك أتى ناس بدل الخواجات وادارو ه بنجاح منقطع النظير! وعندما نأتي الى السد العالي الذي ما زال يعتبر لغاية الآن معجزه في كل أفريقيا، بحيث نتعامل بتكنولوجيا العصر. وبتعاون العالم الخارجي وما الى ذلك..!

يا أخي، السد العالي على سبيل المثال، درسه البنك الدولي والأمريكيون وقالوا إنه شيء عظيم.. لكن عيبه أن الشعب المصري لا يستطيع أن يتحمل تكاليفه الفنية والمالية والهندسية و.. و.. وبناه! حسناً.. قد تقول لي أن الرأسمال الأجنبي كان يشاركنا، فأقول لك إن الرأسمال الاجنبي كان يشاركنا، حيث نكون محتاجين لتكنولوجيا الرأسمال الأجنبي هذا حصل في السد العالي، وفي قطاع البترول، وفي قطاع الكيمياويات.. وكل الكيمياء كانت في مصر بما فيها الأدوية! يا أخي، هل

ننسى أن شركة «فايزر» وشركات سويسرية صنّعت في مصر من سنة ١٩٦٠ و١٩٦١ و١٩٦٢ وحتى بعد قوانين التأميم؟! فيأتون ليقولوا انفتاحاً وانغلاقاً!! حسناً.. ما هو الانفتاح؟! وهل الانفتاح هو أن شارع الشواربي هو معناه التكنولوجية الخارجية؟! الانفتاح هو أن تجعل مديونيتك الخارجية اليوم زائدة عن ٢٣ و٢٤ بليون دولار! بينما لم تكن في عهد الانغلاق ـ كما نسميه ـ أكثر من ٣ مليارات دولار ثمن مصانع واسلحة من السوفيات لم نسدد ثمنها بعد.

هل هذا هو الانفتاح؟ أم ماذا! وعن أي أنغلاق يتكلمون؟ «معليش.. ربنا يسامحك يا أخي».

في الذكرى الرابعة عشرة لرحيل عبد الناصر

٢٣ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٤ .

في يوم كهذا من أيلول ـ سبتمبر كهذا، قبل ثلاث سنوات، كنا نحتفل بعي
الميلاد السادس والخمسين لمحمد حسنين هيكل في سجن ملحق مزرعة طر
وظللت طوال الوقت أتأمل تعبيرات وجهه عبر قضبان زنزانته المواجهة لزنزانتي
وهو يستمع صامتاً لكلمات المهنئين في أعجب احتفال بعيد ميلاده . ليلتها سأل
نفسي: أهي متعة أم عذاب أن يكون الانسان أحد شهود التاريخ من القمة؟

● الموقف العربي ـ ٧/ ١٠/ ١٩٨٤ ـ صلاح عيسى

استقبلني في غرفة مكتبه.

● **قلت: «كل سنة وانت طيب».**

■ قال: لو كان عبد الناصر حياً لكان اليوم في السادسة والستين من عمره فكيف كان سيكون حال الأمة لو لم يمض ـ ككل الأحلام الجميلة ـ قبل الأوان؟

٢٨ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨١ قررنا أن نحيي ذكرى رحيل عبد الناصر في السجن نفسه، كنوع من التحدي لكل ما كان قائماً. كان السادات أيامها في عنفوان نهايته، في الصباح علمنا أنهم يعدون معتقل جبل الطور في صحراء سيناء «المحررة» لينقلونا اليه قبل الغروب. كان هيكل يسير في فناء السجن الصغير وحيداً على غير عادته يشبك ذراعيه خلف ظهره، وكنت أطل من شرفة في الدور الأعلى أتأمل مشيته وأحاول أن استنتج ما يدور بين خلايا رأسه من حوار. في الليل تبارى الخطباء يؤبنون عبد الناصر عبر قضبان زنازين السادات. لم أعرف ـ إلا في ما بعد ـ أن خالد الإسلامبولي قد اتخذ ـ في الليلة نفسها ـ قراره بالقتل والاستشهاد، أما محمد حسنين هيكل فكان يتابع بانتباه لا يخلو من شرود ما يقال وكنت أتساءل: أهي متعة أم عذاب أن يكون الانسان واحداً من شهود التاريخ على القمة؟

ليلتها قلت: «سيأتي يوم أسأله عن ذلك».

قلت له:

● **في ذلك الـ ٢٨ أيلول ـ سبتمبر من عام ١٩٨١، وفي جلستك تلك وراء القضبان، فيم كنت شارداً؟ في الخطب التي كان تلقى، أم في الصديق الذي**

كنت في حياته مقرباً مكرماً مسموع الكلمة، فأصبحت بعد رحيله سجيناً، أم في الزعيم الذي كان مجد أمة ووطن؟ ما هي مشاعرك تحديداً في هذا اليوم القريب البعيد؟

أجاب محمد حسنين هيكل:

■ لعلها كانت مركباً من كل هذه المشاعر التي ذكرتها، وكنت منذ بداية اليوم أشعر أن هناك دمعة حائرة تطرق أبواب العين، لكني لم أذرفها ربما لأننا ـ كما تذكر ـ كنا نحيي الذكرى كنوع من التحدي لا من التوجع، ولم يكن يشغلني بالدرجة الأولى ما حدث لي، ذلك أنني كنت قد أخترت موقفي وحددت موقعي. وحتى في حياة عبد الناصر لم يكن الاختيار ككل اختيار حقيقي في حياة الانسان يخلو من مغامرة، فما أكثر الذين هاجموه في حياته، وما أكثر الذين فعلوا ذلك ضد كل الذين كانوا يساندون اجتهاده. وقد كنت أتوقع، منذ خلافي المعروف مع الرئيس السابق أنور السادات. أن يقودني إصراري على موقفي الى السجن، بل لعله تأخر بأكثر مما كنت أتوقع.

وفي لحظة من لحظات هذا اليوم تذكرت تفاصيل اليوم الأخير من حياة عبد الناصر، وتذكرت آخر كلماته في آخر مكالمة تليفونية سمعت فيها صوته: «أنا عايز استراحة طويلة». . وآخر نظرة القيتها على جسده المسجى هي كلها تفاصيل لا تغادر الذاكرة ولا القلب لا في أيام السرور ولا في أيام الحزن.

لكن الذي توقفت عنده ليلتها هو ذلك الحماس الذي دفع الجميع للاصرار على أن يتحدوا كل ما كان يمر بالوطن من ظروف بالاحتفال بذكرى عبد الناصر. فقد كان السجن ـ كما تذكر ـ يضم رموزاً لقوى وطنية عديدة ينتمي بعضها لما قبل ثورة يوليو، وينتمي الآخرون للثورة نفسها. وكان يضم كثيرين ممن اختلفوا مع عبد الناصر، أو اختلف معهم، أو شابت علاقته بهم وعلاقتهم به شكوك وريب وربما صدامات:

كان هناك أخوان مسلمون اصطدم بهم عبد الناصر، واصطدموا به حتى لقد حاولوا اغتياله.

وكان هناك وفديون ينتمون للحزب الذي اتهم عبد الناصر بأنه قد سلب نفوذه التاريخي على الشعب.

وكان هناك يساريون دخلوا السجن في عهد عبد الناصر، وها هم يدخلونه ـ بعد رحيله ـ دفاعاً عن أفكاره.

وكان هناك آخرون ينتمون لمدارس فكرية مختلفة ولاجيال متتابعة.

لذلك استمعت لكلماتهم في تأبين عبد الناصر باهتمام. وكان المشترك ما بين ما تقوله كل هذه المدارس الفكرية المختلفة هو الاحساس بأن الأمة فقدت كثيراً بفقد عبد الناصر، وكان اجتماع هذه الرموز في سجن واحد هو أحد مؤشرات هذه الخسارة. ساعتها أدركت أن هناك «سوء فهم تاريخي»، قد وقع بين هذه القوى كلها وبينها وبين عبد الناصر، وأن هذا قد أضاع على الأمة وعلى الوطن فرصاً لا تعوض. وربما أن هذه القوى أدركت، وعبد الناصر حي وقيادته قائمة، قيمة وجوده وقيمة دوره.. لو أننا جميعاً ـ وهو بيننا ـ أدركنا قيمة الحوار الحقيقي الذي تتفق فيه كل القوى الوطنية والقومية على تشخيص ما كان يواجهه الوطن، وما كان يواجهه من معارك ضارية وحجم القوى التي كانت تأتمر به.. لو أن ذلك كان قد حدث لما ضاعت الفرصة على الوطن وعلى الأمة.

● من هو المسؤول في رأيك عن ضياع هذه الفرصة؟

■ كل الأطراف بما فيها عبد الناصر. لقد تعودنا أن نتحدث كثيراً عن أهمية المنطقة، ونتحدث أكثر عن أهمية دور مصر وخاصة حين تجد زعيماً تاريخياً في ظرف محدد، والنتيجة التي تترتب على ذلك والتي أصبحت من المسلمات التاريخية التي لا تحتاج إلى مزيد من الاثبات، بل إن أعداءنا يدركون ويتصرفون دائماً على أساس معرفتهم بهذه النتيجة فيسارعون بشن الحرب الوقائية لذلك فتحوا النار مبكراً على زعامة عبد الناصر، وكانت حرباً مخيفة. ومع ذلك فقد انشغلنا جميعاً، بما فينا عبد الناصر، بردود الأفعال على كل ما هو آني ومؤقت. ولم يقف أحد ليسأل نفسه: «أليس من الواجب أن نطرح تصوراً للعمل الوطني يواجه ما سوف نتعرض له من تحديات، بدلاً من أن ننشغل بالفرع والتفصيل ؟».

● **ولكن عبْد الناصر كان قد طرح ـ آنذاك ـ مشروعه الأول في كتابه «فلسفة الثورة»، ومعنى هذا أن هناك تصوراً كان مطروحاً على الأقل من أحد أطراف الحوار أو من أقوى أطرافه؟**

■ «فلسفة الثورة» كان محاولة مبكرة جداً لذلك كان تصوراً محدوداً، وضيقاً، فقد كتب في بداية ١٩٥٣، ولم تكن الظروف جميعها واضحة آنذاك. وربما في عام ١٩٥٤ كانت الصورة قد اتضحت أكثر لعبد الناصر، وكان قد وجد أسس مشروعة لكن هذا التصور الذي وجده لم يطرح في اعتقادي لمناقشة واسعة، كما أن الأطراف الوطنية الأخرى لم تحاول بجدية كافية أن تتبين ما يجري خارج صفوفها، بل إن عام ١٩٥٤ كان للأسف ذروة سنوات سوء الفهم والتفاهم الذي شمل الجميع. الأخوان المسلمون الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ـ دون وجه حق ـ أصحاب الثورة ويتصرفون انطلاقاً من هذا الفهم فيطالبون بدور متميز سرعان ما قادهم بالفعل ورد الفعل وبتراكم المعارك الصغيرة إلى الصدام مع الثورة.

وهذا هو أيضاً ما حدث مع اليسار الذي لم يكن يتصور أن تقود القوات المسلحة تغيراً اجتماعياً أو تفتح له الباب. لذلك قابل الثورة بتشكك واستراب فيها، وكان هناك كثيرون يتحدثون، آنذاك، عن الليبرالية دون أن يكون هناك طرف موضوعي يتيح الفرصة لليبرالية حقيقية فأي ليبرالية في بلد جائع ومتخلف وتابع؟ لكنهم مع ذلك صادموا بتصورهم واصطدموا مع عبد الناصر به، وهذا ما كان: شغلت كل الأطراف الوطنية بمشاكل فرعية، وانهمكت في معارك جانبية. ومع أن مصر ـ وبالتالي الأمة والمنطقة ـ كانت مهيأة تماماً لحدث غير عادي يجري على مسرحها ويقودها لطفرة تتقدم بها وتنهض، فإن أحداً لم ينتزع نفسه من معارك كل يوم الصغيرة. . . وحتى بعد السويس التي كانت دليلاً لا شك فيه على طبيعة الظاهرة الجديدة التي يمثلها عبد الناصر، والطريق الذي يقود فيه الأمة، فإن هناك أطرافاً عربية ومصرية كثيرة لم تفهم معنى ما حدث ولا مدلولاته اللهم الا حزب البعث ـ رغم أية تحفظات ـ الذي تنبه مبكراً لدلالة دور عبد الناصر فساند بحماس تصديه للأحلاف والنتيجة أن الفرصة الضائعة خطأ اشترك الجميع في صنعه.

● **هل تعتقد أن هذه الفرصة الضائعة للفهم والتفاهم المشترك بين القوى الوطنية والتقدمية والقومية، هي العامل الذي ظل يتفاعل حين كدنا ـ بعد ٢٣ سنة من الثورة و ١٤ عاماً من رحيل عبد الناصر ـ نعود الى أوضاع شبيهة بما قبل ١٩٥٢؟**

■ لست ممن يؤمنون بأن الظواهر التاريخية يمكن أن تتكرر ولا ممن يعتقدون بأن التاريخ يمكن أن يعود إلى الوراء. ومع ذلك فإذا كان يشغفك أن تعقد مقارنات مع الماضي، فأنا أقول لك أننا ما زلنا نعيش في زمن الفرص الضائعة وننشغل بالفروع عن الأصول.. ولو نظرت إلى الساحة الآن لأدركت أن الأمة تعيش في حالة «دروشة» شاملة.

هناك «دروشة» باسم الديمقراطية يتشدد أصحابها وينسون أن الديمقراطية بلا بعد اجتماعي رطانة لا طائل من ورائها.

وهناك من يتدروشون باسم الدين، فلا يرون فيه إلا الحدود ولا يرون فيه شرائع. وقد يبدو ذلك كله عارض صحة، ولكنه في رأيي دليل على الخلل الذي حدث في كل شيء بعد رحيل عبد الناصر الظاهرة والاجتهاد والواقع. والنتيجة المنطقية: الحرب الشاملة التي شنت عليه بعد رحيله بنفس الضراوة التي كانت تشن بها في حياته. إن ضمير مصر وضمير الأمة أصبح مثقلاً بأكاذيب وألغاز ومعميات لا حصر لها. ويكفي أن جيلاً كجيلي مثلاً شاهد ثلاث حقب:

عشنا العهد الملكي، وعهد عبد الناصر، وعهد السادات، وها نحن نعيش في عهد حسني مبارك، وربما كنا ـ على تفاوت إمكانياتنا وقدرتنا على الالمام بحقيقة ما يجري وما كان يجري ـ نستطيع أن نميز بين الأشياء، وربما كانت عناصر كثيرة في جيل الوسط الذي تنتمي أنت إليه قادرة على بعض الفرز والتمييز، لكننا نكاد نصبح من شهود الماضي، أما الشباب الذي تكون وعيه خلال السنوات العشر الماضية أو يتكون الآن، فالأمر بالنسبة له كارثة، فهم قد سمعوا وربما ما يزالون يسمعون ـ ما يؤكد لهم ليل نهار ـ أن تحدي الاستعمار حماقة، وأن الدفاع عن الاستقلال مغامرة، وأن التحرر من التبعية الاقتصادية تجويع وإفقار، وأن الثورة مصطلح يعني: شعب سجين لا عمل لثواره الا أن يحرسوه في سجنه.

والنتيجة أنك أمام إدانة شاملة وكاملة لمحاولة أمة للنهوض وللتحرر، وهي محاولة ذات طابع خاص كانت تستحق عمقاً أكبر في الفهم وفي التقييم، ولكننا، كالعادة شغلنا بالتفاصيل وبالمعارك اليومية ولم نحسن القراءة في ملف التاريخ فانطلقنا نتدروش بالديموقراطية ونتدروش في الاسلام.

● **هل ما زلت تتمسك بمطلبك الشهير الذي رفعته في بداية حملة التشهير بعبد الناصر في عهد السادات، وكررته أخيراً في عهد الرئيس مبارك بتشكيل لجنة تحقق في كل الاتهامات التي وجهت لعهد عبد الناصر؟**

■ بل وألح عليه، فلا أحد يستطيع أن يفتح صفحة جديدة في التاريخ وهو ممتنع عن التصويت على ما سبقها من صفحات وهذا ليس ابتداعاً، فعندما دخلت قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديغول بالى باريس المررة كان أهم وأول ما فعل هو تقريره عن المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي. لقد وجد ديغول أن من واجبه أن يطلع الأمة الفرنسية وأكثرها ارتباطاً بماضيها وتعلقاً بمستقبلها لتعرف من قاوم ومن خان، ومن هزم ومن هزم نفسه.

ولماذا نذهب بعيداً في الأرجنتين جاء الحكم المدني الذي أعقب الحكم العسكري، فكان أول ما فعله أن حقق في كل ما جرى في عهد أسلافه. كانت هناك إشاعات كثيرة تملأ الدنيا كلها حول ظاهرة حساسة هي ظاهرة اختفاء عدد كبير من المواطنين الأرجنتينيين. وجاءت نتيجة التحقيق تقول أنهم ٣٥ ألف شاب وشابة، ومع ذلك فهناك من قالوا ويقولون حتى اليوم أن ما حدث في مصر عبد الناصر هو أسوأ مما حدث في الأرجنتين. وعندما طالبت بفتح ملف ما يسمى بقضية «حقوق الانسان» في عهد عبد الناصر التي تكلم فيها كثيرون في حياته، وبعد رحيله، فطالبت بتشكيل لجنة عالمية للتحقيق في هذه القضية وإصدار حكم فيها أو بإحالتها لاتحاد المحامين العرب ليحقق فيها... فوجئت بالمدعي الاشتراكي السابق يقول لي في عام ١٩٧٧: «أنت تطالب بتدخل أجنبي في شؤون مصر الداخلية» (.)

● **ولكن الحكم الرسمي في القضية قد صدر، يا أستاذ هيكل، وما يقال الآن أن الجميع : محمد نجيب وعبد الناصر والسادات هم مرحلة تاريخية ممتدة وتطور طبيعي، وأن اجتهادات كل منهم كانت صحيحة وأن أحداً لم يخطىء على الإطلاق؟**

■ لا أعتقد أن هذا حكم في موضوع القضية. أنه حكم بعدم الاختصاص أو بترك القضية دون حل.

● **ربما يعتقدون أن هذه مناظرة تاريخية لا تحتمل ظروف الوطن الانشغال بها وأمامه مشاكل معقدة لا حصر لها تتطلب المواجهة؟**

■ الحملة على عبد الناصر لم تكن، في تقديري، صدفة، أو حماقة، أو مشورة أصدقاء سوء، فقد تولى أنور السادات الحكم في ظروف كانت هناك قوى دولية وأقليمية تسعى لهدم تجربة عبد الناصر. ومن المؤسف أنه شارك في هذا بصرف النظر عن الخلاف حول ما إذا كان قد فعله بوعي أو بدون وعي. ولم يكن الهدف من هدم التجربة الانتصار في مناظرة تاريخية أو الثأر من خصم عنيد رحل، لكن الهدف كان، بوضوح وصراحة، إخراج الجيش المصري من حلبة المواجهة مع «اسرائيل»، وإخراج مصر كلها من مكانها في المنطقة. والنتيجة أن الخلل قد أصاب كل شيء، ثم أن المشاكل التي ننشغل بها ليست بعيدة عن الحكم في هذه القضية الهامة، بل ربما كان الحكم فيها هو جوهر متراكم من المشاكل بلا حل. فأنت لا تستطيع أن تواجهها دون تشخيص من أصغر مشكلة إلى أعقدها.

يقولون مثلاً إن القطاع العام الذي بناه عبد الناصر هو الذي خرب الاقتصاد المصري وعقد مشاكله. حسناً. الميزانية الأخيرة في مصر تقول أن القطاع العام حقق أرباحاً قدرها ٦٥٠ مليون جنيه في حين أن الضرائب التي دفعها القطاع الخاص لم تزد عن ١٠٠ مليون جنيه، رغم كل ما يقدم له من تسهيلات. ويقولون أن الميزانية الأخيرة تتضمن عجزاً يصل الى ٥,٤ مليارات جنيه، مع أن الناس كانت تنتظر أن يكون عام الرخاء هو ١٩٨٠، وظلوا يسمعون بعده أن الاقتصاد يتقدم وينتعش، فماذا جرى وقاد لكل هذا؟

أليس هذا سؤالاً في صميم ما نعانيه من مشاكل؟ ألا يتطلب فعلاً فتح الملفات وإصدار أحكام على الجميع بدلاً من التسوية بينهم؟

● **هل تعتقد أن تأثير الحملة ضد عبد الناصر على وجدان الأجيال الجديدة أسوأ مما تمر به الأمة الآن من ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية؟**

■ بل جزء رئيسي في مكونات ما نواجهه الآن، بعد أن أصبحت «اللامبالاة» نشيداً قومياً وأدار الناس ظهورهم لما يجري. فقد كانوا يعيشون حلماً كبيراً، وفجأة قيل لهم بالإلحاح كل صباح: «كنتم مخدوعين»... لقد كان كابوساً. وحين تخلع عن الأمة إحساسها بما أنجزته في الماضي تخلع في الوقت نفسه جانباً هاماً من إرادتها في تحقيق حلم آخر في المستقبل، بل تفقدها ثقتها بنفسها خاصة وأن الحملة انتقلت من الكلام إلى الفعل وتحقق «الكابوس» بدعوى أنه «الحلم» بعد إن انتزعت مصر من مكانها في الوطن العربي وفي العالم وشللنا من المحيط الى الخليج. لذلك لا تدهش حين تجدنا وطناً عربياً بلا إرادة، ولا اتجاه حركة، ولا تصور، ولا حلم لأننا بلا نقطة ارتكاز.

● **يقولون بأن ثورة يوليو - تموز تجربة كانت وانتهت، وأنها أصبحت فعلاً ماضياً قال ما لديه وانتهى. ولذلك يطالبون بنقل الملف إلى دار الوثائق للحفظ..**

■ الثورة حدث تاريخي لا يتكرر كثيراً. وأنا أعتقد أن الشعب المصري عاش أربع ثورات أو تحولات كبرى في تاريخه الحديث والمعاصر وكانت كل ثورة تنجح تتحول بالطبيعة إلى نظام يبقى ويحتفظ بوشائج قوية أو ضعيفة بالثورة التي منحته مشروعيته. وهذا ما حدث نتيجة لليقظة التي قادها محمد علي الكبير في أوائل القرن الماضي. فمع أنه رحل إلا أن النظام الذي أرساه ظل قائماً في حكم أسرة محمد علي، ولحقته تطورات ظلت تبعد به عن التحول الذي قاده صاحب المشروع الأصلي ومنحه به مشروعية بقائه. لذلك قامت الثورة العرابية على انقاضه كمحاولة أخرى لتحقيق الحلم القومي بالاستقلال والتحرر. ولأنها فشلت فهي لم تترك نظاماً. ثم كانت ثورة ١٩١٩ التي تمخضت عن نظام شبه ليبرالي بعد

أن انتهت هي نفسها باعلان دستور ١٩٢٣ فظلت علاقة الثورة بالنظام تتباعد سنة بعد أخرى، خاصة حين اضطرت للتراجع أمام الانقلابات الدستورية المتوالية حتى تحلل النظام تماماً وانهار وقامت ثورة ١٩٥٢.

وأنا أحد الذين يعتقدون بأن الثورة نفسها كحدث تكاد تكون قد توقفت بموت عبد الناصر. ومعنى هذا أن الحدث الثوري في مصر قد استمر فترة طويلة نسبية، وصحيح أن مبادىء الثورة باقية وحلمها ما زال ملهماً للحاضر وللمستقبل، لكن النظام الذي أنشأته يمر الآن بأزمة عسيرة جداً. فهذا النظام يستمد شرعيته من هذه الثورة ومع ذلك فإن الصحف التي تعبر عنه تعتذر للتاريخ كل صباح عن شرعيتها.

● **ماذا بقي من الثورة تحديداً؟**

■ ثورة يوليو، شأن أي ثورة في الدنيا، كانت تقوم على ثلاثة أجنحة:

جناح الحلم: وهو الجناح الذي كان عبد الناصر يمثله باعتباره صاحب تصور جديد للمشروع القومي يحرك حوافز التغيير والحركة والانتقال والنهضة.

وجناح كانت مهمته تنفيذ مشروع الحلم، وقد تكون من مجموعات واسعة من التكنوقراطيين والبيروقراطيين الذين كانت مهمتهم تنفيذية محضة. وقد دفعوا جميعاً إلى مواقع أكثر تقدماً من انتماءاتهم الطبقية والفكرية، ومن وعيهم بحكم المناخ الثوري العام الذي نشره جناح الحلم في الوطن وفي الأمة.

أما الجناح الثالث، فكان مسؤولاً عن تأمين الثورة.

وبرحيل عبد الناصر مات الحلم وارتفع الضغط عن التكنوقراطيين والبيروقراطيين فعادوا مرة أخرى إلى مواقعهم الفعلية وإلى انتماءاتهم الحقيقية. فوزير المالية والاقتصاد الذي وضع في عهد عبد الناصر مشروعات قوانين التأميم الواسعة عام ١٩٦١ هو نفسه الذي وضع بعد ذلك بـ ١٣ سنة وفي عام ١٩٧٤، قوانين الانفتاح الاقتصادي. ولأن ثورة يوليو، لظروف وتحديات تاريخية، لم تترك للأسف تنظيماً شعبياً يحمي مبادئها، ولأن حلمها قد غاب، فان نظامها الآن يتعرض لأزمة حقيقية ويعتمد أساساً على التكنوقراط ويفتقد للحلم. فإلى أي مدى

تستطيع أن تقول أن هذا الحكم متصل ومنبثق عن الثورة التي أنجبت هذا النظام؟

● **هذا سؤال أرجو أن تأذن لي، يا أستاذ هيكل، أن أعيد توجيهه إليك؟**

■ لهذا طالبت بأن نعيد تقييم الماضي، وأن نحقق في كل ما أثير حول الحقبة الناصرية والساداتية تحقيقاً دقيقاً ونزيهاً ومحايداً، لا أن نكتفي بأن نفتح ورقة من هذا الملف وورقة من ذاك ثم نغلق الملفات ونساوي بين الجميع.

● **الا تعتقد أن انصاف ثورة يوليو مسألة تتجاوز التقييم التاريخي إلى تحديد اختيارات قد لا يكون وضع مصر الرسمية مما يتحملها؟**

■ أن تعرف أين أنت، وإلى أين تريد أن تصل، لا يعني أنك مطالب بأن تحدث انقلاباً في أحوالك في اللحظة والتو، ولكن على الأقل تختار اتجاهك وتعثر على الخريطة التي تقودك في الطريق المجهول ودون ذلك فسوف تتوه أقدامك في ذلك المجهول.

● **هناك فكرة شائعة في الوطن العربي تقول إن المشروع القومي الذي بلغ أقصى حده في عهد عبد الناصر، قد أفلس وأثبت عدم قدرته على تحقيق طموحات الأمة.. فما رأيك؟**

■ أي مشروع قومي يقوم عادة على حقائق تاريخية مؤكدة نشأ عنها، ويستند إلى ثوابت في حياة الأمة. ولسنا في حاجة إلى إثباتها في ما يتعلق بالأمة العربية، ولكن فليدلني هؤلاء على مشروع قومي نجح منذ المحاولة الأولى.

المشروع الأوروبي، وهو ليس مشروعاً قومياً بالمعنى الدقيق للمصطلح، ولا يتجاوز نوعاً من التعاون الدولي ومع ذلك فهو يسعى لتحقيق نفسه منذ قرنين كاملين من نابليون إلى بيسمارك إلى هتلر إلى اليوم. وهو مشروع كبد البشرية لكي يتحقق حربين عالميتين وأفرز أسوأ ظواهر عصرنا وهي الفاشية والنازية والصهيونية. ومع ذلك فإن العالم يتحدث عنه باعجاب كنموذج ومثال في التعاون الدولي بين بلدان قارة أثمر السوق الأوروبية المشتركة، وقد يثمر مجالات تعاون أوثق في المستقبل.

فلماذا يتصور أحد أنه كان على المشروع القومي العربي أن يتحقق خلال جولة واحدة؟ ولماذا يتوهم آخرون أن فشل مرحلة من مراحل تحقيق المشروع القومي العربي، بسبب ظروف موضوعية وتحديات خارجية، يعني فشل المشروع ويوجب نقله إلى ملف التاريخ؟ وعلى عكس ما يقول هؤلاء، فإنني أرى أن قيمة تجربة عبد الناصر أنها أثبتت أن المشروع صحيح وصالح وقابل للتحقق وللتكرر أيضاً لأن أساسه التاريخي صحيح وقائم. وحين تكون القوانين صحيحة ومتفقة مع ثوابت التاريخ زماناً ومكاناً فسوف تجد الوسيلة التي تعبر بها عن نفسها.

● **الذين يقولون بهذه الفكرة ينطلقون أحياناً من القول بأن فشل الوحدة المصرية ـ السورية قد خلق نوعاً من الحساسية والإحباط يجعل تكرار تجربة الوحدة صعباً أو شبه مستحيل.**

■ أخشى أن أقول إن هذا ليس صحيحاً، بل إن تجربة الوحدة المصرية ـ السورية أثبتت أن الوحدة ممكنة ـ ربما لم تكن الظروف الدولية ملائمة، وربما كانت قوى المتآمرين على الوحدة أقوى من إمكانيات الساعين إليها، لكن هذا شيء آخر غير الإقرار بفشل المشروع القومي وانتهاء دوره. لقد استشهد ألف مواطن سوري يوم الانفصال ذاته دفاعاً عن الوحدة التي لم تفشل، ولكنها ضربت ضرباً من الخارج، وأنا أعتقد أننا نمر الآن بفترة ضياع تعقب عادة كل ضربة يتلقاها الحلم حتى تستكمل الأمة قواها مرة أخرى وتحاول تحقيق مشروعها من جديد. وهذا هو السبب في انتشار هذا النوع من الأفكار اليائسة.

● **هناك رؤية أخرى تقول أن جانباً من قدرة عبد الناصر على أن يحقق النجاح لمشروعه بدمجه للمشروعين القومي والاجتماعي وحله للتناقض المفتعل *بين التحرر والعدل وبين الوحدة والاشتراكية*. *وهؤلاء يطالبون، في* ضوء رصدهم لما مضى، ورصدهم لالحاح المشروع الديني في طرح نفسه في السنوات الأخيرة، بأن يكون المشروع الاسلامي رافداً ثالثاً من روافد المشروع القومي في حركته القائمة أو القادمة فماذا ترى؟**

■ لا أظن أن أحداً منا، حتى على المستوى الشخصي، هو صاحب هوية أحادية.

فلكل إنسان جسم ولون ووطن وعمل وقومية وتركيبة فيزيولوجية وأخرى سيكولوجية، لكنه في النهاية كيان واحد. وحين نتكلم عن اللغة أو التكوين النفسي المشترك أو الثقافة كثوابت في المشروع القومي العربي فلا يمكن إلا أن يكون هذا إيماء مباشراً إلى ١٤ قرناً هي تاريخ العرب في الاسلام. إنه في النهاية كيان واحد فلماذا لا يكون القلب هو الدين؟ ولماذا لا يكون العقل هو العلمانية؟ أما الجلد الذي يجمع كل هذه المكونات في كيان واحد فهو الجسم. وأنا أقول بصراحة إن المشروع القومي شيء، وتحويل الدين الى قومية شيء آخر تماماً. إن هناك خصوصية عربية داخل البحر الإسلامي، وهي خصوصية تشكل كياناً صالحاً لكي يشكل أمة لأن الإطار الذي يصنع أمة يحقق أمناً وأنا مثلاً أعتبر الدين إيماناً يقينياً، لكني لا أعتبره أمناً قومياً، ولا أجد رابطة أمن تربطني بالملايو أو بأندونيسيا وأن أمنهما ورفاهيتهما تهمني.

● **هل تعتقد بأن هناك فارقاً بين المصطلحات الثلاثة: عبد الناصر، والناصرية، والناصريين؟**

■ عبد الناصر ليس في حاجة إلى تعريف. وقد تحدثنا عنه من قبل باعتباره ممثلاً لجناح الحلم في الظاهرة التاريخية المعروفة باسمه. والناصرية ببساطة هي المحصلة الايجابية للتجارب والأفكار والممارسات التي قام بها عبد الناصر لتحقيق مشروعه القومي بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٧٠.

● **والناصريون؟**

■ هذه هي المسألة المعقدة، وفي حياة عبد الناصر كان كثيراً ما يقول: «إن مشكلتي الكبيرة هي في الذين يختارون علمي». وكان يقول: «إنني أستطيع أن أختار أفكاري، لكنني لا أختار أنصاري ومن ينسبون أنفسهم إلي. هناك كثيرون يقفون تحت سارية العلم الذي رفعته لكنهم ليسوا، بالضرورة جميعاً شيئاً واحداً».

● **هل فاتحك أحد في الانضمام إلى مشروع من المشروعات المطروحة لتأسيس حزب ناصري في مصر؟**

■ كثيرون، لكنني اعتذرت شاكراً. فلست أظن أنني ممن يجدون أنفسهم خارج إطار المهنة التي وهبت لها عمري. لكن ذلك لا يعني أنني لست صاحب رأي في الموضوع، ولذلك قلت وما زلت أقول إن الحديث عن أي تنظيم ناصري لا بد وأن تسبقه خطوتان هامتان، الأولى: أن تلتقي القوى التي تنسب نفسها للناصرية بصرف النظر عما بينها من خلاف آني أو تاريخي فكري أو شخصي أو عما ارتكبه هذا الطرف أو ذاك من أخطاء لكي تقوم بعملية فرز أولية تجيب بها على سؤال هام وهو: «من هو الناصري؟» وتضع معياراً دقيقاً لهذا ولا يكفي أن يزعم الانسان لنفسه أنه ناصري، ولا يكفي أن يكون ممن عملوا أو تعاملوا مع عبد الناصر. فالسادات كان يعمل ويتعامل معه.

أما الخطوة الثانية فهي لقاء يضم هذه القوى ليبحث الأصيل في تراث الناصرية القابل للبقاء والاستمرار، والفرعي والمرحلي الذي انتهت مبرراته، ولكي يقدم الناصرية كمشروع قابل لأن يجذب إليه الناس في ظروف الثمانينات.

وأنا أعتقد أن هناك متغيرات كثيرة حدثت منذ رحيل عبد الناصر تتطلب اجتهاداً خلاقاً من الناصريين، فحين يتصور أحد أن يعود إلى سياسة عدم الانحياز على النحو الذي كان يأخذ بها عبد الناصر ويطبقها قبل عام ١٩٦٧، فهذا شيء لم يعد قابلاً للتحقيق، بحكم ما استجد من ظروف في المنطقة وفي العالم. وحتى الارادة المستقلة ذاتها تتطلب خيالاً سياسياً جديداً لممارستها في ظروف عالم اليوم. وهناك ما يحيط بقضية الوحدة العربية من ظروف داخل الأمة وخارجها. كيف نحققها أو نسعى إليها أو نخطط لها ونحن على مشارف منتصف العقد الثامن من القرن؟ هاتان الخطوتان مهمتان أعتقد أن الحديث عن تنظيم ناصري قبل تحقيقهما أمر لا يستقيم.

● **هل تعتقد أن للناصرية مستقبلاً في مصر، أم أنها أصبحت جزءاً من تاريخها؟**

■ أنا أعتقد أن مستقبل مصر ناصري ليس بمعنى ما كان ولكن بمعنى تطوير الأفكار

الأساسية التي تركها والتي لم يخترعها. فمشروع عبد الناصر قريب الشبه جداً من مشروع محمد علي وإن اختلف البعد القومي والبعد الاجتماعي بينهما، وجوهره أن تكون مصر قوية، مؤثرة في المنطقة ومنتمية إليها وفاعلة فيها. وبهذا المعنى أقول إن مستقبل مصر ناصري. ومن الأفضل طبعاً أن تكون هناك قوة ناصرية منظمة، ولكن ذلك لن يتحقق قبل أن ننقد أنفسنا وننقد الآخرين، وقبل أن نعيد النظر في تراث عبد الناصر لنفرق بين الثابت والأساسي والباقي والمتغير والمرحلي والفرعي.

● **ما هو جوهر العلاقة التي كانت تربطك بعبد الناصر الذي جعلها تبقى لفترة أطول في حين انقطعت علاقات أقدم من علاقتك معه؟**

■ السبب، في رأيي، هو أن الخطوط لم تتشابك بيننا. فمنذ اليوم الأول كان واضحاً أن خطوطنا لن تتشابك إذ لم تكن لي مطامع، وقد ظللت صديقاً له طوال سنوات ولم أطلب منه يوماً أن يوظف قريباً لي، ولم أطلب من أحد من وزرائه مطلباً لأحد ينتمي لي أو حتى لنفسي. والأهم من هذا أن آراءنا الرئيسية لم تتصادم. فقد وصفت علاقتي معه من قبل بأنها علاقة حوار لم ينقطع وظللت حريصاً على هذا لأن الحوار، حين يكون الأمر بعيداً عن المطامع، يخلق دائماً الثقة المتبادلة. وصحيح أننا اختلفنا كثيراً، ولكنه كان واثقاً من أنني أتكلم من موقعي كطرف محاور معه، وليس من أي موقع آخر، وبالتالي لم يحدث تشابك في الخطوط.

● **متى بدأت علاقتكما تحديداً؟**

■ هناك فارق بين اللقاء والمعرفة، وبين هذه وبين الصداقة. لقد التقينا أول مرة ولم نتفق في آب ـ أغسطس ١٩٤٨ في عراق المنشية أثناء الحرب العربية ـ «الاسرائيلية» الأولى. وكان هو قد حارب في معركة ضد مستعمرة «نكبة» عرفت بها وأنا أتجول في ميدان القتال كمراسل حربي، فطلبت لقاء قائد المعركة وقادوني إليه في قيادته في أحد المباني التي كانت ـ في عهد الانتداب الانكليزي على فلسطين ـ مركزاً للشرطة وكان يقيم في «بدروم» المبنى يستعد للنوم. وقبل أن أبدأ الحديث راح يهاجم ما تنشره الصحف من أخبار كاذبة عن مجريات الحرب، وقال لي: «إن

الصحف تنشر أنباء الانتصارات، قبل أن تتحرك القوات. وبعدها بفترة عاد هو إلى مصر وكنت أنا وقتها في سوريا أتابع انقلابي حسني الزعيم وسامي الحناوي وحين عدت فاجأني بزيارة في مكتبي بـ «أخبار اليوم» وكان معه صلاح سالم وقد فتح مناقشة حول ما كتبته عن ما جرى في سوريا. وفي المرة الثانية جاءني يطلب نسخة من كتابي «ايران فوق بركان» الذي كان يروي تجربة الزعيم الايراني «محمد مصدق» ويحتج لأن ثمنها كان عشرة قروش أكثر مما يطيقه الذين يريدون أن يعرفوا ما يجري في ايران وفي غير ايران.

وكانت المرة الرابعة يوم حريق القاهرة في ٢٦ يناير ـ كانون الثاني ١٩٥٢ وقد التقيت به في الطريق مصادفة وسرنا معاً في شارع فؤاد (٢٦ يوليو الآن).

أما الخامسة فكانت يوم ١٨ يوليو ـ تموز ١٩٥٢ في بيت اللواء محمد نجيب، وكان النقاش يدور حول قرار الملك بحل مجلس إدارة نادي ضباط الجيش الذي كان للضباط الأحرار نفوذ فيه وكان هناك تفكير في مقاضاة الحكومة بسبب قرار الحل. أذكر أنني قلت خلال المناقشة: لقد فشل الجيش في أن يحافظ على كرامة الوطن في حرب ١٩٤٨، فهل يفشل حتى في الدفاع عن كرامته هو نفسه؟ وقال لي عبد الناصر: «ماذا تريد أن يفعل الجيش؟ هل نقوم بانقلاب عسكري حتى يتدخل الانكليز كما حدث أيام عرابي؟».

فاقترحت أن يذهب ٢٠٠ ضابط إلى قصر عابدين ويكتبوا أسماءهم في سجل التشريفات مطالبين بتغيير في أوضاع البلاد السياسية. وتفرع الحديث وانفرد هو وعبد الحكيم عامر الذي كان يصاحبه بمحمد نجيب لدقائق، ثم انصرفا. وحين خرجت بعدهما بقليل عرضت عليهما أن أوصلهما الى أي مكان يريدان. ونحن في الطريق تحدث عبد الناصر وكان واضحاً أن هاجس عرابي يقلقه، لذلك سألني: هل تعتقد أن الانكليز يمكن أن يتدخلوا لو قام الجيش بتحرك سياسي ما؟ وكان من رأيه أن هذا مستحيل، فقدمت مبرراتي وقلت: «إن الانكليز مشغولون في ايران، ولن يفتحوا جبهة جديدة في مصر بتدخلهم. وقلت بأن تشرشل متهم بأنه داعية

حرب ولن يثبت التهمة على نفسه بتدخل عسكري في مصر. وقلت إنني أعرف من عملي الصحافي أن السفير البريطاني في مصر وقائد القوات العسكرية في منطقة القناة قد سافرا وهذا يعني أن مؤسسات التدخل في حالة سياسية وتنفيذية لا تسمح له» وكان عبد الناصر شغوفاً بالحديث. لذلك أصر على أن نواصل الحوار. وربما كان هذا اللقاء هو الذي وضع أساس صداقتنا. ذلك أن عبد الناصر كان في الواقع شغوفاً بالذين يستطيع أن يحاورهم ويستطيعون أن يحاوروه والحوار بالطبع شيء غير موضوعات الانشاء وكلمات الإطراء.

● **قلت وأنا أجمع أوراقي: ما رأيك في القصة التي تشكك في وفاة عبد الناصر والمنسوبة للجاسوس «الاسرائيلي» الدكتور علي العطفي الذي زعم أخيراً أنه كان يقوم بتدليك عبد الناصر كجزء من علاجه، وأنه استخدم نوعاً معيناً من السموم في هذا التدليك كان هو السبب في وفاته؟**

■ لقد جرت محاولات كثيرة لاغتيال عبد الناصر. وهذا لم يعد سراً وكان بعضها يعتمد على السموم كأسلوب للاغتيال، ومن بينها محاولة شهيرة جندت خلالها المخابرات الأميركية موظفاً من أصل يوناني بمحلات «غروبي» التي كانت تتولى الخدمة في بعض الحفلات الرسمية وقد دس السم فعلاً في فنجان قهوة كان سوف يقدم لعبد الناصر، ولكن يده ارتعشت بالفنجان فتخلص منه، كما اعترف بذلك في ما بعد. فحين أصيب ـ بعد عام ١٩٦٧ ـ بالتهاب في شرايين الساق بسبب مرض السكر، بدأ يتلقى علاجاً طبيعياً بالتدليك. وقد قال مرة أمامي أن أحد موظفي مكتبه هو الذي رشح له أحد المتخصصين في التدليك لكي يقوم بهذه المهمة، ولكنه لم يقم بها لوقت طويل ولا أعرف ما إذا كان هو الدكتور علي العطفي أو لم يكن. ولا أستطيع أن أحكم في الموضوع دون علم بكل تفاصيله.

● **ما هو الخاطر المباشر الذي يقفز إلى ذهنك في هذه اللحظة ونحن نلقي نظرة على الأمة في يوم مرور ١٤ عاماً على رحيل عبد الناصر؟**

■ هذا زمن الفرص الضائعة.

* * *

تذكرت بعد أن انتهى حوارنا أنني لم أسأله السؤال الـذي شغلنـي ذلك اليوم البعيد القريب من أيلول ـ سبتمبر: «أهي متعـة أم عذاب أن تكون أحـد شهـود التاريخ من على القمة؟».

عائد من أمريكا: لم نعد نخيف أحداً ١

حين انتهى هذا الحوار الخاص مع محمد حسنين هيكل، شعرت بأن الزميل الكبير لم يجب عن اسئلة، بقدر ما قدم تقريراً إلى القارىء العربي عن قضية اساسية هي الآن موضع جدل وتساؤلات وتحليلات كثيرة في المنطقة.

هذه القضية هي:

ماذا سيفعل ريغان في الشرق الأوسط بعد اعادة انتخابه؟

هل سيقوم، فعلاً، بدور تاريخي هو دور صانع السلام العادل والدائم في الشرق الأوسط؟ كيف ستتعامل الادارة الاميركية، خلال السنوات الأربع المقبلة، مع العرب ومع إسرائيل ومع المنطقة ككل؟

وكان محمد حسنين هيكل في أفضل موقع ليدلي بشهادته ـ المستندة إلى معلومات خاصة ـ في هذه القضية:

فهو عائد لتوه من الولايات المتحدة حيث امضى اسبوعين عاش خلالهما اللحظات الأخيرة من معركة الانتخابات، وقابل العشرات من صانعي القرارات السياسية في أكبر دولة في العالم.

واكتشف هيكل اموراً كثيرة مهمة وحقائق مزعجة.

وتحدث بصراحة في هذا الحوار الخاص الذي اجري معه بعد عودته من واشنطن، في باريس، حيث توقف لمدة أربعة أيام في طريقه إلى الهند.

وهذا هو الحوار:

● مجلة المستقبل ١٧/ ١١/ ١٩٨٤ ـ عبد الكريم أبو النصر

● **لماذا انتخب الاميركيون رونالد ريغان رئيساً لهم مجدداً وبأغلبية ساحقة؟ لماذا يشعر الاميركيون بأنهم في حاجة إلى ريغان مرة اخرى؟ هل هو رجل تاريخي في نظرهم؟ وبأي معنى؟**

■ هيكل: خلال وجودي في الولايات المتحدة لمتابعة معركة الانتخابات، سألني إبني ذات مساء: لو كنت أميركياً، هل كنت تختار ريغان أم والتر مونديل رئيساً لبلادك؟ اجبت على الفور: «ريغان». وبدت الدهشة على إبني، فشرحت له الأسباب التي تجعلني ـ لو كنت أميركياً ـ أفضل ريغان على مونديل، بينما كعربي لا أرى أي فارق بين الاثنين. لماذا اختار ريغان لو كنت أميركياً؟ لعدة أسباب أبرزها الآتية:

١: حين جاء ريغان إلى الحكم كانت الولايات المتحدة ـ نتيجة هزيمة حرب فيتنام وأزمة الرهائن وقضايا اخرى ـ فاقدة الثقة بنفسها، وتكاد تكون «ضعيفة» في تعاملها مع العالم. وقد استطاع ريغان أن يغير هذه الصورة ـ عموماً ـ ويفرض وجود الولايات المتحدة، سواء كنت تؤيده أو تعارضه.

٢: استطاع ريغان أن يفعل ذلك عن طريق تعديل موازين القوى في العالم وخصوصاً عن طريق سد الفجوة في مجال التسلح مع الاتحاد السوفياتي. صحيح أن ريغان انفق، في سبيل ذلك، اكثر بكثير مما كان يتهم الرئيس السابق كارتر به على صعيد النفقات العسكرية، وصحيح أنه حوّل اموالاً واعتمادات من مجال الخدمات الاجتماعية وغيرها إلى مجال الدفاع والتسلح، إلا أنه استطاع أن يعدل موازين القوى لصالح أميركا. ولا بد من الاعتراف بذلك، سواء كنت تتفق مع ريغان أو تختلف معه.

٣: نتيجة ذلك كله، وضع ريغان الاتحاد السوفياتي في موقف دفاعي، بينما كان موقف السوفيات أقوى في بداية عهده.

٤: سواء كنت تتفق مع ريغان أو تختلف معه، فلا بد من القول إنه استطاع أن ينعش الوضع الاقتصادي ويحسنه ويقويه. وهناك مؤثرات ملموسة في هذا المجال: فهناك نسبة نمو في الاقتصاد الاميركي واضحة وفعلية وإن اختلف الخبراء في تقديرها. واضحة خفت وكذلك نسبة التضخم. الدولار قوي والمواطن الاميركي يشعر بأن الدولار «يملك ويحكم» في العالم. وهذه أمور مهمة بالنسبة إلى الاميركيين.

ولا بد أن نضيف إلى ذلك كله أن ريغان رئيساً. ولأنني عربي أقول أن لا فرق بين ريغان ومونديل بالنسبة الينا وإلى قضايانا.

● **زرت الولايات وعهود عشرات المرات، وفي مهمات مختلفة وعهود مختلفة، منذ ١٩٥٢ إلى الآن. ما هي صورة العرب عند الاميركيين اليوم؟ كيف ينظر السياسيون والاعلاميون والخبراء وصانعو القرارات في الولايات المتحدة إلى العرب والمنطقة العربية اليوم؟**

■ هيكل: لم يسبق للولايات المتحدة أن أبدت اهتماماً ضئيلاً بالشرق الأوسط، كما هو الحال اليوم. لم أر في حياتي ضآلة في الاهتمام الاميركي بمنطقتنا وشؤونها كالذي لمسته خلال زيارتي هذه للولايات المتحدة. وهذا الاهتمام الضئيل، يتضاءل يوماً بعد يوم. بالنسبة إلى الولايات المتحدة، تبددت مصادر القوة العربية وينابيعها واستهلكت، فلماذا تهتم بالعرب وبالمنطقة العربية؟ لقد امضيت اسبوعين في الولايات المتحدة قابلت خلالهما ـ في واشنطن ونيويورك ـ كل من له رأي مهم، أو يمكن أن يكون له رأي مهم، في قضايا منطقتنا وشؤونها، من سياسيين وديبلوماسيين واعضاء في الكونغرس، وأعضاء في ادارة ريغان، وفي مجلس الأمن القومي، وصحافيين بارزين. وفي كل احاديثي معهم، كنت المس بوضوح أن الشرق الأوسط ليس هاجسهم، وأنه ابعد ما يكون عن اهتماماتهم الحقيقية والفعلية وعن اولوياتهم. ولمست بوضوح أن الأولويات عند ريغان،

بالنسبة إلى ولايته الثانية، معروفة ومحددة من قبله ومن قبل مستشاريه، وهي الآتية:

١: برغم الانتعاش الاقتصادي الذي تحقق في ولايته الأولى، فإن ريغان يدرك تماماً أن هناك عجزاً هائلاً في الموازنة يكاد يقارب ٢٠٠ مليار (بليون) دولاراً. وهذا يمكن أن يشكل عبئاً في المدى الطويل، ويزيد من البطالة ويعيد الانكماش الاقتصادي، إذا لم تتم معالجته. وهذا بدوره ينعكس على الاقتصاد العالمي، وخصوصاً الاقتصاد الغربي. لذلك فإن الأولوية عند ريغان، بعد اعادة انتخابه، ستكون اعادة ترتيب وتصحيح الوضع الاقتصادي الاميركي.

٢: أولوية اخرى عند ريغان هي العلاقات مع الاتحاد السوفياتي. أن ريغان أنه لا بد للولايات المتحدة أن تبدأ، في أقرب وقت، مفاوضات جدية مع الاتحاد السوفياتي للتوصل إلى اتفاق جديد للحد من انتشار الأسلحة النووية الاستراتيجية.

٣: تأتي، بعد ذلك، عملية ترتيب خلفية البيت الاميركي، أي الوضع في أميركا اللاتينية. وهذه، أيضاً، قضية مهمة بالنسبة إلى ريغان ومستشارية.

ماذا عن الشرق الأوسط؟

نتيجة لقاءاتي مع عدد من الشخصيات الاميركية، التي تشغل حالياً مناصب رسمية أو شغلت في العهود السابقة مناصب رسمية، يتبين بوضوح أن أزمة الشرق الأوسط تأتي في المرتبة التاسعة أو العاشرة، في سلم الأولويات الاميركية الحالية. فلا أحد يهتم بنا في واشنطن، ولم نعد نخيف أحداً.

● **والارهاب؟ أننا نلاحظ أن الولايات المتحدة تعيش هاجس الارهاب، سواء على صعيد الاهتمامات الرسمية أو على صعيد متابعة وسائل الاعلام الاميركية لهذه القضية. ألا تخاف أميركا مما تسميه «الارهاب» الآتي من منطقتنا؟**

■ هيكل: طبعاً هناك اهتمام اميركي بمنطقة الشرق الأوسط من زاوية «الارهاب»

لكن الارهاب ليس ظاهرة عربية، بل هو ظاهرة عالمية. فالذين اغتالوا انديرا غاندي أو الذين حاولوا اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني أو مرغريت تاتشر، هؤلاء ليسوا عرباً. لكن الاميركيين يتمسكون، أحياناً، بظاهرة «الارهاب» ليبرروا تأجيل بحث أية قضية اخرى من قضايانا، أو تأجيل ايجاد حل لأية أزمة من ازماتنا.

هل الاميركيون خائفون فعلاً من «الارهاب» العربي؟ لا اعتقد، وإن كانوا يحاولون الايحاء بذلك في بعض الأحيان.

وهناك، أيضاً، ظاهرة «العنف الاسلامي». وهذه الظاهرة يتحدث عنها الاميركيون بفضول. أنهم يشعرون أنهم يجهلون، فعلاً، ابعاد الصحوة الاسلامية في المنطقة، ويجهلون حقيقة العنف الذي تقوم به بعض المنظمات الاسلامية. وهم يريدون أن يعرفوا اكثر عن هذه الصحوة وهذه الظاهرة. وربما يشعر الاميركيون بشيء من القلق لأنهم لا يفهمون ابعاد الصحوة الاسلامية.

لكن ما أود أن اوضحه أن «الارهاب» ـ مثلاً ـ ليس عاملاً سياسياً تستطيع التحكم به، كعربي، وأنت تتعامل أو تتفاوض مع الاميركيين. «الارهاب» ليس سلاحاً بيدك، وهو لا يعطيك موقعاً أقوى وأفضل في التعامل مع الولايات المتحدة.

وهنا اعود إلى النقطة الأساسية التي تتعلق بنا: الاميركيون يعرفون كل شيء عنا، عن العرب. يعرفون أنه لم تعد في ايدينا اسلحة أو اوراق رابحة. لم يعد هناك حتى غموض في ما يتعلق بنياتنا وفي ما يمكن أن نفعله أو نقوم عليه. كل شيء ظاهر ومكشوف. نحن عراة أمام العالم.

● **لكن، برغم ما تقوله، لا يزال هناك في العالم العربي من يعلق امالاً على اعادة انتخاب ريغان. وهؤلاء يقولون إن ريغان الثاني سيحرك ازمة الشرق الأوسط وسيسعى إلى تحقيق السلام في المنطقة، وأنه قد يكون «ايزنهاور الثاني». وقد سمعنا الدكتور هنري كيسنجر يقول إن ريغان سيتمتع بحرية**

مناورة وأسعة خلال الـ ١٥ شهراً الأولى من ولايته الجديدة. فهل تعتقد أن ريغان سيستغل هذه الفترة ليقوم بعمل ما في المنطقة؟

■ هيكل: صحيح أن ريغان سيتمتع خلال فترة ١٢ أو ١٥ شهراً بحرية واسعة للمناورة والتحرك لن تكون هناك قيود مفروضة عليه، لكنه سيستغل هذه الفترة لتحقيق انجازات على صعيد القضايا التي لها الأولوية عنده وهي. الوضع الاقتصادي. والعلاقات مع الاتحاد السوفياتي. والوضع في اميركا الوسطى وأميركا اللاتينية. ثم أن أي رئيس في ولايته الثانية ـ خصوصاً إذا كان في عمر ريغان ـ يحرص على موقعه في التاريخ وعلى صورته في المستقبل. لذلك سيسعى ريغان إلى تحقيق انجازات حيث هناك فرص للنجاح.

أين موقع ازمة الشرق الأوسط في ذلك كله؟

هنا لا بد من القول أن ازمة الشرق الأوسط لم يعد لها وجود فعلي وحقيقي في اذهان المسؤولين الاميركيين وصانعي القرارات. والكثيرون يسألونك في واشنطن أو نيويورك: أين الأزمة؟ الشرق الأوسط لم يعد مستوفياً عناصر الأزمة. لم يعد يخيف أحداً. إذا لم تحل «ازمة الشرق الأوسط» فلن يحدث شيء، لن يحدث انفجار، وليس هناك خطر من عدم الحل. اذن، ليست هناك ازمة بالمعنى الحقيقي. هناك، في الواقع، ازمة داخلية في الشرق الأوسط وهي أن هذه المنطقة معرضة للتآكل من الداخل. لكن لا أحد يعترض على ذلك. وهذه قضية لا تهم أميركا. أنت لم تعد تهدد أحداً، لم يعد لديك ما يشكل عنصر ضغط على أميركا لكي تتحرك وتفعل شيئاً. أنت لم تعد تشكل خطراً. بل قد اذهب إلى ابعد من ذلك وأقول: ما هو الثمن الذي ستجنيه أميركا من أي تحرك في المنطقة؟ لم يعد هناك ثمن لأي تحرك.

أنا اعرف الاميركيين واتعامل معهم ـ احياناً من موقع المفاوض وأحياناً من موقع الصحافي ـ منذ ١٩٥٢. ولم اشعر في حياتي باللامبالاة وعدم الاكتراث من جانب الولايات المتحدة لقضايانا وشؤوننا، كما شعرت خلال زيارتي هذه، في واشنطن ونيويورك. لم يسألوني عن الشرق الأوسط بقدر ما سألوني عن السوفيات وعن الزعيم السوفياتي الراحل يوري اندروبوف.

حتى بعد هزيمة ١٩٦٧ كنا نستطيع أن نهدد ونخيف ونقول: اهتموا بنا وإلا فاننا سنشعل المنطقة. وكانوا يهتمون بنا. الآن، اقصى ما نستطيع أن نفعله هو أن نحرق انفسنا. . . وهم سيتفرجون علينا بلا اكتراث ولا اهتمام.

● **الا تعتقد أن هذا الاهمال الاميركي سينعكس سلباً على العلاقات العربية ـ الاميركية؟ ألا تتصور أن خيبة الأمل العربية ستكون كبيرة إذا لم تفعل ادارة ريغان شيئاً جدياً لمحاولة تحقيق سلام في الشرق الأوسط؟**

■ هيكل: هذه قضية خطيرة يتجنب الكثيرون مواجهتها لأنها تؤدي في النتيجة، إلى مأزق سياسي لا مثيل له. الواقع أن هناك شيئاً من التناقض في الموقف العربي من الولايات المتحدة: فالكثيرون من العرب يعرفون أنه يصعب الاعتماد على أميركا، ومع ذلك يجدون أنه لا بد من الاعتماد عليها!

لكن، ماذا يحدث إذا ادرك العالم العربي كله، عن قناعة، أنه لم يعد يستطيع أو يقدر الاعتماد على الولايات المتحدة؟ حينذاك سيضطر إلى البحث عن بديل. لكن أي بديل؟ خلال السنوات الماضية، وبالتحديد منذ عام ١٩٧٤ بعد فك الارتباط الأول مع إسرائيل باشراف الولايات المتحدة، اتخذت خيارات بكاملها لا مجال فيها لغير الدور الاميركي، وأصبح الكثيرون ـ ابتداء بالسادات ـ يقولون إن كل الأوراق في ايدي أميركا، وأميركا في يدها مفتاح الحل. وخلال تلك الفترة، ونتيجة هذه القناعة، فقد العرب جسورهم مع الكثير من دول العالم.

هذه فعلاً، قضية ومأزق كبير.

● **لكن، هل يستطيع ريغان تجاهل التقارب المصري ـ الأردني؟ ألن يعمل على دعم هذا المحور وتقويته عن طريق القيام بتحرك سلمي جديد؟**

■ هيكل: احدى مشاكلنا أننا نفكر بالمنطق الشرقي في تعاملنا مع الدول الكبرى، ونتصور أن منطق المجاملة يتحكم بتسيير الأمور والقضايا. أن المحور المصري ـ الأردني لن تكون له فاعلية ولن يكون له فاعلية على الطبيعة وعلى الأرض. بالطبع، التقارب المصري ـ الأردني له قيمة معنوية، وهو خطوة جيدة، لكنه لا يشكل عنصر ضغط ولا يضيف قوة جديدة إلى الوضع الذي كان قائماً قبل هذه

الخطوة. هذا التقارب في حد ذاته ظاهرة طيبة، لكن ليس له وزن كبير على طاولة المفاوضات.

● **يقول عدد من الخبراء في شؤون العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية أن هذه العلاقات هي الآن اقوى من أي وقت مضى... بل إن إسرائيل تقول إن ما قدمته للولايات المتحدة من خدمات يفوق، بقيمته، ما تلقته منها من مساعدات.**

■ هيكل: قضية العلاقات الاميركية ـ الإسرائيلية يجب أن تدرس بعمق، وبأبعد من مظاهرها الخارجية. صحيح أن إسرائيل قدمت خدمات كثيرة للولايات المتحدة، وهي من هذا المنطلق شريكة لها. لكن أميركا تدرك بوضوح أن إسرائيل تواجه ازمة عميقة جداً ـ مظاهرها اقتصادية واجتماعية وسياسية وأمنية ـ وأن فواتير هذه الأزمة ستدفعها الولايات المتحدة سواء بشكل مساعدات مباشرة أو غير مباشرة أو منح وهبات لا ترد. لقد لمست خلال زيارتي هذه أن هناك احساساً لدى عدد من الاميركيين بأنه مهما فعلت أميركا لاسرائيل ومهما قدمت لها من دعم ومساعدات، فإن إسرائيل ليست كياناً قابلاً للحياة وللاستمرار، خصوصاً على الصعيد الاقتصادي. وهناك احساس في أميركا بالمأزق التاريخي لاسرائيل، وهناك احساس بأن العلاقة الاميركية الاسرائيلية، مهما بدت قوية وعميقة الآن، فإنها في المدى البعيد علاقة هشة، معرضة للمخاطر، وقد يحدث فيها انقلاب لا يتصوره الكثيرون الآن. فمثلاً، هناك من يشعر في أميركا بأن إسرائيل تستغل السوق الاميركي وأنها تشكل منافساً ـ إلى حد ما ـ للاميركيين. وهناك من يتساءل: لماذا نخفض المساعدات للمشاريع التي تؤمن المزيد من الرفاهية للاميركيين أو تقدم لهم خدمات افضل، ثم نزيد من مساعداتنا لاسرائيل؟ وهناك شعور كامن لدى عدد من الاميركيين بالعداء للسامية. هذه كلها عوامل تثير القلق ـ لدى الاميركيين واليهود في أميركا ـ في المدى البعيد.

وباختصار، أميركا تعتبر أن إسرائيل هي في مدى السنوات العشر أو العشرين المقبلة عامل مساعد لتحقيق بعض الأهداف والخطط الاميركية لكنها في المدى البعيد تشكل عبئاً لا يحتمل.

● **الأولوية في السياسة الخارجية عند ريغان هي لمحاولة التوصل إلى اتفاق مع السوفيات للحد من انتشار الأسلحة النووية الاستراتيجية ألا تعتقد أنه ستكون للمفاوضات الاميركية ـ السوفياتية المقبلة انعكاسات على الوضع في الشرق الأوسط ؟ ألا يمكن أن يتم التوصل إلى صفة سرية بين الأميركيين والسوفيات حول الشرق الأوسط ؟**

■ هيكل: ليست هناك، حتى الآن، صفقة اميركية ـ سوفياتية حول المنطقة. ولا اعتقد أنه سيتم التوصل إلى مثل هذه الصفقة.

السبب؟ لأن السوفيات ليست لديهم، حتى الآن، اوراق كثيرة رابحة في المنطقة، برغم الظواهر التي قد توحي بعكس ذلك. السوفيات، الآن، متمركزون خصوصاً في اطراف منطقة الشرق الأوسط ـ كما نشاهد ذلك في افغانستان ـ لكن السوفيات خسروا عدة مواقع في قلب الشرق الأوسط. واشير، هنا، إلى قضيتين رئيسيتين:

السوفيات حاولوا تثبيت مواقعهم في مصر وفشلوا.

والسوفيات حاولوا تثبيت مواقعهم في ايران بعد قيام الجمهورية الاسلامية وفشلوا. اضافة إلى ذلك كله، نلاحظ أنه ليست هناك قيادات مستقرة في الاتحاد السوفياتي في السنوات القليلة الماضية، واتصور أن النظام السوفياتي يمر حالياً بمرحلة انتقالية. إذن، السوفيات ليست لديهم اوراق حقيقية كثيرة وقوية في الشرق الأوسط يعقدون على اساسها صفقة مع الولايات المتحدة حول المنطقة. إن كل الأوراق ـ تقريباً ـ في ايدي أميركا.

● **تعرف الهند جيداً، كما كنت تعرف انديرا غاندي من سنوات طويلة. ماذا يعني غياب انديرا غاندي؟ ما هي التهديدات التي تواجه الهند بعد اغتيالها؟ هل هناك خطر انقلاب عسكري؟**

■ هيكل: هناك قلق كبير جداً على مستقبل الهند بعد اغتيال انديرا غاندي. الواقع أن اسرة نهرو أمنت للهند، خلال الثلاثين والأربعين سنة الماضية، استمرارية على

صعيد السلطة، من نهرو إلى انديرا غاندي. وهذه الأسرة لها موقعها في النضال الوطني، وقد نجحت في أن تؤمن حكماً مركزياً قوياً وفي الوقت نفسه حكماً ديمقراطياً. وهذا امر مهم وأساسي وحيوي بالنسبة إلى بلد كالهند، مقسم إلى مجموعة كبيرة من الطوائف والأديان والأجناس والفئات. هذا الحكم المركزي - الديمقراطي رافقته سياسة تنمية واضحة حولت الهند إلى قوة لا بأس بها، إلى القوة التاسعة في العالم على الصعيد الصناعي، كما حولتها إلى قوة نووية. وهذا أمر مهم جداً بالنسبة إلى دولة كالهند محاطة بدول كبرى معادية لها، ولديها اوضاع داخلية معقدة جداً.

ماذا سيحدث بعد رحيل انديرا غاندي؟

الواقع أن مشكلة إبنها راجيف، الذي ورث الزعامة ورئاسة الحكومة عنها، مشكلة معقدة جداً، لأنه سيواجه في المرحلة المقبلة ضغوطاً كثيرة من الداخل ومن الخارج. ومن المفارقات أن المصاعب التي سيواجهها راجيف هي نتيجة النمو الذي حدث في الهند في ظل حكم اسرته: فهذا النمو اوجد طبقات قادرة على التفكير، كما اوجد فئات تبحث عن هويتها. وهذا يهدد بحدوث انقلاب عسكري؟ الواقع أن خطر الانقلاب العسكري موجود وكامن. لكن حدوث انقلاب عسكري لن يوحد الهند بل على العكس سيؤدي إلى تقسيم هذه الدولة وإلى تمزيقها إلى كيانات صغيرة مبعثرة. فالجيش الهندي ليس مؤلفاً من فئة واحدة بل من عدة فئات وطوائف، وهو صورة مصغرة عن وضع الهند المعقد. إن راجيف غاندي يواجه وضعاً بالغ الدقة والخطورة.

● **سؤال اخير لا علاقة له بالأوضاع السياسية بل يتعلق بك وبطموحاتك. سمعت كثيرين يتساءلون، في مصر وخارجها: لماذا لا يصدر محمد حسنين هيكل صحيفة يومية؟ هل يكفي أن يكون هيكل هو الكاتب السياسي العربي الوحيد الذي تنشر كتبه في عدة لغات وفي عدد كبير من دول العالم؟ ألا تفكر جدياً في اصدار صحيفة يومية؟**

■ هيكل: لا يمكن أن اكون راضياً كلياً عن وضعي الحالي: اصدر كل عام كتاباً،

اعطي مقابلات بين الحين والآخر اقول فيها رأيي. ايقاع الأحداث والتزامي المهني يفرضان علي اكثر من ذلك. الواقع أنه ليست هناك مؤسسة صحافية في مصر تتحمل وجودي فيها، وتتحمل نشر ارائي في مطبوعاتها بشكل منتظم. نعم، أنا افكر جدياً في اصدار صحيفة يومية، لكنني لن اصدر مثل هذه الصحيفة خارج مصر: مصر هي القاعدة وهي الأساس. لكن اصدار صحيفة يتطلب تصريحاً رسمياً. ولقد تقدمت بطلب شفهي ـ لا خطي كي لا اضع احداً في موضع حرج ـ للحصول على تصريح يسمح لي باصدار صحيفة يومية في مصر. ولم اتلق حتى الآن جواباً على طلبي. وأقول لك إنه في اللحظة التي احصل فيها على مثل هذا التصريح، فإنني سأصدر صحيفة يومية خلال ٦ اشهر، توزع في مصر ومختلف انحاء العالم العربي.

الحل في لبنان ليس قريباً

يمكن القول إن حديث الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن لبنان، في هذه الحلقة من أهم ما قاله صحافي ـ سياسي مطلع عربياً كان أو غربياً عن مأساة هذا البلد، ولكثرة ما كانت إجابته واضحة وصريحة على اسئلتنا فإنه كان يضطر في كل مرة يرمي فيها فكرة أو يقول رأياً إلى تهدئة خواطرنا بالتساؤل: صدمت أنت مش كده؟

هكذا هيكل دائماً بصراحته الممهودة. وعندما قرأنا الحديث بعد إفراغ كلماته من شريط التسجيل كانت صدمتنا أشد، فلقد أعدنا القراءة مرة إثر الأخرى، حتى إذا ما جلسنا مرة ثانية مع الاستاذ هيكل نقول له نحن رأينا بصراحة عن تشاؤمه بالنسبة لأوضاعٍ في لبنان. قال: «هذا ما أراه ولا استطيع أن أقول غيره!»

● مجلة الشراع اللبنانية ـ ٢٤ و ١٩٨٤/١٢/٣١ ـ حسن صبرا

كان السؤال الأول هو:

● **ما هي الصفة التي تعطونها للحرب في لبنان؟**

■ ما هي الحرب في لبنان؟.. لو حاولنا توصيف الحرب، فإنها تشبه عمليات تطهير الجيوب. لقد كانت الظروف مهيأة تماماً للحرب اللبنانية.

كان الوضع في مصر مضروباً من خلال عملية كامب ديفيد.. وكانت سوريا محاصرة ومعزولة سواء بسبب أخطاء داخلية. أو عن طريق محاولات خارجية. ثم بقية العالم العربي مشغول بمشاكله.. وبقي لبنان وسط هذا كله يمثل بؤرة تحوي المقاومة الفلسطينية.. فما حدث في لبنان محاولة لاقتلاع آخر بؤرة ثورية كانت موجودة في العالم العربي.. والحرب في لبنان إذن هي عملية إحراق أرض وتطهيرها. العملية الاسرائيلية الأميركية هي عملية تصفية حركة ثورية تتصور أو تدعي أو تزعم أنها تمثل بقايا الثورة العربية لكي لا تبقى بقية جذور على الأرض يمكن أن تعود للانتشار أو الأزدهار الخ. إذن معركة لبنان هي محاولة تصفية ما بقي من أوضاع عربية مؤثرة في دائرة الصراع العربي الاسرائيلي المباشرة.

● **ما هو دور القوى الداخلية في لبنان؟**

■ أنتم في لبنان تريدون دائماً ان تتصوروا أن هناك اثراً عربياً جيداً على أوضاعكم.

إنني أتصور أن لبنان واللبنانيين اخطأوا في تشخيص وصفهم..

إنني أعتقد أن هناك حاجة عربية لوجود لبنان.. فوجود لبنان مستقل وسيد ـ

كما يقول اللبنانيون ـ ولو أنني اختلف في تفسير معنى السيادة ـ هو ضرورة عربية، وينبغي الحفاظ على لبنان بهذاي الوضع كان هذا صحيحاً في الماضي وهو صحيح فيالحاضر، وسيظل صحيحاً الى فترة طويلة حتى تجد الأمة العربية طريقها الى وحدة أكبر وتستطيع تركيز نفسها بطريقة مختلفة. . إذن هناك دور للبنان لكن هناك فرقاً بين ان تتصور إنك تؤدي وظيفة معينة في وضع أكبر منك، وإن هذه الوظيفة تعطيك قدراً من الحرية كبيراً جداً، وبين أن تتصور إنك طرف فاعل. فهذه مبالغة لا تسمح بها الظروف.

القوى اللبنانية في لبنان هي «موزاييك» أو تركيبة متعددة أو متنوعة، وما يمسك بها في مكانها هو تماسك الوضع العربي حولها.

لو تصورنا الوضع العربي كجدار، وتصورنا أن لبنان موجود وسط هذا الجدار كلوحة جميلة جداً من الزجاج الملون، فإنه عندما ينهار الجدار أو ينكسر فإن الإطار يتأثر، وتلتوي أطرافه، وتقع قطع من الزجاج الملون وتفقد الصورة قيمتها.

البعض في لبنان يتصور أن لبنان بلد متوسطي. . وهذا غير صحيح، والبعض يتصور ان لبنان غربي في توجهه وهذا أيضاً غير صحيح. . والبعض يدعي أحياناً أنه ليست للبنان علاقة بالصراعات العربية. . وهذا بدوره غير صحيح. . ان ما يجعل لبنان، هو لبنان، كونه محصلة للاوضاع العربية، لبنان جزء من العالم العربي، وإن كانت القوى العربية أو المصلحة العربية تتطلب أن يبقى له تمايزه، لأنه بالنسبة لها أرض لقاء، وأرض تفاهم وأرض جس نبض أو إستكشاف نوايا، وأرض تبادل اشياء كثيرة جداً، منها التبادل الحضاري. . .

بهذا الوصف يصبح لبنان وظيفة. . فإذا تغيرت الظروف التي تصنع هذه الوظيفة، أو إذا نسي أصحاب الوظيفة طبيعة هذه الوظيفة، أو تصور لهم شيء آخر غير هذه الوظيفة، عندها فإنهم معرضون لأن يجدوا أنفسهو مختلفين مع التاريخ مع الواقع. . وهذا خطأ

إن ما أمسك بلبنان، وما جعل الصيغة اللبنانية ممكنة من عام ١٩٤٣ حتى الحرب الأهلية، هو محصلة المواقف العربية المحيطة بها، وبالتحديد مصر

وسرويا وعندما أختل الوضع بين مصر وسرويا كان لا بد أن يتأثر الوضع في لبنان. المشكلة أن بعض القوى اللبنانية تصورت ان اختلال الوضع بين سوريا ومصر يسمح للبنان أن ينفلت من وظيفته.. وعلى سبيل المثال فإن ما مثله بشير الجميل. وما مثلته الكتائب اللبنانية في مرحلة من المراحل كان محاولة للقفز فوق الواقع، وتصور أشياء غير صحيحة، منها ان لبنان يستطيع ان يقيم حلفاً مع إسرائيل في مرحلة، ويستطيع ان يعتمد على أميركا في مرحلة.. وهذا كلام غير طبيعي.. فاسرائيل سوف تظل قوة طامعة في لبنان. وأميركا سوف تظل بالنسبة للبنان قوة بر غير قادرة على شيء. إلا أن تستعمل قوة بر محلية.. فاميركا في الشرق الأوسطقوة بحر لا تستطيع أن تفعل الكثير.. وعندما تنزل الـ الشاطىء تكون منسوفة ومعرضة، وهذا حدث.. لذلك فإنني أقول إن حرب لبنان هي أطول حرب دخلتها اسرائيل، وهي أسرع حرب خرجت منها أميركا. إن أميركا في أية بقعة من العالم خارج الاطلنطي، هي قوة بحر، تستطيع ان تؤثر بتفوذها السياسي، وبقوتها الاقتصادية، لكنها في عمليات التدخل المباشر لا تستطيع أن تتدخل إلا كقوة بحر بالاساطيل.. وعندما تنزل الى البر فهي معرضة لأن تمسك بها قوى البر، وتعض في اللحم الحي.. وهذا ما حدث في لبنان ـ أميركا في لبنان، طوال ما كانت موجودة كطرف بعيد، كانت قادرة على التأثير، بل هي في خطر التهديد العسكري من دون استعمال القوة العسكرية. كانت قادرة على الفعل.. وعندما نزلت الى البر، استطاعت بعض القوى في لبنان أن تمسك باللحم الحي الاميركي، وتكبدها في ليلة واحدة خسائر فادحة اضطرت أكبر دولة في الدنيا أن تلم نفسها وتختفي في اليوم الثاني، مثل لص ضبط متلبساً فلاذ بالفرار.

● **هل كان نزول اميركا قراراً اميركياً أم هو فخ نصب لها وجرها الى مستنقع؟**

■ الاغلب أن هذا هو غرور القوة. وصلافة القوة.. وهو أنه مهما كانت الروادع أمام أي قوة معينة، ومهما كان الثمن الذي تتصور أنها قادرة على دفعه في ظروف طبيعة إن تدخلت في موقف معين، فإنها تأتي في لحظة وتتصور أنه من الممكن أن يكون التدخل سهلاً.

فالوضع الذي كان موجوداً بعد إنسحاب المقاومة الفلسطينية، وبعد اغتيال بشير الجميل، وبعد مذبحة صبرا وشاتيلا، يمكن، أن يكون الأميركيون قد تصوروا أنه لحظة مناسبة، وأن النزول إلى البر لن تكون له تكاليف كبيرة، وبالتالي نزلوا، ولكنه ثبت أن هذا غير صحيح أيضاً. . وثبت أن القاعدة التي تستطيع أن تفرض نفسها في ظروف عادية، قادرة أيضاً على فرض نفسها في ظرف استثنائي. . فمهما تصورنا وجود الفرص فإن ثوابت التاريخ تفرض نفسها في النهاية.

● **قلتم أن للبنان وظيفة عربية، فهل يفشل خارجها إذا سعى إلى غيرها؟.**

■ لبنان خارج إطار الوظيفة العربية سوف يفشل. . سوف ينفرط ببساطة، لأن لبنان مركب من عناصر كلها عربية. لكن بينها ما بينها تاريخياً، هناك مواريث لا يمكن اجتيازها في سنة أو عشرة أعوام. . وهذه المواريث حقيقية إنسانية وحضارية وسياسية واقتصادية. . وإذا نسينا هذا. وإذا ترك لبنان وشأنه، فإنه بحد ذاته لا يكون أمة. . عندما يقال «الامة اللبنانية» هذا غير صحيح. نعم هناك مشروع للشعب اللبناني. . لكن هذا المشروع للشعب اللبناني جزء من التركيبة العربية ومتداخل ومنسق في لبنان. . أقول هذا ضرورة وينبغي الحفاظ عليه. . لكن يجب أن نعرف أنه موجود كضرورة باعتباره وظيفة. . فإذا اخطأت واعتبرت فاعلاً اصلياً في المنطقة فإنك تقع في الخطأ. . .

● **إلى أي مدى يرتبط الصراع في لبنان بالصدام العربي الاسرائيلي؟**

■ الصراع في لبنان جزء من الصراع العربي الاسرائيلي. . إذا كنت أقول إن لبنان وظيفة، وإن العالم العربي كله مشتبك في صراع معين، صراع بقاء وصراع حضارة بشكل أو بآخر، صراع شامل اقتصادي، حضاري، إنساني قومي، فلا يمكن للبنان أن يبقى بمعزل عن هذا، خصوصاً إذا كان يؤدي وظيفة.

ما هو الصراع الذي حدث في لبنان؟. . إن الصراع الذي نتج عن اختلال موازين القوى التي كانت قادرة على أن تعطي لبنان الفرصة لتأدية وظيفته. بعض القوى في لبنان اخطأت حساباتها وتصورت انها تستطيع ان تجد بدائل أخرى لوظيفة لبنان العربية. وبالتالي حدث الخلل الذي نراه اليوم.

وأظن أن هذا كله يؤكد أن لبنان جزء من صراع الأمة، وهو الجزء الأكثر حساسية، فإذا كان هو النقطة التي يلتقي فيها العرب أو يختلف فيها العرب.. إذا كانت وظيفته أنه ملتقى الطرق، ومفترق الطرق. بين الأفكار والتيارات والمذاهب والثقافات والتجارة الخ، فإن ملتقى الطرق أكثر تعرضاً للمشاكل إذا انفرط التماسك من حوله.. ولا ينبغي لاحد أن يخطىء في هذا.. إن فترة انفراط العقد. فترة انفراط كل العناصر التي تؤدي إلى تماسك الوضع اللبناني، كان ينبغي أن تدفع كل الأطراف اللبنانيين، إلى حذر أكبر، وإلى تشبث بالمدافع أكبر. وليس أن تدفع البعض إلى مغامرات لدفع لبنان خارج الوظيفة اللبنانية وخارج الدور اللبناني، وهذا هو الخطأ الذى حدث.

ويجب ان أقول لكي أكون منطقياً إن الخطأ حدث من ناحيتين من الناحية العربية حدث خطأ وهو أن لبنان تحمل وحده ثقل الثورة الفلسطينية. وما كانت تريد أو تتمنى أن تفعله.. دون أن تكون قادرة على تحقيقه.. وفي الوقت نفسه كان بعض أخواننا الموارنة قد تصوروا أيضاً ما يتمنون أن يفعلوه دون أن يكونوا قادرين على تحقيقه.. وبين هذين الخطأين. تعرض لبنان لأكثر مما كان ينبغي أن يتعرض له.

فحتى ضرورات الصراع العربي الاسرائيلي، وحتى آثاره السلبية التي كانت موجودة في تلك المرحلة، وحتى انعكاسات هذا الصراع على الوضع اللبناني. كان من الممكن أن تكون أقل سوءاً مما كانت عليه لو أن كل الاطراف ادركوا حساسية الوضع اللبناني.

فمن ناحية الثورة الفلسطينية والاطراف العربية الأخرى كان ينبغي أن يكون هناك تقدير أكبر لدور الوضع اللبناني.

ومن الناحية اللبنانية أيضاً كان لا بد أن يكون هناك تقدير بأن هذا ليس فرصة سانحة للاستغلال بالهروب من الوظيفة وإنما هو مغامرة غير مأمونة العواقب بين هذين الخطأين في أعتقادي، تحمل لبنان والشعب اللبناني أكثر مما كان ينبغي، وربما بأكثر مما كان يطيق.. ولكن مع الأسف ما يزال الأمر مستمراً، وهذه كلها محصلة اخطاء عربية ولبنانية.

● **هناك وضع يعكسه الموارنة وهو أنه كلما كان الوضع العربي قوياً. تجدهم ينسجمون بالوضع العربي.. وعندما يكون الوضع العربي ضعيفاً..**

■ الأمر ببساطة أن الوضع العربي القوي لا يعطي فرصة لأي وهم.. كلنا نقع ضحايا الوهم. لكن متى تنشأ الأوهام؟.. أنها تنشأ عندما يتصور أي طرف أنه يستطيع أن يفلت من ضرورات موقع. الموقف القوي يفرض عليك معرفة الحدود. والموقف الضعيف يجعل كل طرف راغباً في الانفلات من حدوده. يحاول الانفلات وينسى حقيقة أنه مهما كانت الأوضاع مترديةً سياسياً حوله، فإن واقع الجغرافيا والتاريخ لا يسمح له بأن يتجاوز خطوطاً معينة، وهذا ما حدث مع بعض الموارنة.

● **هناك من يقول إن الوضع العربي يتردى بسبب حرب لبنان؟**

● هذا غير صحيح.. الوضع اللبناني إنعكاس لتردي الوضع العربي الى جانب الاخطاء التي ارتكبها الاطراف في لبنان. سواء كانت لبنانية أو عربية.

● **كيف يمكن للعرب أن يساعدوا لبنان؟**

■ مع الأسف الشديد، الوضع العربي يجعل كل طرف عربي يهتم بنفسه. وهذا ما يحدث وقت الأزمات. لسوء الحظ أن لبنان في هذه المحنة، وكل طرف عربي يبحث عن خلاصه الخاص. فهذه لحظة هروب.. ونحن نعيش لحظة هروب في التاريخ العربي.. وبالتالي فلبنان لا يحمل همه احد.. وليس هناك احد قادر.. لأن الكل مشغول بنفسه.

● **هل غياب مصدر القرار العربي الواحد هو السبب؟**

■ اختلف معك في كلمة غياب.. إنني أكاد أقول «موات».. وتقول مصدر، ولا أرى وجود مصدر بمعنى كلمة مصدر. فهذا تعبير ثقيل حتى بالنسبة لمصر. وأما القرار. فيا ليت لدينا القدرة حتى على صنع القرار.

مع الأسف إنني أكاد أكون متشائماً. . لكنني متشائم سياسياً ولا يمكن أن أكون متشائماً تاريخياً.

إنني أرى أنني في حالة أسوأ من حالة «الغياب».

وإننا في حالة أسوأ لن يكون لدينا «مصدر» مهما كان ضعفه. كما أننا غير قادرين على صنع قرار.

إنكم تحلمون. . وتتحدثون بلغة فترة انقضت. . الوضع اسوأ جداً من الكلمات التي تحاول استخدامها، أدباً ورقة.

● **إلى أين الهروب، إلى أين تحاول كل دولة عربية أن تهرب، وهل هناك من أفق لهذا الهروب؟**

■ موقف الهرب ليس موقفاً عقلانياً، وإنما هو موقف غريزي. . أحياناً أنت تهرب لتجد نفسك في حضن عدوك. . فعندما يأتي داعي الهرب في أي موقف، فإن أحداً لا يفكر إلى أين؟ كل طرف يرمح هارباً لأي طريق يجده مفتوحاً أمامه. . الكل يهرب، والكل يحاول النفاذ من أية ثغرة مفتوحة. . أما إلى أين، وبأية تكاليف فهذا هدف أو اتجاه. . إنها لحظة معينة يصبح الهدف فيها الابتعاد فقط فأنا للأسف، لا أرى في العالم العربي أحداً قادراً، ولا أحداً لديه القدرة.

● **ما هي شروط استعادة الطمأنينة حتى نكف عن العرب المخاطر؟**

■ إنني أتصور أن هذا مرتبط بإعادة ترتيب الوضع العربي. . وأكاد أقول إنه مرتبط اساساً وبالدرجة الأولى بمصر. . وأنا لا أقصد هنا ان أضخم من دور مصر، لكن دائماً هناك محور لا بد أن تدور من حوله الحركة. . وفي غياب المحور عن أداء دوره، فإن هناك خلخلة في أداء كل حركة تستطيع أن تقول أن الوضع في لبنان وفي غير لبنان، في العالم العربي، يمكن أن يجد أو يبدأ في تلمس طريقه نحو الاستقرار عندما تحاول مصر. أو تنجح في أن تضع نفسها في موضعها الصحيح تاريخياً، وتؤدي دورها. .

● **كيف تستطيع القوى اللبنانية أن تنهي الحرب في لبنان؟**

■ أنا لا أعتقد أن في مقدرة القوى اللبنانية أن تفعل هذا ولكن في مقدورها أن

تقلل الخسائر. . ما هو مطلوب من القوى اللبنانية أن تجعل الحياة محتملة بالنسبة للشعب في لبنان، لأن الشعب العربي في لبنان تعرض فعلاً لوضع مأسوي.

الوضع الحالي في رؤيتي ليس له حل. . أو على الأقل ليس له حل قريب. . وفي مثل هذه الظروف إذا طلبت الحل فأنت تطلب المستحيل، خصوصاً إذا كانت عناصر الحل خارجة عن إرادتك، كما هو الوضع في لبنان. . إذن ما هو في طاقة القوى اللبنانية أن تجعل الوضع محتملاً بالنسبة للشعب في لبنان، بأن تحاول أن تدرك الواقع، وأن تتفاهم، وأن تعرف أن الوقت ليس وقت أوهام، ولا وقت صفقات سرية، أو تكتيك. لو أمكن للقوى اللبنانية أن تحاول التمسك بقدر أدنى من الوحدة ليس مجرد «تبييض واجهة»، بل أن تعرف الوصول إلى تفاهم حقيقي يؤكد أن لكل القوى في لبنان نصيباً، وأنا أعرف أن كل قوة في لبنان حريصة على وضع لبنان، ولا شك في هذا. . لكن في لحظة تخلخل في الموازين، كل قوة في لبنان ترغب في زيادة نصيبها من التأثير في لبنان. . وقد يكون بعض التعديل في موازين القوى الموجودة في لبنان ضرورياً ولكن أية محاولة من أي طرف لأن ينتهز فرصة ما هو موجود لكي يكبر نصيبه بما يفوق واقعه، من الممكن أن تؤدي إلى تمزق لبنان. فأنا أتصور، إذن، أنه ليس في طاقة القوى اللبنانية أن تنهي الوضع في لبنان اليوم، لكن في مقدورها، في اعتقادي، أن تقلل خسائره، وأن تجعل تكاليفه محتملة وأن تجعل الحياة في ظله معقولة الى حد ما بالنسبة للشعب اللبناني الذي دفع ثمناً بشعاً.

● سألنا عن كيفية أنهاء القوى اللبنانية للحرب في لبنان، على ضوء ما يبدو من أن هناك قراراً سورياً باغلاق ملف الأزمة اللبنانية، وقراراً اسرائيلياً بالتراجع على الأقل، وقراراً مارونياً بخيار الوظيفة العربية التي أشرتم اليها؟

■ نحن نتحدث عن لبنان. . إذن فإن أي قرار سوري مرهون بالدرجة الأولى بمصالح سوريا وحدها. . وسوريا وهي معرضة، كما هو الحال اليوم، لا تملك ترفاً أن تحمل نفسها مسؤولية الوضع في العالم العربي. . إذن فسوريا في اهتماماتها وفي كل تحركاتها إنما تستهدف سوريا وليس لبنان. . وإذا تصورنا

وضع الحصار المضروب حول سوريا، سنرى أن سوريا تتصرف في لبنان بدواعي الأمن أكثر من أي شيء آخر. . والأمن السوري ليس وحده كفيلاً باعادة تعديل الأوضاع في لبنان، إذن سياسة سوريا محكومة برؤيتها الخاصة، وهذه محكومة بدواعي أمن معينة، فإذا أخذنا انعكاساتها في لبنان قد لا تكون هي الراغبة بالضرورة لقفل ملف لبنان. سوريا تلعب في لبنان لعبة التكتيك وليس الاستراتيجية. لو تحدثنا عن إسرائيل لتساءلنا: لو لم يكن الفلسطينيون موجودين في لبنان ألم تكن اسرائيل لتدخل لبنان؟ . . إنني أقول بلى. . ولنعد إلى كلام بن غوريون، وخلافاته مع شاريت، سنجد أن لبنان في حد ذاته، مطمع اسرائيلي، وحماية لبنان كانت في الوضع العربي العام. ربما لم يكن الاسرائيليون ليدخلوا حتى بيروت لولا وجود الفلسطينيين، لكنه على وجه اليقين خصوصاً في ظل أزمة عربية بهذا الشكل.

إذن سوريا تلعب لعبة الأمن، وإسرائيل تلعب لعبة التوسع . . وإذا قلت لي إن أحدهما ستقفل ملف الأزمة اللبنانية، لاجبتك بأن هذا القفل ليس إلا لعبة تكتيكية بانتظار ظروف مختلفة.

● **في هذه الحالة هل تجد أنه من الصعب أن تنسحب اسرائيل من لبنان نهائياً على الأقل؟**

■ لا اعتقد أن إسرائيل ستنسحب من لبنان نهائياً بالطريقة التي نتصورها نحن. لا أتصور أن إسرائيل ستنسحب نهائياً من لبنان إلا إذا حدث أمران:

١ ـ تصفية الوضع السوري. . بمعنى تصفية الجيب العسكري السوري الباقي، بمعنى أن توجه إسرائيل ضربة نهائية لسوريا، سواء داخل الحدود اللبنانية أو غيرها بما يؤدي إلى تصفية الوضع السوري. وذلك لأن سوريا موجودة حتى هذه اللحظة، ظاهراً وواقعاً، كجبهة تصدٍ، أو حائط تصدٍ.

٢ ـ أن تجد إسرائيل في بيروت حكومة تعمل ضد وظيفة لبنان العربية. بمعنى حكومة تؤمن لاسرائيل مصالح تكاد أن تكون سيادية في جنوب لبنان.

● **كما هو الأمر بالنسبة لاتفاق ١٧ أيار؟**

■ بشكل أو بآخر. . وبدون تحقيق هذين الأمرين، لا اعتقد أن الجيش الاسرائيلي سينسحب من لبنان نهائياً.

إن الوضع الذي يجعل إسرائيل تتحدث عن الانسحاب وإظهار نوايا الانسحاب هو الوضع المالي ـ الاقتصادي المتردي في إسرائيل ـ وهذه قضية أخرى. صحيح أن نسبة الخسائر عالية جداً، لكن تكاليف حملتها في لبنان عالية جداً، خاصة في وضع اقتصادي صعب جداً اضطرتهم إلى الطلب سلفاً. . صحيح أن أميركا موجودة وتضمن باستمرار، إلا أن إسرائيل رجل مفلس ومدين، ووراءه ضامن ابدي، لكن هناك مشكلة أيضاً، وهي ان لهذا الضامن الابدي مشاكله الاقتصادي هو الآخر، لكن كل ما سيفعله على هذا الصعيد هو أن يقول لاسرائيل: أن هناك حدوداً، برغم توافق المصالح. إنني أتصور أن إسرائيل: تلعب لعبة المفاوضات، وتريد أن تظهر أن المفاوضات مستحيلة، وذلك لسببين:

١ ـ لتستطيع أن تقصر خطوطها في لبنان بما هو ضروري لمصالحها الدائمة فيه.

٢ ـ لكي تجد قوى بديلة في لبنان تعوضها عن تأمين مصالحها، سواء كان جيش «لحد» أو قوة طوارىء ولا اعتقد أنها ستقبلها. المهم إنهم يرون ضرورة بقائهم في الجنوب بشكل أو بآخر إلا إذا:

١ ـ صُفّي الوضع السوري تصفية كاملة.

٢ ـ وجدت حكومة في بيروت تمثل بالدرجة الأولى العناصر التي ارادت الانفلات من وظيفة لبنان العربية.

● **هل معنى هذا أن الصدام السوري الاسرائيلي وارد حتماً؟**

■ انا أعتقد أن هذا ضروري: فإما أن توجد تسوية، وهذا معناه أن توافق سوريا على تسوية غير مرضية لها، وإما أن تجد سوريا نفسها مواجهة بعملية عسكرية أو

بعملية استدراج.. الخ.. لكنني اتصور أن تصفية الوضع السوري على نحو أو آخر أصبحت مطلباً يكمل ما تريده إسرائيل لكي تنسحب من لبنان.

● **ما هو الوضع بالنسبة للتوازنات الدولية في هذا الأمر؟**

■ هناك مواقف لا تستطيع فيها التوازنات الدولية أن تفعل شيئاً ـ اننا نتحدث عن الضمان السوفياتي..

● **نعم..**

■ أنا لا أعرف ما هي حدود الضمان السوفياتي إذا كان هناك هذا الضمان، بالتأكيد هناك حد معين من التنسيق بين الاتحاد السوفياتي وسوريا، لكن إلى أي مدى هناك ضمان سوفياتي مؤكد؟.. هذا مع علمي بأن التوازنات الدولية من حيث أن سوريا هي آخر موقع للاتحاد السوفياتي فيه تأثير مباشر، لكن يبقى أنه من الممكن لنا أن نتصور توجيه ضربة للجيش السوري في لبنان، أو بالطيران، دون ان تتخطى إسرائيل حدود سوريا، بما يؤدي في النهاية إلى اسقاط سوريا.

لكن ببساطة، وأنا اتحدث عن الوضع الآن، إن إسرائيل لا يمكن أن تسمح لنفسها بأن تنسحب من جنوب لبنان مع وجود الجيش السوري قريباً منها بهذا الشكل وعلى درجة التعبئة الموجودة عليها حالياً.

● **يبدو أن إسرائيل بحاجة إلى توجيه ضربة كبيرة، أو القيام بعملية كبيرة لتحقيق انسحاب صغير؟**

■ الموضوع ليس موضوع الانسحاب في حد ذاته.. بل هو مفهوم أو تصور الأمن الاسرائيلي.. إسرائيل لديها اتفاقية صلح مع مصر.. والصدام على الجبهة الاردنية غير مطروح. والثورة الفلسطينية ليست موجودة في بيروت كعنصر ازعاج لها. إذن اسرائيل ترغب في ترتيب بقية الأوضاع حولها:

إذن المطروح ليس ضربة لسوريا ثمناً للانسحاب من الجنوب.. ما هو مطروح ليس الانسحاب من الجنوب.. الانسحاب من الجنوب هو جزء من تصور الأمن الكلي لاسرائيل..

● **قلتم أن سوريا إما أن تقدم على تسوية أو تتعرض للتصفية هل التسوية ستكون منفردة أم في إطار مشروع عربي؟**

■ مع الأسف ليس هناك مشروع عربي واحد.. ولا مشروع عربي متكامل..

● **هناك من يقول بعدم وجود رئيس ماروني في لبنان؟**

■ لا اعتقد أن من الخطأ أن يكون هناك رئيس ماروني.. والمشكلة أن الخطأ الذي يقع فيه اخواننا الموارنة أو في «القوات اللبنانية» أنهم يتحدثون عن الديمقراطية وهم غير قادرين على تطبيقها.. إذا كنا نتحدث عن لبنان كشعب. فلننظر أين هي الأغلبية؟.. أما إذا تحدثنا عن وجود لبنان كوظيفة، فإنه يسمح في هذا الاطار بأن تختلف القواعد التقليدية وقيام الحكم والسلطات في لبنان. لأنه حالة استثنائية. في ظل دور لبنان كوظيفة عربية. يمكن أن يكون الرئيس مارونياً. ولماذا لا يكون..

أما في ظل تصور أن لبنان هو لبنان المستقل لوحده. والمنفلت من الرقعة العربية سواء المتجه إلى أوروبا الغربية متصوراً نفسه أطلسياً أو متوسطياً، أو معتمداً على حماية أميركية متصوراً نفسه كقاعدة. أو لبنان المتجه لاسرائيل متصوراً نفسه أقلية مع أقلية. في هذه الحالات لا يجب أن يكون الرئيس مارونياً.. بل الطبيعي في هذه الحالة ان يكون شيئاً آخر.. عندها يجب ان تفرز القوى الشعبية.. وننظر أين هي الأغلبية.. الخ..

ولسوء الحظ أن هؤلاء الذين يلعبون الالعاب التكتيكية لا يسترسلون مع منطقهم إلى نهايته..

هؤلاء المنفلتون من وظيفة لبنان لو أنهم يتحدثون عن شعب وعن حدود محدودة، وعن دولة بالمعنى التقليدي. لما بقي لهم مكان في سلطة الدولة العليا.. ويكون لهم المكان في السلطة العليا فقط، وفقط إذا كان هناك توليفة في لبنان تتجاوز الأوضاع التقليدية للدول لأننا نكون ساعتها بصدد الكلام عن وظيفة وليس عن قطعة أرض فقط.

● **إذن شرط وجود الرئيس الماروني هو أداء لبنان لوظيفته العربية؟**

■ طبعاً. . ولا يوجد شيء غير هذا ولنتحدث بوضوح.

إذا أخذنا شعب لبنان، هل الاغلبية فيه مارونية؟. . هذا غير صحيح إذن لماذا يتحدثون عن وضع خاص متميز للموارنة في لبنان؟ نحن نتحدث عن وضع خاص للموارنة في لبنان لأن للبنان وضعاً خاصاً بصرف النظر عن الأغلبية أو الاقلية فيه. . للبنان إذن وضع خاص، والعالم العربي راغب في الحفاظ على هذا الوضع الخاص، ويجب أن ننتبه إلى أن هذه هي الروح التي وردت في الميثاق. وهي الروح التي دفعت رياض الصلح، وغيره من الزعماء الوطنيين وزعماء الاستقلال لأن يطلبوا من الشيخ بشارة الخوري أن يكون الرئيس، وهم يعلمون أن الرئاسة ستبقى للموارنة إلى ما شاء الله. . لأنهم أدركوا أن المسألة ليست في عدد الأصوات، وليست رقعة الأرض المحددة بطريقة معينة، وليست أرضاً وإناساً يحسبون حسابات وانتهى الموضوع، إنما المسألة هي مسألة حساب امتدادات أوسع من هذا بكثير. .

لا أراهن على تسوية شاملة للقضية الفلسطينية ٢

● **ماذا أعطت المقاومة الفلسطينية لقضيتها وللوطن العربي؟**

■ في اعتقادي أن المقاومة اعطت كثيراً جداً للوطن العربي وللقضية الفلسطينية أولاً، منظمة التحرير مثلت في النهاية حقيقة وجود شعب فلسطين تمثيلاً سياسياً ودولياً. . ولو لم تؤد سوى هذا الدور لكفى الأمر. وهذا هو الدور الاساسي الذي ترتبت عليه أمور كثيرة جداً.

● **لماذا اختار ياسر عرفات السياسة التي تجعله في مأزق جغرافي سياسي؟**

■ لا اعتقد أن ياسر عرفات قد اختار. . لكنك تستطيع أن تقول أنه دفع وترك نفسه يُدفَع. حدثت له مضايقات فظيعة، وحدثت عملية تخلٍ عنه. . وكان في حالة فوران. . وحالة جرح فظيع. . لكنني اعتقد أن كل قيادة تاريخية لا بد لها أن تتحمل أحياناً فوق ما يطيقه البشر. . أحياناً تضطر بعض القيادات إلى فعل ما يكاد أن يكون مميتاً بالنسبة لها. . لكنها تفعله وهي عازمة.

عبد الناصر مثلاً، اذكر له موقفين في الخرطوم، لا اعتقد أنهما كانا سهلين بالنسبة له أبداً. اعتقد أن هذين الموقفين مثلاً قمة مقدرة جمال عبد الناصر على التحمل.

عندما يأتي عبد الناصر ويقول للملك حسين في الخرطوم بعد المؤتمر: يا أخ حسين أمانة لله، أفعل كل ما تستطيع فعله سياسياً لكي تستعيد الضفة الغربية وغزة، تحدث مع الأميركيين كما تريد وسوف أؤيدك. لأنني لا أخاف على سيناء، فالاسرائيليون لن يستطيعوا ان يغيروا شيئاً في طبيعة سيناء، إن سيناء ليس فيها سكان كثيرون والجيش المصري سيكون قادراً على الضرب وعلى استردادها. . لكنني قلق جداً على الضفة الغربية، وقلق جداً على غزة ولم يكن من السهل لأحد

أن يقول هذا خاصة مع موقف اميركا من عبد الناصر وموقف عبد الناصر ضد الأمبريالية والسيطرة الأميركية.

عندما نأتي للموقف الآخر. وهو موقف عبد الناصر من قبول الدعم، وقد رأيته ولم يكن من السهل عليه أن يقبل دعماً يأتي من خصومه لكنه اعلن بقبول الدعم، لأنه أجرى حساباته وأدرك أنه لا يمكن قطع البترول، فإذا كان لا بد من تدفق البترول، فليذهب جزء من عائداته لتعويض خسائر مصر لتستطيع مواصلة المسير. هذا قرار عقلاني، نحيّت عنه جميع العواطف الإنسانية، وهنا الاختبار الحقيقي.. هناك مواقف لا تملك فيها أن تغضب مهما كانت جراحك، لأنه تكون هناك دواع أكبر من الغضب، وعليك في هذه الحالة ان ترتفع على نفسك وأن تقبل جراحك، على أساس أن هناك ما هو أكبر وأبعد من لحظة آنية، وشخص بعينه، وبرغم علمي بكل ما تعرض له ياسر عرفات من استفزاز وعراقيل، لكن هناك حقائق لا نستطيع أن نقفز من فوقها.

● **هل تعتقدون ان لدى عرفات مشروعاً سياسياً بمعزل عن سوريا؟**

■ لا.. لا يمكن.. كيف يمكن الابتعاد عن سوريا وليس لديه أرض بديلة يمارس فيها، إضافة إلى أن الدنيا باسرها ضده؟ كيف يمكن له أن يكون بمعزل عن سوريا؟.. كيف يمكنه أن يكون بمعزل عن مصر؟ كيف يمكنه أن يكون بمعزل عن العراق؟ كيف يمكنه أن يكون بمعزل عن الأردن؟ كيف؟

وهناك سلبية أخرى وقع فيها عرفات، وكلنا نقع فيها، وهي الاشكالية بين ما هو محلي أو وطني وبين ما هو قومي.

كيف يمكن أن أطلب من الآخرين أن يساعدوني في استرداد الأرض الفلسطينية والوطن الفلسطيني المستقل ثم أعرض استقلال الأردن للخطر؟ واعرض استقلال لبنان للخطر. كيف أطلب من الآخرين أن يضحوا باستقلالهم لكي يمكنوني من الحصول على استقلال؟ وهذا ليس عجز الثورة الفلسطينية وحدها، بل عجزنا عن التوفيق بين العنصر الوطني المحلي والعنصر القومي الأكبر والأوسع والاشمل، وهذا مأزق وقعنا فيه، مثلما وقعت فيه المقاومة الفلسطينية، وكما

وقعت فيه سوريا. . ومع الأسف الشديد لم نستطع حتى الآن ان نجد صيغة نحل بها هذه الاشكالية في التناقض بين ما هو قومي وبين ما هو وطني.

السلبية الثالثة التي وقعت بها المنظمة، هي سلبية التصور أن الوسائل مجرد الوسائل. . قادرة على تحقيق الغايات. . مثلاً، هناك دول اعطت المقاومة الفلسطينية بكرم. . مثل السعودية. . لكن الحقيقة أن نفوذ السعودية كان مطلوباً أكثر من نقودها. . لكن الثورة الفلسطينية ـ لأنها تحتاج الوسائل لتعيش بها ـ أخذت النقود من السعودية وبالتالي اعتبرت السعودية أن ما دفعته من نقود يكفي لأن تستبد بنفوذها السياسي، وبالتالي فإن دعم الثورة الفلسطينية كاد أن يكون بديلاً عن استعمال قوة الضغط السعودي والبترولي والمالي وكل الإمكانات العربية. إذن بعض الوسائل عطلت جزءاً مهماً من بعض الغايات. .

● **هل نستطيع أن نقول أن ياسر عرفات استبدل الجغرافيا السورية المقاتلة بالجغرافيا المصرية والأردنية غير المقاتلة؟**

■ لا. . لا يوجد ما يسمى بالجغرافيا المقاتلة، والجغرافيا غير المقاتلة.

● **هل انتهى دور المقاومة الفلسطينية؟ وماذا تستطيع أن تعطي أكثر من ذلك؟**

■ أنا أعتقد أنها تستطيع أن تعطي كثيراً جداً. . وهناك مسألة مهمة جداً. . أنه مهما كان الثمن، فلا ينبغي أن يترك الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال للهواجس التي تنتابه الآن. . اعرف ما حدث في الضفة الغربية وغزة. . واعرف أن صبر الناس بلغ منتهاه. وما حدث في طرابلس كان مميتاً بالنسبة لهم، المجلس الوطني الفلسطيني الأخير. . لم يغير شيئاً كثيراً. .

لا بد للثورة الفلسطينية اليوم، أن تجعل نفسها قادرة على أن تعطي جزءاً من الأمل للشعب الواقع تحت الاحتلال. . وإلا فإن هذا الشعب لو فقد الأمل لاصبحت النتائج مأساوية.

● **هل هناك تسوية شاملة مقبلة للقضية الفلسطينية؟**

■ التسوية الوحيدة الممكنة في الواقع الراهن أنه لا توجد فلسطين على الاطلاق. . غير مطروحة على الاطلاق. . ولنتساءل لماذا تكون مطروحة؟

لقد كنت في أميركا اثناء الانتخابات.. وقابلت كل من له قيمة في أميركا ما عدا الرئيس ريغان، وذلك على اتساع دائرة القرار أو الفكرة او التصور.. وليس في حساب احد اطلاقاً في حدود ما هو منظور الآن أي دور لمنظمة التحرير الفلسطينية. إلا أن توقع.. بمعنى إنها إذا كانت تريد أن توقع اعترافاً باسرائيل، فسيقولون لها أهلاً وسهلاً. وما عدا ذلك لا شيء..

وهذا لسبب بسيط جداً وهو أنه ليست هناك قوة ضغط عربية على الاطلاق..

إن الاستجداء ليس ضغطاً.. وطلب العطف والرضى ليس موقفاً تفاوضياً.. ومع الأسف الشديد، في الوضع العربي الراهن، نحن في أحسن أحوالنا طلاب للعطف والرضى، وفي اسوأ أحوالنا مستجدون. وأنا لا أرى أنه يمكن أن يكون لنا موقف تفاوضي في المسافة بين طلب العطف والاستجداء.

● **ما الذي ينتظره ياسر عرفات إذن إذا لم يكن له أي وجود. هل الحاقه بالاردن أو بمشروع تسوية مصري ـ أردني؟**

■ ما هو المشروع المصري ـ الاردني؟.. الملك حسين جاء القاهرة، وجميل جداً أنه جاء.. وجميل جداً أن يستطيع فتح الجسور مع مصر، وأن تفتح الجسور معه.. لكن لو أخذنا مشروعه.. فما هو؟ السلام مقابل الأرض؟ أين هي الأرض؟ إسرائيل لن تترك الأرض.. يمكن فقط أن يقوم الأردن ببعض مهام إدارية في جزء من بعض اجزاء الضفة الغربية ـ لكن ليست هناك سيادة..

إسرائيل واضحة أمامنا.. والكلام الذي يقال في إسرائيل. واضح في منتهى الوضوح.. لكننا لا نريد أن نصدق، ونتصور كلاماً آخر، لأننا لا نريد أن نصدق ما يقال في اسرائيل.. والسبب في ذلك أننا لو صدقنا فسنبقى أمام واقع لا نستطيع أن نواجهه.. فالمسألة تتطلب موقفاً عربياً..

إسرائيل تقول بوضوح إنها لن تتفاوض مع منظمة التحرير.. شامير يقول «عليكم أن تختاروا بين السلام مع إسرائيل والصداقة مع منظمة التحرير» وهذا حقيقة وليس مزاحاً.. إذا كنا نستطيع تغيير الوضع بالقوة فلنغيره وهذه قضية أخرى.. لكن بينما تقول إسرائيل هذا الكلام، ونراه يطبق عملياً على الأرض، فإن

وصف الهروب ينطبق علينا عملياً إذا لم نأخذ كلام اسرائيل في اعتبارنا. . وإذا تحدثنا بكلام آخر فهذا يعني أننا نتحدث في موقف جد.

إنني لا أراهن على تسوية شاملة وعادلة مقبلة للقضية الفلسطينية. ولا بمليم واحد. كلام اسرائيل واضح أمامنا. . ثم أن الواقع والافعال تؤيده كل يوم. . ثم إننا لو درسنا الواقع الاسرائيلي لوجدنا أن الإسرائيليين لا يستطيعون أن يفعلوا إلا ما يقولونه بالفعل ولا يستطيعون شيئاً آخر. لنأخذ تركيبة الحكومة الائتلافية في شكلها الراهن في إسرائيل، لنأخذ مجمل الأوضاع الاقتصادية، لنأخذ مجمل الأزمة الإسرائيلية. . كل هذا يؤدي بنا إلى أنه من غير الممكن أن يقولوا كلاماً آخر. . ولا يوجد بديل إلا إذا استطعنا أن نغير موازين القوى في العالم العربي. . لكن في ظل ما هو موجود لا رهان.

● **هذا السؤال موجه إلى ياسر عرفات؟**

■ قد تكون لياسر عرفات معطياته الخاصة. . وقد يكون لديه ما لا اعلمه. . لكنني أقول يقيناً بكل ما اراه أمامي. . ولا أعتقد أن ياسر عرفات لديه شيء. .

إن الاعتماد كله هو على الطرف الأميركي. . وأنا أدعي وأنا مقبل لتوي من أميركا، أنني أعلم عن حقيقة النوايا الأميركية أكثر مما يعلمه أناس كثيرون، وإذا قال ياسر عرفات إن لديه شيئاً آخر، فإنني سأندهش. . وسأكون سعيداً بأن اندهش. أقول ياليت. . لكن التمني في حد ذاته مع الأسف، حال هروب، أخرى.

● **ما هي مصلحة المقاومة الفلسطينية في أن توحد العالم العربي؟**

■ هذه هي المشكلة، إننا نطلب أحياناً من أنفسنا ومن بعضنا بأكثر مما نستطيع، هل تستطيع المقاومة أن توحد صفوفها أولاً، حتى تستطيع ان توحد العالم العربي؟ هناك أنقسام موجود أمامنا. . صحيح أن الأغلبية فيه لفتح. . وصحيح أن ياسر عرفات هو القيادة التاريخية، لكن هذا لا ينفي أن هناك آخرين مثل جورج حبش مثلاً لا استطيع أن أنكر ما يمثله جورج حبش. . أنني اختلف مع جورج حبش اختلافاً بيّناً. . لكنني لا أستطيع أن أنكر ما يمثله في الثورة الفلسطينية.

إذن هناك خلاف في الثورة.. فكيف توحد العرب؟.. يا ليت العرب يتركون الفلسطينيين ليتحدوا.. ما هو مطلوب ليس أن توحد الثورة الفلسطينية العالم العربي.. بل أن يترك العرب الفلسطينيين.

● **هل تعتقدون أن من مصلحة الثورة الفلسطينية توحيد العرب؟**

■ إنها لا تستطيع.. من أين لها ان تستطيع..

● **هل لها مصلحة في وحدة العرب**

■ قبل أن تسأل عن المصلحة يجب أن يكون لديك الخيار.. ربما يكون لك مصلحة في أن تكون رئيس الولايات المتحدة الاميركية.. لكن قبل أن تقرر أي شيء فيما يمكن أن يكون مصلحتك، يجب أن تقيس المصالح بالقدرة على تحقيقها.. وبالتالي نفي القدرة على تحقيقها يرفعها مباشرة من دائرة المصالح ويضعها في دائرة الاماني والأحلام والأوهام. لا يمكن أن تتحدث عن مصلحة، وأنت مقدماً، عاجز عن تحقيقها.

● **هناك من يقول أن إسرائيل وصلت المرحلة ما قبل الأخيرة من وجودها؟**

■ إنني واحد من الناس الذي يعتقدون إن إسرائيل وصلت إلى الطريق المسدود.. في كتابي (آفاق الثمانينات) الذي كتبته أواخر / ٧٩ في شكل سلسلة مقالات نشرت مقالة مخصصة للحديث عن إسرائيل.. بعض الناس راجعني فيما كتبت من دون أن يتاح لهم رؤية ان إسرائيل تجاوزت فعلاً امكاناتها.. تجاوزت ما تستطيعه..

حقيقة الأزمة الاسرائيلية بدأت بعد حرب ٦٧.. فاسرائيل بعد ٦٧ تجاوزت حدود الممكن بالنسبة لها.. ووصلت إلى موقف لا تستطيع احتمال تكاليفه ولا اعبائه ولا نتائجه.. وبالتالي بدأ المجتمع الاسرائيلي يتعرض لنوع من الافول.. نعم هو متماسك بالقوة.. لكنه جاء بعد ذلك وتلقى صدمة في حرب أكتوبر.. وبدأت تتضح حقيقة إسرائيل كما بدأت تتضح حدود القدرة، وإن القوة العسكرية ليست هي كل شيء.. وإن قدرة أي شعب وأي دولة في النهاية مرهونة باعتبارات كبيرة جداً.. وأكبر من أعتبارات وجود جيش قوي تعبث دباباته وطائراته هنا وهناك ويحقق في لحظات ضربات هنا أو هناك.

إسرائيل فعلت أقصى ما تستطيع ان تفعله عام ٦٧.. ثم بدا على الفور عقم الحل العسكري.. لقد وصلت قناة السويس.. لكن ماذا بعد أمام مصر وأمام جيش مصر.. ثم جاء الجيش المصري وعبر قناة السويس في أكتوبر ٧٣، وهذه قيمة أكتوبر، إن الأمر ليس بالقوة العسكرية وحدها. وأنا أقول هذا عن أكتوبر مهما كانت الاخطاء السياسية بعد أكتوبر، وهي أخطاء بعضها قاتل، ومع الأسف الشديد إن معظمها أخطاء في فهم القيمة الحقيقية لأكتوبر.

إذن أكتوبر كان معناه سواء على الجبهة السورية، أو الجبهة المصرية أن القوة العسكرية الاسرائيلية ليست كافية وحدها. بعد ذلك بدأت تداعيات كبيرة جداً، وبعد ذلك ظهر الاغتراب الاسرائيلي.

لنتصور عمق الأزمة في اسرائيل.. إذا تذكرنا أن اسرائيل ٣,٥ مليون نسمة وأن قوة العمل الموجودة فيها لا يمكن ان تزيد عن ١,٥ مليون.. والباقي شيوخ وأطفال، وأن هناك نصف مليون إسرائيلي في نيويورك وحدها ولديهم تصاريح عمل مؤقتة ويعملون.. لأنه ببساطة لا توجد موارد تكفيهم ولا يجدون في إسرائيل ما يقيم حياتهم المعيشية.. وبالتالي فإسرائيل أمام أزمة وجود.. لقد راحت إسرائيل تبذل المستحيل لاقناع الدنيا أنها أمام أزمة حدود.. لكنها في ٦٧ تجاوزت كل الحدود ثم اكتشفت بعد ٦٧ أن أزمتها الحقيقية هي أزمة وجود. لكن هذه الأزمة لم تكن تختبر.. لقد اختبرت بعض الشيء في حرب الاستنزاف التي كانت ثقيلة على إسرائيل وحاولت إيقافها.. ووقفت بعد أن أخذ كل طرف من حرب الإستنزاف ما يريده، بالنسبة لمصر أخذنا الخبرة، وتطعيم الدم والنار والجو القتالي.. وهم دفعوا التكاليف وبدأوا يدركون شيئاً من عمق أزمتهم.. ثم جاءت اكتوبر.. ثم جاءت محاولة السلام..

وحتى بعد السلام.. إلى أين؟.. إنهم يكتشفون في النهاية أن الحلم عقيم.. وإن الأسطورة لا تستطيع أن تصنع تاريخاً. صحيح أنه من الممكن لها في لحظة من اللحظات أن يكون لها قوة فعل، وأن تؤثر وتفعل وتضرب.. لكن الناس في إسرائيل بدأوا لأول مرة يدركون البعد الحقيقي للازمة، وأنها ليست أزمة

حدود. . وبدأ أناس آخرون خارج اسرائيل يدركون البعد الحقيقي للازمة. لقد رأيت أناساً في الولايات المتحدة ورأيت فيهم، برغم الصلف والغرور والاوضاع المقبلة في المدى القريب، أناساً يسألون انفسهم اسئلة حتى عن التجربة الإسرائيلية، وهذا لم يكن يسمع في أميركا. . إذن إسرائيل فعلاً أمام أزمة. . لكنها ليست في المرحلة الأخيرة أو ما قبل الأخيرة.

● **ألا يدفعها هذا إلى نقل المعركة إلى الدول العربية حتى تتمكن من الوقوف والتماسك؟**

■ نقل إسرائيل للمعركة يحصرها أيضاً في إطار الحل العسكري.

● **المشاكل الطائفية وغيرها؟**

■ لنفترض أن هناك مليون مشكلة طائفية في لبنان. . ومليون مشكلة من هذا النوع في سوريا. . وغيرها لنفترض أن العرب كلهم انشغلوا عن إسرائيل وابتعدوا عنها. . ثم ماذا بعد؟ إن الأزمة في داخل اسرائيل. . وهي أزمة حقيقية. . إنها أزمة وجود.

● **من من مصادر القرار العربي يستطيع اليوم أن يبادر بأخذ زمام المبادرة لحل القضية الفلسطينية؟**

■ المشكلة اليوم، أن مصادر القرار العربي القريبة أو المؤثرة على ساحة المعركة كلها متهالكة.

● **حرب الخليج، هل مازال مطروحاً أمامنا من البادىء ومن الظالم أم أن هناك مستجداً حصل؟**

■ في بداية الحرب، كان من الممكن لأي شخص، سواء من العالم العربي، أو من خارج العالم العربي، أن يقول أن العراق هو الذي بدأها. . ويكون على هذا النحو يحكم حكماً سطحياً على الأمور، لأن العراق كان معرضاً للاستفزاز وفي اعتقادي أن العراق بلد مفتاح الأزمة العربية. . والبلاد ـ المفاتيح في الأزمة العربية هي مصر وسوريا، ثم العراق والسعودية على مستوى واحد ثم تأتي الجزائر. على مستوى التأثير السياسي، وليس التاريخي.

العراق مهمة جداً لأنها تقف على طرف معين في العالم العربي، وعلى منطقة احتكاك حضاري، وعلى منطقة تناقضات، قد لا نكون نريدها، لكن هي تناقضات لها جذورها، حتى في أيام الخلافة العثمانية، ولكن العراق على أية حال يبقى على منطقة خط حدود احتكام حضاري وانساني وسياسي وعسكري وفي منتهى الاهمية وجود عراق عربي قومي قوي.

إذن في بداية الحرب. كان من الممكن لأي أحد أن يقول أن العراق هو الذي بدأ الحرب وقد يكون هذا صحيحاً في شكل التحرك الذي رأيناه.. لكن الثورة الايرانية لسوء الحظ، ومع كل الآمال التي كانت موجودة فيها، تجاوزت، وتصورت أنها تستطيع أن تخرج وأن تمتد.. وهذا جيد.. وهناك قوى في العالم العربي، شيعية وغير شيعية، كانت سعيدة بهذه الثورة الإنسانية.. لكن لسوء الحظ كانت هناك ممارسات راغبة في التأثير هنا وهناك.. وبالتالي أحس العراق بالخطر، خاصة وأن لديه شيعة، وأنه لو نجحت عملية مخاطبة الشيعة فسيحدث كذا.. وكذا.. وبالتالي قرر مواجهة هذا الخطر..

لكني اعتقد أن استمرار الحرب بهذه الطريقة، والتصلب الإيراني في عدم تسهيل الوصول إلى نهاية لها، أحدث انقلاباً خطيراً جداً.. ذلك أن الرأي العام العربي الذي كان منقسماً على نفسه في بداية الحرب، اصبح اليوم كله مع العراق، للاسف، ولأقول للاسف لأننا لا نريد أستقطاباً على خط التماس بين حضارات وشعوب.. فالتساؤلات حول من بدأ بالعدوان، وما هو تعريف العدوان، وهل التهديد الداخلي يشكل عدواناً.. أم القوة الخارجية فقطهي التي تشكل عدواناً.. هذه كلها قضايا تحتاج إلى بحث طويل جداً.

ما نستطيع قوله، إن العراق أحس بتهديد معين.. ورد على هذا التهديد بشكل معين وبدأ القتال.. لكن ما يجب قوله إن الأمور قد تجاوزت مثل هذه المناقشات البيزنطية الفلسفية.. الواقع أمامنا اليوم هو وجود دولتين متجاورتين تواجهان بعضهما بالحرب، وهما تعلمان أنه ليس في وسع احداهما أن تكسبها، وتعلمان أن القوتين الأعظم لهما مصلحة في استمرارها.. وتعلمان أنه ليس من مستفيد في

هذه الحرب سوى شركات غربية تبيع السلاح، وستذهب هذه الشركات نفسها لاعمال التعمير بعد أن تنتهي الحرب وينتهي بيع السلاح الذي تخرب به.

إذن لا بد من إيقاف الحرب.. وليس المضوع الآن من الذي بدأها. ليكن العراق هو الذي بدأ الحرب.. لنفترض أن أحداً بدأ باشعال عود الكبريت هل ننتظر حتى تأتي النيران على البيت كله، أم نحاول ايقاف النار؟ إن ما يستعصي على الفهم في الموقف الايراني، هو الاصرار غير المفهوم وغير المبرر على استمرار هذه الحرب التي أصبح ثمنها فادحاً بالنسبة للكل.

● **كيف تقف الحرب؟**

■ لا يمكن أن تقف الحرب إلا باقتناع الطرفين.. لأنه أولاً، ليس هناك طرف عربي يمتلك مصداقية لدى الطرفين المتحاربين. ثانياً، الأمم المتحدة تتحرك بارادة الدولتين الأعظم، ولا اعتقد أن أحداً منهما مهتم بإيقافها، وأنا أعتقد أن هذه هي الحرب الوحيدة في الحروب المحدودة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي كان ينقصها عندما بدأ إطلاق النار فيها ميكانيزم وقف إطلاق النار. فمثلاً في كل حرب عربية إسرائيلية كان هناك ضمان أن مجلس الأمن سيجتمع، وتأخذ الدولتان الاعظم موقفين متعارضين، ينشأ عن تعارضهما، أن تكون هناك إمكانية لوقف إطلاق النار بشكل أو بآخر عندما يريد الأطراف ذلك. في الحرب العراقية الإيرانية لا يوجد أي إرادة راغبة في إيقاف الحرب لأن الكل مستفيد. لنحسب كم تكلفت العراق في هذه الحرب وكم تكلفت إيران فيها.. وكلنا يعلم أين ذهبت تلك التكاليف..

لكن الآن اصبح ضرورياً وقف هذه الحرب مهما كانت الدعاوي والاجتهادات والآراء ولا بد للطرفين أن يقتنعا بايقافها بأية وسيلة.. لأن القواتين الكبريين لا ترغبان في ايقافها نظراً لأن كلاً من العراق وإيران يشكلان خطراً بالنسبة للدولتين الأعظم، فلا أحد يرغب في الثورة الإسلامية من ناحية، ولا أحد يرغب في عراق قومي قوي من ناحية أخرى..

مرة كنت مع الرئيس صدام حسين وسألني عن تقييم الآخرين للحرب. . قلت له. . سمعت تقييماً من أحد العرب البارزين جداً في مناطق البترول يعلق على الحرب العراقية الإيرانية قائلاً: (وربما تموت الأفاعي من سموم العقارب).

فالأطراف المحلية تكره الطرفين، والأطراف الدولية تكره الأثنين.

ومن ناحية أخرى فإنه من غير المرغوب ان يكبر رالتيار الشعبي المؤيد للعراق وهو التيار نفسه الذي كان محتاراً في الحرب، والذي وجد أن العراق يطلب وقف إطلاق النار، ويريد الوصول إلى تسوية وإلى السلام، بينما إيران مصممة على الرفض وعلى العودة للحديث عما كان في البدء. . وهذه ليست سياسة.

لتقف الحرب ولنتكلم. . الرأي العام العربي الذي يتنامى تعاطفه اليوم مع العراق أمر خطر، لأنه يؤدي إلى عملية أستقطاب، تؤدي الى حالة صراع أو تناقض دائم بين إيران والعالم العربي، وهذا مطلوب تجاوزه وتجنبه. . لا يمكن أن يكون لدينا صراع دائم في المشرق على الخليج. . وصراع دائم مع إسرائيل. . تناقض عدائي دائم هنا. . وتناقض عدائي دائم هناك.

● هل تعتبران أن هذا جزء من تناقض أو صراع محتمل بين العروبة والاسلام؟

■ لا. . لا اعتقد ان هذا صراع أو تناقض بين العروبة والإسلام. . وإنما هو بقايا التناقض القديم والحساسيات القديمة في هذه المنطقة من الاحتكاك الحضاري عندما نقترب من إيران، نترك شبه الجزيرة العربية. ونقترب من شبه القارة الهندية. . نحن أمام حضارتين. .

أين وصل الإسلام؟ عندما اصطدم بشبه القارة الهندية، مكث هناك كقوة احتلال ثم عاد، وبقيت عقائد اختلطت باشياء اخرى، وذهب إلى إسبانيا، واصطدم باشياء قوية ثم أمام بيزنطية، وبلاد اليونان حتى دخوله في تركيا. العوامل الحضارية الثقافية محصورة. . يجب أن نسلم أنه في إيران كانت هناك أشياء قديمة ثابتة وموجودة. . صحيح أن الإسلام ذهب هناك وامتدت إلى إيران المسحة

الإسلامية. لكن هناك مواريث حضارية موجودة في أعماق النفوس لا نستطيع الغاءها..

● لو أخذنا الأمر بشكل آخر، في ضوء حالة تراجع القومية العربية الراهنة، وتنامي المد الإسلامي خاصة بعد أن امتلك له قاعدة في إيران؟

■ المد الإسلامي هو الوجه الاخر لعملة الانحسار العربي.. والقومي، عندما نتكلم عن القومية العربية فنحن نتكلم عن ظاهرة سياسية الإسلام يشكل جزءاً كبيراً جداً من جوهرها الحضاري.. والتراجع القومي الموجود هو الذي جعل العنصر الديني يتقدم لكي يغطي التراجع القومي. كل الشباب الذين تراهم متدينين وملتحين، تمثل لحاهم العجز عن حمل السلاح في مواجهة الخصم الحقيقي أو اللجوء إلى الدين بالطريقة الجامدة التي تراها هو عملية التعبير عن حالة الاحباط والفشل. والتعصب الذي نراه أحياناً هو عملية بحث عن معين عن مطلق.. لأن كل ما هو نسبي وإنساني اهتز أمامه. شبابنا في حالة أزمة ومن المعقول أن نراه إذن يحتمي بالدين. لكن يجب ان يعرف أن الإسلام موجود في نفوسنا جميعاً بوجود هذا المد الإسلامي أو بعدمه والإسلام موجود فينا حضارياً وثقافياً.. لا اتحدث عن الإسلام كتدين.. الإسلام كإسلام موجود بين المسلمين والمسيحيين.. والأرض عربية..

الحركة الإسلامية الموجودة تعبير عن تواصل أمة، بعدها السياسي بمحتواه القومي مضروب فذهبت حيويتها الى حيث لا يمكن ضربها، ذهبت إلى اليقين المطلق.

● هذا عن الجانب العربي.. ماذا عن الجانب الإيراني؟

■ والجانب الإيراني أيضاً إن التدين الشديد في العصر الحديث هو الوجه الاخر لعملة التراجع الوطني.. ففي إيران عندما ضرب الحلم الأمبراطوري للشاه، وجزء كبير منه وهم صدقه قسم من الشعب الإيراني خاصة بعد تنامي عائدات البترول.. ثم اكتشف أن الأمور لا يمكن أن تسير بهذه الطريقة.. وتراجع الحلم القومي.. وكان البديل له هو الدين..

إذهب للولايات المتحدة اليوم.. وانظر إلى الحركات الدينية فيها.. وسببها أن الحلم الأميركي مقسم وضائع في أجزاء كثيرة منه.. والناس تبحث عن يقين تستريح له. إذا كان الحلم الوطني قادراً على تجنيد كل الناس فإنهم يجندون فيه بمواريثهم الثقافية والدينية والحضارية.. لكن التدين يظهر ويصبح سياسة عندما تعجز السياسة عن دورها.

● **ألا يخشى من النزاعات الفارسية أو الشيعية ـ السنية في الوطن العربي نتيجة الحرب العراقية الايرانية؟ متى كان لدينا نغمات شيعية، سنية.. ولماذا ظهرت فجأة؟**

■ إن كل أمة تعيش وداخلها تناقضات ثانوية.. لكن يبقى تناقضها الرئيسي هو تناقض بقائها واستقلالها وحريتها وازدهارها. عندما تغذي تناقضاتها الرئيسية أو تعجز، تحدث حالة رجوع إلى الداخل وتظهر تناقضاتها الثانوية.

إنني لا أعتقد أن القضية الشيعية السنية يمكن أن تلعب دوراً في حال يقظة محسوسة للأمة العربية.. لكن في غيبة الحلم الذي يشد كل الناس ويوحدهم ينتقي ما هو رئيسي ويظهر ما هو ثانوي..

● **ألا ترى أن احتمال تناقض شيعي سني. هو تعبير عن تناقض إيراني عربي؟**

■ لا، هذا غير وارد.

● **ما هو تفسير طفرة النهوض الشيعية حالياً. مع نجاح الثورة الإيرانية؟**

■ قل لي أين هو هذا النهوض الشيعي، في العراق مثلاً؟ في العراق ٣٥ بالمئة شيعة طبقاً للتقديرات الرسمية و٥٥ بالمائة طبقاً لتقديرات أخرى، ومع ذلك فلا أعتقد أن هذا عرقل المجهود الحربي العراقي.. أي أن العنصر القومي أقوى.. لكن العنصر المذهبي يظهر عندما يعبر عنه قلق اجتماعي واقتصادي أو فكري، وهذا القلق يحدث في غيبة مشروع على مستوى الأمة أو على مستوى الوطن.. لكن في ظل أوضاع متردية يحاول كل واحد أن يبحث عن هوية.. فإذا عجز عن العثور على هوية كبرى، يلجأ إلى الهويات الصغرى لكي يجد نفسه فيها..

مصر شيعية أم سنية؟ . . إنني أعتقد ان كل هذا قد ذاب في مصر . . مصر فيها تقاليد شيعية واضحة وتوجيهاتها كلها سنية . . الشعب المصري دليل واضح على أكذوبة التناقض . . يبدو لي الامر وكأننا نريد تبرير عجزنا عن المواجهة الأساسية بأن نفتعل أو بأن نشجع حريقاً داخلياً من السهل اطفاؤه . . فمجرد أن يقوم البيت لن تجد من يتحدث عن الشيعة أو السنة . . فمثل هذه الاحاديث كلها آثار فشل وكل هذا من آثار غيب مشروع قومي تستطيع مصر أن تعبأ من أجله وتمثله . .

● **ما هي نقاط التقاطع والاختلاف بين السياستين المصرية والسورية حالياً؟**

■ تاريخياً مصر وسوريا المفتاح التوأم الاساسي لهذه المنطقة . . والتلاقي لا مفر منه إذا كنا نتحدث بلغة التاريخ .

في السياسة حالياً نجد أن الخلافات الموجودة بينهما جزء من أزمة العمل العربي كلها منذ قرار الصلح المنفرد للاسف الشديد . . وهذه كارثة .

● **هل تتصورون قيام علاقات مصرية عربية، خصوصاً مع وجود علم إسرائيل في القاهرة؟**

■ بأمانة . . أنا واحد من الناس الذين لا يجدون سبيلاً للتوفيق بين مصلح مصري منفرد مع إسرائيل، وبين واقع وحقيقة وضرورة وجود مصر عربية . . هذا غير ممكن . . يمكن أن تكون هناك علاقات على المستوى الفردي بأن يأتي العربي للسياحة . . ويمكن أن تكون هناك علاقات ديبلوماسية على مستوى ما .

● **ما هو الحل للخروج من مأزق العلم الإسرائيلي؟**

■ هذه قضية تحتاج لكلام طويل جداً .

● **هناك من يقول إن هناك إمكانية لتجاوز كامب ديفيد عملياً حتى لو بقي العلم الاسرائيلي؟**

■ إنني أعلم أن كامب ديفيد ليست موجودة فيما يتعلق بمصر . .

● **التساؤل يدور هل كامب ديفيد هي ما نتج عن الاتفاقية، أم هي المقدمات التي بدأت في ٧١، أو ٧٣، أو ٧٤؟**

■ تستطيع أن تقول إن كامب ديفيد بدأت عام ٧٤ من فك الارتباط الأول، وهو أول قرار منفرد لعمل ترتيب منفرد لفض الاشتباك.. هذه هي البداية بالتأكيد. لكن يجب أن ندرك، أن علاقة مصر العربية ليست في السياح الذين يقدمون فليس هذا هو الموضوع.. لأنه يأتينا سياح ايطاليون أو أسبان أو ألمان ولا وجود لسفير عربي، لأن نعلم فاعلية أي سفير. الموضوع أكبر جداً من هذا، إنني أعتقد أنه لا يمكن التوفيق بين سلام مصري منفرد مع إسرائيل وبين حقيقة مصر العربية. لو أن الأمر هو في إطار سلام عربي على كل الجبهات العربية مع إسرائيل، فإنه من الممكن أن نتحدث في هذا، ولو أنني أعلم استحالته أيضاً. لأن هذا ضد جوهر العقيدة الصهيونية ومنطق التوسع. نأتي إلى مشكلة علم إسرائيل في القاهرة، وأنا أعلم أنها مشكلة، لكن لا بد للسياسة المصرية أن تجد لها حلاً. وأنا أعتقد من غير تعنت أن الظروف ستتكفل بحلها. عندما نحسب أين كانت مصر وأين أصبحت اليوم. ندرك أن هناك تقدماً كبيراً جداً في الموقف المصري بلا جدال بدءاً من عام ٨١، وهذه هي الفترة التي نستطيع أن نقول فيها إن «كامب ديفيد» سقطت. سواء اختلفنا أو أتفقنا.. نستطيع أن نقول فيها إن السلام الساخن الذي كان قبلها أصبح فيها سلاماً بارداً، ونستطيع أن نقول إن الشعب المصري وقف ورفض التطبيع ولم يقتنع به. إذن هناك تطورات إيجابية.. وأنا أعتقد أنه لا بد من إتاحة الفرصة لأن تؤكد حقائق التاريخ والجغرافيا نفسها من غير انفعال.

في اللحظات الراهنة وفي المستقبل القريب من الصعب علي أن أتصور وجوداً عربياً في مصر بوجود العلم الاسرائيلي، بالسرعة التي يتصورها بعض الناس.. لكنني أتصور أن مجمل الظروف الجارية ستؤدي إلى إمكان طي العلم الاسرائيلي في القاهرة.

● **هل ما زالت هذه المسألة شكلية حتى الآن، أو هي جوهرية؟**

■ لا أقول إنها من الجوهر.. لكنها لا تزال موجودة بطريقة يصعب قبولها.

● **لا شك أنها تؤثر سلبياً من الناحية المعنوية . . لكن هل إلى درجة أن يقف العرب خلف هذه المسألة؟**

■ نعم يقفون خلف هذه المسألة اذا كان وقوفهم صادراً عن اقتناع، لكن ليس خلفها إذا كانت المسألة مسألة تكتيك، كما هو شأن بعض الدول العربية.

إنني لا أفهم كيف يكون اعتماد بعض الدول العربية على أميركا اعتماداً كاملاً في حين أن أميركا تمول إسرائيل بالكامل تقريباً من مصادر هذه الدول. ثم يقال إن هذه الدول تعترض عن العلم الاسرائيلي. . أي علم إسرائيلي هذا الذي يعترضون عليه؟

● **لو تجاوزنا اتفاقية كامب ديفيد، هل ترى أن هناك قوى عربية تعمل ضد عودة مصر؟**

■ نعم يوجد. . والموضوع ليس موضوع كامب ديفيد، وعندما ياتي الاعتراض على العلم الاسرائيلي من دافع لا يتذرع بالعلل به والذرائع، وإنما من دافع الحرص على قومية مصر، أقول نعم لكن عندما تكون الذرائع كلاماً حقاً يراد به باطل. . أقول لا. .

● **هل هذا في ذهن النظام في مصر؟**

■ لا أدري. . لست في وضع يسمح لي بالحديث عن النظام المصري. . يمكن أن أتحدث عنه كمراقب.

● **كيف ترون الاتجاه خاصة وأن الحكم في مصر قريب من الأردن والعراق وياسر عرفات؟**

■ الوضع العربي يختلف. . الموضوع في الوضع العربي موضوع تفاوت ظلال. . لأنه أيضاً توجد مصلحة ووحدة. . الخ. لكن لننظر إلى الأرتباطات الخارجية، فعندما نتكلم عن وضع أي طرف يجب ان نتكلم عن أرتباطاته الخارجية بصراحة. . نعم مصر إرتكبت غلطة كامب ديفيد بالتأكيد. . وأنا أعتقد أن المسؤولية فيها واضحة ومحددة ولا يمكن لاحد أن يقبلها. . ولا بد أن نساعد مصر على تجاوزها من دون أن

تسلم لي، كأخ في الامة العربية، بهذا الحق الذي تجاوزت به كل الحدود.

لكن لا بد أن أكون مطمئناً أنك وأنت تعترض علي إنما تصدر عن حرص على شيء أكبر. . وليس على أن تأخذ مجموعة دول خليجية وتجمعها مع بعضها لتنشىء بها منظمة داخل النظام العربي، وهذا معصوم يحتاج تفكيراً. . ولا يريد أحد أن يناقشه أو يبحث فيه، وهذا وضع غريب جداً.

● **وصفت الوضع العربي أنه في حالة هروب. . أين هي مصر في هذه الحالة؟**

● يمكن أن نقول إن مصر هي الطرف الذي توقف عن حالة الهروب لكنه لم يعد بعد. . مصر الطرف الذي أنهى هروبه ووقف ليرى أين وصل به الأمر. .

التحركات السياسية العربية: «طق حنك»

بصرف النظر عن درجة الاتفاق أو الاختلاف بين تيارات الفكر والسياسة في الوطن العربي حول ما يمثله محمد حسنين هيكل من مواقف وأفكار الا انه، وبمختلف المعايير يبقى ظاهرة بارزة في الحياة العربية، تمثل في أحد جوانبها القدرة على بناء الذات من نقطة الانطلاق إلى القمة، عبر تطور موضوعي واضح، وتمثل في جانب آخر قوة الاحتفاظ بالتأثير الواضح في محيطها دون تأثر بالانتقال من موقع المشاركة في صنع القرار السياسي، أو اتخاذه، إلى خارج ذلك الموقع، بل وتزايد التأثير افقياً ورأسياً في أوسع القطاعات الممتدة من النخبة إلى رجل الشارع العادي.. وأخيراً وليس آخر يمثل الاستاذ هيكل اطلالة متقدمة للعقل العربي على مختلف انجازات العصر والتفاعل معها.. فهما وتحليلا وافادة للأجيال العربية.

انه الرجل «المؤسسة» بكل ما تحمله الأخيرة من مواصفات.

ومنذ ترك جريدة الأهرام ـ أكثر الصحف العربية تقليدية ـ التي حولها «قلعة» معاصرة في مجال الصحافة، والفكر، حتى صارت بحق اطلالة مصر على القرن الواحد والعشرين، لم يتوقف عن الانتاج، والابداع، ورغم عشرات المقابلات الصحفية التي أجريت مع محمد حسنين هيكل الا ان الحوار معه ينفذ في كل مرة إلى آفاق جديدة.

جريدة الخليج ـ ١٣/ ١/ ٨٥ ـ أحمد الجمال

● **الخليج: الواقع العربي المنهار أصبح أمراً يعلمه الجميع، فماذا عن التفسير وماذا عن الخروج منه على مستوى أنظمة الحكم، ومستوى العقل والانسان العربي، وهل المطلوب «بطل» أم «حركة حزبية» أم «حركة جماهير» أم الثلاثة معاً؟**

■ ضحك هيكل، وتذكر قولاً لهنري كيسنجر: «إذا وجدت أمامك طريقين أحدهما سهل، والآخر صعب، فلماذا لا تختار الصعب»؟!!.. واستطرد قائلاً الناس متفقة على تشخيص ما تراه أمامها في الواقع العربي، وانه حالة انهيار، ولو تتذكر انني قلت في كتابي «آفاق الثمانيات» ان هناك مرحلة قد انتهت في العالم العربي، واننا بصدد مرحلة جديدة، ولأنه في منتصف السبعينات تفشت خرافتان، الأولى هي السلام مع «اسرائيل» والأخرى هي ان الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على أن تفعل شيئاً في المنطقة العربية بمفردها.

عندها لم يفهم البعض ما أقول، وظلوا يجادلون في الأمر وقد اتضح عام ١٩٧٩ ـ عام صدور الكتاب ـ ان الرهان على هاتين الخرافتين قد انتهى، وانتهى بالتالي آخر الأنفاس فيما كان قائماً، وعندما تريد أن تشخص ماذا حدث، فإن نقطة البدء لا يجب أن تنطلق من مفهوم خاطىء يقول انه كان هناك عصر بجمال عبد الناصر، وعصر آخر لأنور السادات.. والصحيح أن نتحدث عن عصرين، أحدهما عصر الفكرة القومية والمشروع القومي، الذي كان بطله جمال عبد الناصر، وثانيهما هو عصر البترول، أو عصر السيولة وأموال البترول الذي استهدف ضرب الأمة العربية، بوسائل أخرى غير وسيلة العنف.. العصر الذي كان ضحيته أنور السادات، أو الذي كان شريكاً فيه أنور السادات.

ولو عدنا إلى الوراء قليلاً إلى الفترة العثمانية التي سقط نظامها، وسقطت معه أفكار معينة منها مثلاً فكرة الدولة الدينية، أو على الأقل استخدام الدين كغلالة للدولة، وتساءلنا لماذا قبلت المنطقة النظام العثماني الذي لم يكن عربياً، ولم يكن من صلب «الداخل الاسلامي» سنعرف انه قد قبل، وباللاوعي أحياناً لأنه مثل الحماية ضد الزحف الاوروبي الاستعماري، قبلناه، وقبلنا كعرب أن تنتقل الخلافة له، لأنه كان قادراً على حماية «دار الاسلام» وعندما ثبت تاريخياً وفعلياً انه غير قادر على القيام بمهمته سقط، وذهبت معه أفكاره.

بعدها جاء النظام الاستعماري، وأقام نظامه، ولسوء حظه، أوحسن حظنا، انه جاء في فترة كانت تشهد نهاية العصر الاستعماري القديم، ووجد أمامه حركات وطنية قادرة على أن تتصدى له، فلم يتمكن من فرض سيطرته الكاملة.. ثم سقط.

وجاءت فترة تالية نستطيع أن نميز فيها بين عصرين متلاحقين أشرنا إليهما من قبل.. عصر الفكرة القومية والمشروع القومي، ثم عصر البترول، أوعصر السيولة وأموال النفط«عصر الكاشيزم».

صحيح ان الفكرة القومية، والسعي لتحقيقها كان سابقاً على جمال عبد الناصر ولعبت أطراف كالبعث والحركات القومية والوطنية الرومانسية دوراً ما، ولكن عبد الناصر كان له الفضل في صياغة قانون المرحلة القومية وحاول ممارسة هذا القانون عملياً، وفي مواجهة ضغوط بشعة من كل الجهات.

في عصر البترول انقلبت الأمور، ولنتوقف قليلاً...

إذا تصور أحد أن العرب هم الذين قرروا رفع أسعار البترول فهذا ليس صحيحاً.. وما كنا نتحدث فيه أيام حرب اكتوبر كان تخفيض الانتاج أو وقفه جزئياً، لممارسة ضغوط معينة على الطرف الآخر في الصراع.

.. لا بد أن نميز بين نوعين من القرارات في الساحة العربية، أحدهما عربي في اتخاذه وتنفيذه وفوائده، والآخر يطبق في هذه الساحة ولكنه ليس بالضرورة عربياً.. ومن يتتبع ما جرى لأسعار البترول وأين تذهب فوائضه، وفيم تستخدم، ومن يستفيد منها أكثر، لعرف من هو الذي اتخذ قرار رفعها.

وليس بعيداً عند ذاكرتي، أنا على الأقل ـ والحديث لازال للاستاذ هيكل ـ ما حكاه لي ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا في فترة رئاسة جورج بومبيدو عندما قال وقد بدا عليه الذهول من الطريقة التي جرت بها عملية تدوير أموال البترول: «لقد قال لي هنري كيسنجر بالحرف الواحد هذه هي نهاية مشروع مارشال».. أي انها نهاية المرحلة التي كانت اوروبا تحصل فيها على البترول رخيصاً، وانه قد آن الأوان كي تقف اوروبا على قدميها، وان تدفع الثمن الحقيقي للبترول.

كان ذلك مرتبطاً بالتحول الذي جرى في مجال الانتاج الغربي.. فالولايات المتحدة كانت تنتج حوالي ٥٥٪ من ذلك الانتاج، وهبطت النسبة لتصل إلى الثلث، بعد أن تحولت اوروبا الغربية واليابان إلى منافس خطير لها.. فقامت ـ أمريكا ـ بوضع حد لذلك كله، وكما تفرضه مصالحها.

هذا من جانب.

ومن جانب آخر، لو انتقلنا إلى العالم العربي فسنجد انه كان مطلوباً «تعويم» المنطقة على بحر من النقود يحدث خللاً جذرياً في حياتها، ويهز مجموعة القيم العليا فيها، ويضرب مرحلة الثورة، ودون أن يحدث أثراً حقيقياً في تحديثها وتطويرها وتقدمها.

أخذ العرب أموالاً طائلة ولكنها انفقت في الاستهلاك ابتداءً من «الفيديو» وحتى «السلاح» وما تبقى من أموال مودع هناك.

لقد استطاع عصر البترول.. عصر «الكاشيزم» ـ السيولة ـ أن يجرف في طريقه كل شيء، وسواء كان أنور السادات متواطئاً معه، أو ضحية من ضحاياه، فإن تلك الموجة المالية العارمة اكتسحت ما تبقى من المرحلة القومية بعدما تصدع منها اثر صدمة ١٩٦٧.

لقد حاول المشروع القومي أن يصمد وأن يقاوم وأن يحارب بعد ١٩٦٧، فإذا بمرحلة جديدة تأتي وبعمل مخطط ومقصود وواضح لاغراق التناقضات كلها في بحر البترول.

تشخيص ما حدث، ودون ظلم لأحد.. يكمن في ان عصر المشروع القومي ووجه بالقوة المسلحة في ١٩٦٧، ثم جرت بعثرة أجزائه بفعل الموجة المادية للنفط.

ما تراه الآن هو ان كل مجموعة القيم التي كانت مطروحة في المشروع القومي تبعثرت وغابت، وحلت محلها قيم أخرى.. حل المشروع الفردي محل المشروع القومي وسادت قيم السيولة النقدية، واستطاع الطرف العربي الآخر المواجهة للمشروع القومي أن يتحلل من المواجهة، بل وان يمتلك القدرة على تحدي ذلك المشروع.

خذ مثلاً يمكن به قياس ما جرى، ميثاق جامعة الدول العربية جرت عليه تعديلات خطيرة.. ستجد انه حتى فكرة الأمة الواحدة قد ضيعت، وستجد ان «وفداً عربياً نفطياً» اعترض على كل سطر وردت فيه كلمة «اجتماعي».. مجرد كلمة اجتماعي وطلب ازاحتها.. ومعها ازيحت كل كلمة «وحدة عربية».

ان قوة السيولة الموجودة في أيدي قوى لا تنتمي إلى المشروع القومي، أصبحت قادرة ليس فقط على أن تتحرر من تبعات المشروع القومي، وانما امتلكت القدرة على تحديه، وعلى شراء مؤسساته.

لقد تم اللعب بالتاريخ، وبعد ان كانت هناك فكرة مشروع قومي لأمة، انقلب الحال وأضحى كل واحد بمفرده، ليست أقاليم كل واحد منها يسعى لخلاصة الاقليمي، ولكن وصل الحال إلى داخل الاقليم ذاته.. ذلك ان معادلة «الكاشيزم» ـ السيولة ـ تفرض على أطرافها أن تتناقض مع بعضها البعض إلى أقصى حد.. لقد حل المشروع والخلاص الفردي، محل المشروع والخلاص القومي.

لقد ضاعت أمور كثيرة، فالتناقض الرئيسي الواحد الذي كان يواجهه الوطن العربي تم تمييعه، وبدأت المحاور تحدث أثرها، وانشغل كل محور بأمن مختلف، وعلى حساب فكرة وضرورة الأمن القومي الواحد.. وحتى الاطار أو شبه الاطار المهزوز للمشروع القومي وهو الجامعة العربية يتم العمل على الاطاحة به.

لماذا؟!

لأن نظام القيم انها، والرابطة الواحدة ضاعت حتى في مفهوم الأمن والذي اكتسح كل شيء هو موجة الأموال النفطية.

● **الخليج: وماذا عن العقل العربي في هذه الصورة؟**

■ هيكل: المثقفون العرب يقولون كلاماً في الوقت الضائع.. ففي الوقت الذي تعوم فيه المنطقة في الهواء.. أو على «بارفان» تجد من يخرج لك ليتحدث عن معادلات تفاضلية: الفرد، أم الأمة، الأصالة، أم المعاصرة، العروبة أم الاسلام.. ولا يدرك الجميع أنهم لا يمتلكون القدرة على فعل أي شيء.. لا يمكن أن يصنعوا اصالة أو معاصرة.

ان الناس يكثرون من الكلام، حتى أصبحت الكلمة تسبق الفعل، وصارت بديلاً عنه.. وهذا يحدث عندما تغيب امكانية الفعل، ولا يستطيع أحد أن يفعل شيئاً.. عندئذ وفي حالة الفراغ والضياع ينشغل الجميع في قضايا لا يمكن أن تأخذ هذا الحيز الكبير.

لم يسبق أن تكلم أحد قبلنا في قضية التراث، والمعاصرة.. الوضع الصحيح هو انه إذا كان تراثك حياً وحقيقياً فهو موجود فيك، وحي بداخلك، وأنت مستوعب لكافة قيمه.

لم يتحدث أحد مثلاً عن التراث، أو الأصالة، والمعاصرة، قبل محمد علي ورفاعة الطهطاوي، جاء محمد علي، وجاء رفاعة، وحدثت التفاعلات.. التاريخ يصنع تفاعلاته، ثم يحدث حركاته، والحركات تبحث أو تجد أو تسترجع من تاريخها الفكر المناسب لقوتها واستمرار حيويتها.

اننا نجلس الآن ونتحدث في تلك المعادلات التفاضلية.. هذا يحدث فقط في حالة الناس الذين يعجزهم الفعل فيلجأون إلى الكلام.

المشكلة انه قد حدث انقطاع في تراثنا الفكري لفترة طويلة ومحددة، ولكنه ظل باقياً فينا، وعندما ينهض المشروع القومي هو الذي سيستعيد تراثه.

ان هناك تفاعلات تجري الآن، منها مثلاً ان العالم المتقدم من حولنا يشدنا إلى الأمام رغماً عنا.. فنحن نتلقى منه نوعاً معيناً من المعرفة ومن العلم وتطبيقاته، نتلقاه مع من يتلقونه هناك، ولا يستطيع ذلك العالم أن يحجبه عنا بحكم أمور كثيرة.. ولا بد أن يترك أثره التراكمي على المدى الطويل في مجتمعاتنا.

مثال آخر عندما أسمع من نائب رئيس الوزراء المسؤول عن التعليم في مصر ان هناك حوالي ٩,٥ مليون طالب يتعلمون في مراحل التعليم المختلفة من الابتدائي حتى الجامعة، فإن ذلك يعني ان قوة اجتماعية صاعدة تتشكل.. فإذا أضفت إلى ذلك قوة العمل المنظمة في مصر، وحجم مشاركة المرأة في العمل، وارتباط مصر بالعالم العربي، ليس بالفكرة، وانما بالمصالح التي تجسدها. بالثمانية والتسعة بلايين دولار التي يحولها المصريون العاملون في العالم العربي، فإنك ستجد ان الانشغال بقضايا على غرار الاصالة والمعاصرة وغيرها تبدو وكأنها صفير في الظلام.. كل واحد يصفر بنغمته الخاصة ولا يرى الآخرين، بل ولا يرى التفاعلات.. لأن الفعل غائب.. ولو وجد الفعل لانتقى ما هو صالح له وانطلق به.

انها على أي حال حالة مؤقتة.. ومرحلة انتقالية في التاريخ..

في التاريخ لا تقوم المراحل المنتهية بتسليم المفاتيح للمراحل التالية عليها.. تحدث أحياناً فترات ضياع بين المراحل ثم تترسب قوى وتتركز.. أو خلالها ان هذا التفاعل يترسب، ويتركز وستخرج أشياء جديدة في المقدمة منها ظهور مجتمعات تتحقق فيها ركايز تشكيلها الطبقي.. وهذه مسألة في غاية الأهمية.

● **الخليج: ... والمستقبل؟**

■ هيكل: لا حديث عن المستقبل الا وتبرز مصر أولا، لأسباب كثيرة باتت معروفة للجميع.. موقعها ودورها وتأثيرها الذي يمكن أن يعطل ولكنه لا يمكن أن يلغى.

انني أرى في مصر الآن طبقة متوسطة تتكون..

عندما يقال ان في مصر حالياً «ربع مليون» مليونير فإن هذا مؤشر على تشكل

طبقة متوسطة عريضة . . أي ان هناك عملية اعادة تشكيل طبقي.

صحيح ان «الربع مليون» مليونير يأخذون حقوق الآخرين، ولكن في الوقت نفسه هناك أيضاً شرائح المحرومين الذي يمكن أن يكونوا يحلمون بأن يأتيهم الدور في الثراء . . وعندما لا يأتيهم الدور فسوف يعون بموقعهم، وسيتحركون أجتماعياً . . أي طبقياً.

انني أتصور ان الخلخلة التي صنعتها أموال البترول، سوف تعقبها عوامل تماسك في مرحلة اجتماعية لاحقة، وبمعايير مختلفة عن تلك التي عرفناها قبل ١٩٥٢ . . سنجد في التسعينات مجتمعاً له ركائز جديدة.

يمكن أن تتجه البرجوازية الصاعدة لفرض أوضاع ديكتاتورية مثلاً، لا بأس . . لأن نبض المستقبل قد بدأ . . ولأن ثمة جنيناً سيتشكل بالفعل.

٩,٥ مليون انسان يتعلمون . . بعضهم سيكمل طريقه، وبعضهم سيتسرب في الطريق . . وإذا استمر المعدل بالوتيرة نفسها . . وسيستمر، فإن هذا سيحدث بالتراكم الكمي تغيرات كيفية شئنا أم أبينا.

لقد تابعت مؤتمر رجال الأعمال في مصر، ولاحظت ان المستفيدين من عصر أموال البترول قد انقسموا إلى شقين أحدهما يسعى إلى الاستقرار ويحاول أن يبرر لنفسه ليبعد عنه شبهة الانغماس في الاستهلاك، مطالباً بصناعة وطنية، أو حماية الصناعة الوطنية، أي ان يسير المشروع الفردي جنباً إلى جنب مع المشروع القومي، وثانيهما بعيد عن ذلك تماماً، ويتجسد في تجار العملة مثلاً.

صحيح ان طلباتهم تعبير عن طلبات رأسمالية تريد أن تفرض نفسها على الدولة، والدولة تحاول أن تستجيب، وما يخيفني الآن ان جزءاً هاماً من هذه الطبقة غير مرتبط بأرض، أي غير مرتبط بوسيلة انتاج.

لقد كنا نأتمن البرجوازية القديمة على القضية الوطنية، لأنها كانت مرتبطة بالأرض . . والخطر يكمن في المجتمع السائل غير المتشكل طبقياً . . ان أهم شيء هو ان تترسخ كتل اجتماعية محل هذه الأشباح الهائمة.

تبقى علاقة العقل العربي. . بالمستقبل.

أقول ان أي عقل لا يمكن أن يشحذ همته في عزلة عن التخريب، وما قد يتصوره البعض ان العقل في العالم كله يعاني أزمة أمام تطور وتقدم العلم وتطبيقاته فهذا غير صحيح.

ان كل أمر يبدأ بالتصور، وبالبحث أي بالفلسفة ثم يظهر القانون الذي يحكم الظاهرة.

المشكلة ان هناك فكراً موجوداً الآن في العالم المتقدم ونحن في غيبة عنه.

لا زلنا نقرأ اللغة التي نستطيع أن نفهمها فقط ومن يقرأ منا فإنه لا زال في أدبيات تنتمي في أحسن الحالات الى حقبة الحرب العالمية الثانية أو بعدها بقليل، ولكني أشك ان أحداً يتابع الفكر الفلسفي أو الأفكار الجديدة المطروحة الآن في العالم المتقدم.

لقد تخلفت الجامعة عندنا، ولأسباب كثيرة، وبدأ التلفزيون والصحافة يأخذان دور الجامعة. . أما في العالم المتقدم فهناك اتصال وثيق بين الاثنين فأنت تسمع في هيئة الاذاعة البريطانية معلقاً من أساتذة الجامعة فتجده على صلة بالأخبار، ويحلل تحليلاً له علاقة وثيقة بما يجري.

فإذا انتقلت إلى هناك فإنك قد تسمع أستاذاً في الجامعة يقدم تحليلاً بعيداً عما يجري، وإذا سمعت تحليلاً من صحفي فإنه يبدو بدون عمق. . الفواصل عندنا مقطوعة، ولذا فإن ما يقال عن تخلف الفلسفة عن العلم ليس صحيحاً. .

والصحيح ان هناك فلسفة تكتب بلغة جديدة لا نستطيع أن نفهمها.

نحن في أحسن حالاتنا في مجال البحث عن فهم هذه اللغة الجديدة، ومن يقرأون وينقلون لنا فإنهم ينقلون لغة فات وقتها، ومن يحاولون فك طلاسم اللغة الجديدة لم يتمكنوا منها بعد.

إن تخلف جامعاتنا؛ وسيادة وسائل الاعلام دون العمق الطبيعي لها وهو «عمق

الجامعة والمعاهد والمراكز البحثية» جعل من وسائل الاعلام جيشاً يمكن اختراقه وخلخلة صفوفه، ليحدث بالتالي دوراً عكسياً.

لقد شاهدت في الولايات المتحدة، وزرت الجامعات، ووجدت لغة جديدة تماماً، وللأسف الشديد فإن البعض منا الذي استطاع أن يفك طلاسمها التحق بهم هناك، ولم يعد.

لقد طلب مني «امبو» سكرتير عام اليونيسكو أن أترأس لجنة عن الاعلام في هذه المنظمة، وتصورت انني سأقوم بمهمة تقليدية، وسأدير لجنة بالمعنى السائد عندنا.. وقبل بدء الاجتماعات احضروا لي أبحاثاً كثيرة ففوجئت ـ وادعي انني ممن يقرأون ويتابعون ـ إنني قد تحولت إلى تلميذ، وحاولت أن اتتلمذ على ما جرى في هذه اللجنة.. لقد ظللت أقرأ في أول يوم حتى الثالثة صباحاً، ووجدت نفسي أمام عالم اختلفت فيه أمور كثيرة وأفكار عديدة.. هذا في مجال الاعلام، واؤكد لك مرة أخرى ـ وبدون تواضع زائف ـ إنني أعتبر نفسي من المجتهدين فيه.

العقل العربي إذن أمامه أن يتحدى العجز، فإذا كان متيقظاً فإنه سيقرأ اللغة الجديدة، وسيتعامل معها وبها.. والجنين الذي أشرت الى تكونه سيولد في ظروف متغيرة وجديدة وبالتالي فسيكون على صلة بعصره.

عجزنا ليس عجز يأس، لأن لدينا حياة، وتراثنا حي، ومن ثم فإن اعترافنا بعجزنا له وجه آخر هو محاولة البحث عن بديل.. وهذا ما جرى في كل مراحل التاريخ.. فعندما جاء عصر البخار مثلاً، كانت الاستجابة واسعة عندنا وان اتسمت بالبطء.

نحن الآن نواجه «الميكنة» الآثمة التي صنعت الشركات المعددة الجنسية التي صارت أقوى من الدول، وتفرض سيطرتها على العالم.. هل تتصور ان رونالد ريجان هو الذي يحكم امريكا؟ لا.. ان سر نجاحه يكمن في تسميته بالموصل الأعظم.. أي المعبر عن القوى الجديدة والقادر على أن ينقل ويوصل بين فكر، ومؤسسات وقوى وعناصر وتركيبات مختلفة.

تسألني هل المطلوب «بطل» أم غيره؟ أقول لك ان هذا اقتراب يضعك فوق

التاريخ، وأنت حر، أما أنا فلست فوق التاريخ.

من منظور عام «ربنا يكفينا شر البطل»، لأننا لسنا في عصر الأبطال، ولا ندري من أين سيأتي البطل، ومواجهة الشركات المتعددة الجنسية لا تتم بالأبطال.

العصر ليس عصر بطولات فردية، يمكن أن يكون عصر حاكم فرد، وآخر بطل فرد هو جمال عبد الناصر الذي قاد مرحلة الانتقال من التبعية إلى عصر المشروع القومي، كما ان الأحزاب بمعناها ووجودها الحقيقي مستحيلة في غياب تشكل كامل للطبقات.

إن السؤال يفترض تصوراً كما لو ان الخيار فيْ يدنا، المشكلة هي اننا ننظر إلى التاريخ وكأننا في «السوبر ماركت» سنختار منه بعض المأكولات.

كل شيء اختلف، حتى الثورة لم تعد كما كانت، بمعناها التقليدي.. محرومون في مواجهة غير محرومين.. هناك طبقات غير محرومة ولكنها تطلب المساواة، لأنها تستفر مما حولها.

في الماضي، وأيام الرومان مثلاً كانوا يقولون: «اشغل الناس برغيف خبز وسيرك» لم يعد ذلك كافياً لنشغل الناس.

● **الخليج: هل يشهد ١٩٨٥ جديداً في البؤر الساخنة لحرب «الخليج» ولبنان والصحراء الغربية، وجنوب السودان؟ وماذا عن الصراع العربي الصهيوني؟**

■ هيكل: لا جديد.. سوف تبقى ساخنة..

إن كل صراع مرهون بعدة عوامل:

أولها: مشروعيته وأخلاقيته.

ثانيها: القدرة على توصيل هذه المشروعية للآخرين.

ثالثها: امتلاك القوة لفرض هذه المشروعية.

إن هذه البؤر الساخنة تعبير عن تفاعلات تجري تحت السطح.. انها أقرب إلى براكين تتفجر هنا وهناك.. تعبيراً عن غليان في باطن الأرض.

وبدون أن أبدو قدرياً فاننا في مرحلة لا نستطيع التخطيط فيها لما نريده مسبقاً، لسبب واحد هو اننا لسنا ملمين بأبعاد ما نواجهه.

نحن أمام عالم متغير في كل شيء، ونحاول اكتشافه وفك طلاسمه ولكننا لم نبدأ المحاولة الحقيقية لقراءة لغته.

انه عالم تسري علينا قوانينه، ونشعر بها، ولا نستطيع أن نفسرها لأننا لا نقرأ اللغة المكتوبة بها.

ان أحد جوانب أزمتنا هي ان الجيل السابق ـ جيلنا ـ قدم لجيلكم الأمور بمنطق يحاول أحياناً أن يبرر بأثر رجعي، أو ان يرثي، أو أن يفاخر، لقد مارسنا كل ألوان الشعر العربي وفنونه.. مرثياته، وفخره، وحماسته، ولم نستطع أن نكتشف خلايا عقلنا اللازمة لعصرنا.. كنا مغرمين بالصياغات واورثناها لكم!!

أما بالنسبة للصراع العربي الصهيوني فباختصار.. الأمة العربية تعاني أزمة وجود حضاري، اسرائيل تعاني أزمة وجود عملي عضوي.. قد تكون لدى اسرائيل بعض اللمحات الحضارية ولكنها بدون أساس عملي وعضوي.. فكلانا في أزمة.. والمطلوب هو العمل، تحقيق الوجود الحضاري للأمة العربية.. أي ان تتجه أزمتنا لتعويض نفسها، وفي الوقت نفسه العمل على أن تؤكد أزمة الوجود في اسرائيل نفسها.

● الخليج: وماذا عن هذا الذي يجري بين مصر والأردن ومنظمة التحرير؟ وهل هو اعتبار ضمني لما فعله أنور السادات؟! وإلى أين يذهب عرفات؟

● هيكل: سوف يبقى عرفات ولخمس سنوات قادمة يركب طائرته، ويلف، والله وحده يعلم الباقي.. ومع ـ حزني الشديد ـ سيظل عرفات يركب الطائرة من مطار لآخر يحمل الفكرة الحائرة معه، ولن يعطيه الواقع العربي ما هو أكثر من النزول في مطار والاقلاع منه ولا شيء آخر.

المجلس الوطني، وموقف سوريا.. الخ.. كلها تفاصيل.

اسرائيل في ظل الموازين الراهنة لا تعترف، لا بالأرض ولا بالسيادة، ومنظمة التحرير في ظل الواقع العربي ستظل فكرة وأملاً معلقاً خارج أرضه، يعيش على

هامش ذلك الواقع، وكل الكلام الذي تسمعه هو كما يقول بعض اخواننا العرب «طق حنك»!

لا بد أن نكتشف صيغاً جديدة في الصراع العربي الصهيوني.. ما كنا نتصور في الخمسينات والستينات حول بناء قوة قادرة على أن تضرب اسرائيل في غيبة عن بقية العوامل، لم يعد ممكناً.

فكرة «دولة الطوق» التي ستكسر «دولة البندقة» لم تعد واردة لأنك عاجز تقليدياً عن بناء دولة الطوق، ولأن «دولة البندقة» المحاطة بالطوق أصبحت تمتلك سلاحاً رادعاً، يفوق قدرات العرب، ولديها توازنات دولية أكبر مما لدينا..

صحيح ان اسرائيل لديها أزمة وجود، وستكتشف انها لا تستطيع الحفاظ على وجودها، ولكن شاغلنا الأكبر يجب أن يكون تركيزنا على أن يستطيع داخلنا اكتشاف نفسه واكتشاف عصره، واكتشاف قوانين هذا العصر، لأننا أمام مرحلة منقطعة الصلة بما قبلها، ومن جوانب معينة.

● **الخليج: .. ومصر العائدة عربياً، ومن سيخطو بعد الأردن؟**

■ هيكل: حسن.. أريد أن تعود مصر عربياً، وان يعود العرب مصرياً ولكن إلى أين؟

عندما يقال لي أن مصر تعود لتلعب دور الوسيط بين العرب وبين اسرائيل، فأنا أظن إن مصر لا تستطيع أن تلعب هذا الدور، لأن المسألة إذا كانت مسألة وساطة مع اسرائيل فإن أمريكا هي المرشح الأفضل والأقوى لذلك.. انه ليس دور مصر، ولا تستطيع مصر القيام به.

والخطوة التالية بعد الأردن.. ليخطها من يشاء.

مصر والأردن ومنظمة التحرير.. لا يمكنهم عمل أي شيء.

القضية الخطيرة هي ان هذه الأطراف التي تتحرك تعي تماماً انه ليس أمامها شيء، ولا بد أن تتظاهر بأنها تؤدي دوراً، والا فالبديل هو أن تترك مواقعها إذا أظهرت عجزها.

و. . . تخيل لو إنني في مكتبي هذا لم أجد شيئاً أكتبه، وقمت بسماع الموسيقى، أو ري هذه الزهور، أوكنس الأرض، هل تسمي هذا عملاً؟ ان عملي هو أن أفكر وأكتب، وإذا قمت بغير ذلك فإنني أتحرك. . هذا صحيح. . ربما كي لا يعرف من يقفون أو ينتظرون خارج مكتبي إنني لا أعمل. . لأنهم إذا عرفوا الحقيقة فسوف ينصرفون عني، ويتساءلون. . لماذا إذن عطلتنا؟!!

وما يجري الآن ليس فيه رد اعتبار لأحد، ويوماً بعد يوم ستكتشف حجم فداحة ما جرى.

● **الخليج: . . . وماذا عن آخر مشاريعك؟**

● هيكل: أولاً أن أنتهي من كتاب زيارة للتاريخ الذي يفترض ان يتم في مارس، ثم أنتهي من كتاب عن السويس بمناسبة مرور ثلاثين عاماً عليها. . كتاب يحمل الحقيقة الكاملة. . والنهائية. . وأن أنتهي من كتابي عن عبد الناصر. . وآخر مشاريعي هو انني مثلك أحاول أن أكتشف ما يجري حولي ليس فقط لأفهمه، وإنما كي لا أتصادم معه على الأقل.

هموم العرب في عام ٨٥

من السهل أن تبدأ المناقشة مع محمد حسنين هيكل، ومن الصعب أن تنهيها. البداية سهلة لأن هنالك أكثر من نقطة وأكثر من قضية يمكن للمرء أن يستشف مدى قدرة شخص له خبرة هيكل ومعلوماته وقراءاته على الخوض فيها. والنهاية تبدو صعبة لأن المناقشة تطول وتتشعب فتلتقي معه أحياناً وتود لو أن الوقت يسمح بالمزيد على مدى ثلاث ساعات تقريباً تواصلت هذه المناقشة التي جرت مع محمد حسنين هيكل خلال وجوده معنا في لندن قبل أيام، وهي بدأت من نقطة كان حولها خلاف: هو يرى أن ما حصل من جراء حرب حزيران (يونيو) العام ١٩٦٧ جرى تجاوزه بما تحقق في حرب تشرين الأول (أكتوبر) العام ١٩٧٣. كيف؟ سألناه، فأجاب أن الارادة تأتي قبل الأرض، إذا كانت هنالك إرادة (وهو ما حدث في حرب ١٩٧٣) فإن تحرير الأرض (ما ضاع في ١٩٦٧) يصبح تحصيل حاصل. نظرياً ليس من خلاف على أن الإرادة شرط للفعل، فمن لا إرادة عنده لا فعل له، لكن عملياً ليس بوسع المرء أن يسقط عام ١٩٦٧ من حسابات الذاكرة أو من التاريخ لمجرد أن حرب ١٩٧٣ حصلت وحققت ما حققت. تلك كانت نقطة خلاف بدأت بها المناقشة التي رأينا أن ننشرها ببداية أخرى تتعلق بما دار حول ما حصل في السودان وما يمكن أن يحدث في مصر والعلاقة بينهما سلباً وإيجاباً لماذا؟ ربما لأنه من نافلة القول أن ما جرى في السودان ما يزال يستحوذ على اهتمام الكثيرين وان هنالك من يرصد بكثير من الدقة تطورات العلاقة المصرية ـ السودانية، وما هو محتمل الحصول في مصر. وهنا وقائع المناقشة.

● مجلة التضامن ـ ١٧/ ٥/ ٨٥ بكر عويضة

● **في ضوء ما حصل في السودان قبل أيام، هل كونت رؤية تقوم ما حصل وتستشف ما سيتبع ذلك بالنسبة لمستقبل السودان؟**

■ هيكل: أعتقد أن السودان كان معرضاً لحكم من أفسد أنواع الحكم في الدنيا. وهذا ليس رأياً لي أقوله اليوم بعدما سقط حكم نميري، بل أن لي رأياً في الرجل يعود إلى أيامه الأولى في الحكم، لم أكن مقتنعاً به، كان غيري مقتنعاً أما أنا فلم أكن، أول مرة قابلته كنا في الطائرة التي أقلت الوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر والوفد السوداني برئاسته (نميري) إلى مؤتمر قمة الرباط. كان ذلك في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٩، ويومها ونحن على متن الطائرة روى الرجل حكاية على أنها من مآثره بعد الثورة وخلاصتها أنه كان يحضر مباراة كرة قدم لفريقين سودانيين وكانت النتيجة هدفين مقابل صفر لصالح أحد الفريقين وظلت كذلك إلى ما قبل انتهاء المباراة بقليل فاضطر هو كقائد للثورة أن ينزل إلى أرض الملعب ويسجل هدفين للفريق المغلوب حفاظاً على معنوياته أمام الجماهير. . ما أن سمعت هذه الحكاية يقولها الرجل بنفسه حتى أدركت كم هو ضيق الأفق، وقد قلت هذا الرأي للرئيس عبد الناصر الذي رغم ذلك، طلب مني أن أجامله وأن تهتم «الاهرام» بالسودان وأخباره لكن ما قصدته هو أنني لم أقتنع بالرجل منذ البداية وعلى أي حال لا أظن أنه هو أيضاً اقتنع بي، بمعنى أننا كنا على طرفي نقيض تماماً، ما يعنيني أن الرجل بضيق الافق عنده لم يفهم السودان ولم يعرف كيف يحكم بلداً له تمايزاته الشديدة مثل السودان وانتهى به الأمر إلى أن أوصله إلى حالة مأساوية فعلاً.

● **المستقبل. . مستقبل السودان بعد الذي حصل كيف تراه؟**

■ هيكل: بالنسبة للذي حصل في السودان فإنني ما أزال أحتفظ بأوراقي معلقة،

بمعنى أنه من السابق لاوانه أن نصدر فيه حكماً. أنا أعتقد أننا أمام بداية القصة وليس نهايتها هناك جماهير غضبت ونزلت إلى الشارع وتمكنت من اسقاط الحكم، وهذا الذي حدث ليس ثورة كما أنه ليس انقلاباً وإنما هو تسلم للسلطة، قد يكون بوحي، وقد لا يكون بوحي، لكنه سيبقى في اطاره من حيث أنه تسلم للسلطة إلا إذا أثبت أنه عكس ذلك، علينا أن نتابع بعد ذلك ما الذي سيحدث متابعة موضوعية أي من دون افتراض حسن الظن، ومن دون التلويح بسوء الظن.

● **إذا افترضنا أن ما يجري في السودان لا بد وأن يترك ظلاله على مصر، وإن الوضع الاقتصادي البالغ السوء الذي انتهى إليه السودان قد عجل في ذهاب حكم نميري و . . .**

■ هيكل: لا . . المسألة ليست، الوضع الاقتصادي صحيح أن سوء الوضع الاقتصادي كان عاملاً مهماً ولكن كان هنالك خنق للحريات وكانت هناك فضيحة «الفالاشا» وهذه ليست مسألة اقتصادية كان هنالك العبث الذي جرى في الجنوب من حيث تقسيمه ضد رغبة وإرادة أهله باختصار كان هناك عجز عن فهم السودان وبالتالى القدرة على انتهاج اسلوب صحيح فى حكمه . أريد أن أقول أن الحكم المطلق لا يمكن أن ينجح فى السودان والذى جرى فى عهد نميرى كان حكماً مطلقاً لدرجة الاستهانة بالناس . كل يوم كان هناك تحالف مع مجموعة لضرب مجموعة أخرى وهكذا

● **ما أردت أن أصل إليه من سؤالي، هو أن مصر تتأثر سلباً أو ايجاباً بما يحدث في السودان على الرغم من اختلاف الظروف ومصر اليوم فيها أزمة اقتصادية، كما أن آثار عهد السادات ما تزال قائمة من حيث الهوة الواسعة بين الغني والفقير، وفي مصر اليوم حديث عن بروز نغمة مسلم ومسيحي، فضلاً عن ما يتردد من أن الشارع المصري قد يشهد توترات معينة فما هو تقويمك للأمر وهل أنت خائف على مصر؟**

■ هيكل : من دون شك خائف عليها بالطبع. مافى شك أن مصر تعيش فى أزمة أنت أشرت إلى أن الظرف فى مصر يختلف عنه فى السودان، هذا صحيح ولا يجب أن نقيس ماحدث فى السودان على مصر. الحجم السكانى فى مصر أكبر،

مصر لديها عوامل انتاج حقيقية . الشعب المصرى صبور أكثر لكن هذا لا يمنع أن مصر فعلاً على أبواب أزمة اقتصادية اجتماعية فكرية.. مصر تبحث عن هوية الرئيس حسنى مبارك يحاول العودة بمصر إلى مكانتها العربية بعدما ورث ما ورثه عن أنور السادات . قضية الهوية تلح على المصريين وبالتالى فهى تلح عليه . إضافة إلى ذلك الرجل عنده مشاكل كثيرة ومع ذلك فهو يحاول لكن ما لا ينكره أحد هو أن مصر تواجه أزمة طاحنة متعددة الجوانب . لكننى لا أتوقع ولا أعتقد أن الذى حصل فى السودان يمكن أن يحدث فى مصر لاختلافات موضوعية واضحة بين البلدين .

● **السؤال ما يزال قائماً . . هل تعتقد أن مصر مقبلة على انفجار شعبي مثلاً؟**

■ **هيكل: ليس بالضرورة لكنني استطيع القول أن مصر مقبلة على توترات إذا لم** تعالج اسبابها بيقظة فإنها قد توصل إلى ماهو أكثر من توترات. إلى انفجارات حقيقية.. فى اعتقادى أن الموقف اليوم فى مصر مايزال منضبطاً لأن هنالك موارد حقيقية. هناك طاقة انتاج حقيقية. هناك الذى انجزه جمال عبد الناصر. مصر مثلاً فيها فقر لكن لا تهددها المجاعة أو القحط بفضل وجود السد العالى ولكى أكون منصفاً لابد أن أقول أن مصر متماسكة لأنها باشرت فى بناء اقتصادها . منذ الاستقلال الوطنى بقيادة البورجوازية الوطنية ثم تكثفت عملية البناء الاقتصادى بعد الثورة ورافقها عملية البناء الحضارى . هل تعلم أن عدد الذين يتلقون التعليم فى مصر الآن يبلغ تسعة ملايين؟ مصر تحدث فيها تغييرات كثيرة ربما أننا لا نلحظها . وما أعتقده أن مصر تتجاوز فى نموها أوضاع الحكم فيها وهذا ما فرض موضوعية الديموقراطية حيث تجد اليوم فى مصر نوعاً من حرية التعبير بصرف النظر عن مداها وهو أمر ليس طوعياً أو منحة من أحد لأن الحركة الشعبية فى مصر نمت بأكبر من وحدانية السلطة إذا كانت ما تزال موجودة فى ذهن أحد أعود إلى السؤال وأقول أن مصر فعلاً تقف على أبواب أزمة لابد من تداركها خصوصاً فى المرحلة المقبلة وإلا فإنها ستؤدى إلى عواقب وخيمة جداً

● **نحن الآن على أبواب سنة كاملة مرت على انتخابات أيار (مايو) ١٩٨٤ وهي انتخابات تميزت بأنها أول انتخابات برلمانية تجري بعد عودة الحياة الحزبية، كيف كانت قراءتك لنتائج التجربة؟**

■ هيكل: أنا من الذين يعتقدون أن نتائج الانتخابات لم تعبر تعبيراً حقيقياً عن واقع القوى السياسية التي كانت موجودة على الساحة. وأعتقد أيضاً أنه بطريقة ما كان هنالك تدخل في سير هذه الانتخابات. وإلى ذلك أنني أعتقد أنها فرصة ضاعت لأنها لم تعبر عن حقيقة الاوضاع في الشارع المصرى. وبالتالي فإن هنالك تيارات كثيرة أما أنها غابت أو أنه جرى تغييبها. وبالتالي لست أعتقد أن البرلمان الموجود يمثل الشارع المصري تمثيلاً قريباً مما هو قائم على أرض الواقع. مع هذا يبقى أن مصر عندها برلمان يتواجد تحت قبته حوالي ستين نائباً معارضاً وهو ما يسمح بوجود نوع من المحاسبة والحوار والمناقشة الجدية التي ربما لا تكون على المستوى المطلوب، وربما أنها لا تتعرض بالمناقشة لبعض القضايا الاساسية لا بالكم الكافي ولا بالعمق المطلوب، لكن يبقى أنه بشكل أو بآخر هنالك صمامات أمان.

● **ورؤيتك لليسار المصري وموقعه من الخارطة السياسية المصرية؟**

■ هيكل: أظن أن اليسار المصري شأنه في ذلك شأن اليسار العربي كله عليه مراجعة ما جرى فى الدنيا كلها، ويقوم مواقفه على اساس من هذه المراجعة. . أنا أفهم أن الماركسية تعالج موضوعين أساسيين: وسائل الانتاج وعلاقات الانتاج. فإذا سلمنا بأن وسائل الانتاج حصل فيها تغيير فادح يضعنا على أبواب ثورة أخرى لا تقل عن الثورة الصناعية . فهل نستطيع الاستمرار فى الحديث عن وسائل وعلاقات الانتاج بالطريقة نفسها التى تناولها كارل ماركس عندما كان هنا فى انكلترا ؟ اليسار فى العالم العربى للاسف الشديد لا يتابع ما يجرى فى العالم ، وليس اليسار وحده بل حتى التيار اليمينى لا يتابع ما يجرى حوله من تغييرات . أى عندنا يسار غير واعٍ بالقدر الكافى ، وعندنا يمين فى حالة غيبوبة تماماً . باختصار أن المطلوب من اليسار ومن اليمين ومن الاطراف كلها أن تقرأ وتتابع ما الذى جرى فى الدنيا .

● **هل تتخيل مصر دولة تطبق حدود الشريعة الاسلامية من قطع يد السارق إلى جلد شارب الخمر إلى رجم الزاني؟**

■ هيكل: هنالك نقطة اساسية في هذا الخصوص تهمني الاشارة إليها وهي أن مصر بلد متدين وشعبها متمسك بدينه. ثم أنني أشير دائماً إلى مقوله فقهاء الأصول المسلمين: «حيثما تكون مصلحة الناس فهناك شرع الله» وأنا أعتقد أن هذه المقوله تتضمن التفسير الجامع المانع لمسألة تطبيق الشريعة الإسلامية. وبالتالى أنا أعتقد أن المشرعين فى مصر أخذوا من الشريعة الإسلامية كل شيء بقى أن تحدث تعديلات فى قوانين العقوبات بما يتيح تطبيق الحدود والسؤال هنا: قبل أن نبحث فى العقوبات إلا يتوجب علينا البحث فى ماهو حاصل لجهة الفرائض؟ ومنها مثالاً فريضة العدل. أريد أن أقول أن الإسلام بجلاله كله لا يتلخص فى العقوبات وحدها. صحيح أنه من المهم أن ننظر إلى العقوبات كما يراها الإسلام، لكن علينا أن نبحث فى العقوبة بعدما نكون أقمنا النظام. وأول قواعد النظام العدل خلاصة القول هى أن الإسلام لا يتنافى مع تطورات العصر. ولا أظن أن هنالك ديناً أعطى لسلطان العقل مثلما أعطى الإسلام، ومن هنا أن ربط إسلام مصر بتطبيق الحدود فيه هو نوع من السطحية المرفوضة تماماً.

● **أنت من دون شك، ترصد تطورات ما يجري على مسرح الشرق الاوسط رصداً من نوع خاص ترى في ضوء آخر المعلومات المتوافرة لك، كيف ترى مسار الاحداث في الشرق الاوسط هل هي إلى انفراج أم إلى مزيد من التعقيد الذي يتزايد سنة بعد أخرى منذ العام ١٩٦٧؟**

■ هيكل: اسمح لي أولاً أن أقول أنك تخطىء في الحساب لماذا؟ أنت تقول «منذ سنة ١٩٦٧». صحيح أن ما هو أمامنا اليوم بدأ سنة ١٩٦٧ لكنك تنسى وكثيرون أيضاً ينسون أن ما بدأ سنة ١٩٦٧ صحح أو كان ينبغي أن يصحح سنة ١٩٧٣ ما استغرب له كثيراً أننا نعتبر أن المسافة من سنة ١٩٦٧ إلى الآن هي استمرار واحد لم ينقطع وأنا ادعي اننا بهذا نغفل فترة من أهم فترات التاريخ العربي. أنا أسلم معك ومع الكثيرين بأن ما حدث سنة ١٩٦٧ كان عثرة خطيرة جداً سواء اسمينا ما حدث «نكسة» أو «هزيمة» ولكن أنا أضع ما حدث سنة ١٩٦٧ في اطار استمرار معركة بمعنى أنك وانت تقاتل من أجل هدف قومي كبير قد تواجه فجأة بصدمة كبيرة المهم هنا هو ألا تفقد إرادتك، وإلا تترك للصدمة فرصة النجاح في تغييب إرادة القتال والاستمرار المشكلة أن الكثيرين يعتبرون أن ١٩٦٧ هي خطواحد مستمر إلى الآن

وهذا ليس صحيحاً صحيح ان ما حصل في ١٩٦٧ قد حصل وكانت هنالك هزيمة لكن هذا لم يكن نهاية المطاف كانت صدمة شديدة صدمتنا جميعنا صدمت جيلاً وأمة بكاملها لكنها تكراراً لم تكن نهاية المطاف كان هنالك زعيم مسؤول عن توجهات هذه الأمة وعلى أثر صدمة ١٩٦٧ خرجت الأمة بأكملها تطلب منه الاستمرار في تحمل مسؤولياته القيادية، وهذا ما حدث استمر الرجل واستطاع أن يعيد بناء جيش وسط انقاض الهزيمة بمعنى أن مصر حين قبلت قرار مجلس الأمن في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ (القرار ٢٤٢) كانت تقبله وقد استعادت بناء قوتها العسكرية وأظن أن الشيء نفسه ينطبق على سوريا أي أن مصر اعتباراً من أول تشرين الثاني «نوفمبر» ١٩٦٧ استكملت اعادة بناء قوتها الدفاعية وبدأت تنمي القوة الدفاعية إلى قوة هجومية ـ علماً بأنني أحد الذين يؤمنون بأن الفصل بين القوة الدفاعية والقوة الهجومية هو مسألة مفتعلة بمعنى أنك تستطيع أن تخوض حرباً دفاعية تستنزف فيها عدوك وتكون حرباً منتصرة ـ إذاً نحن في تشرين الثاني «نوفمبر» سنة ١٩٦٧ كنا قد بنينا قوة دفاعية بدأنا ننميها وقبل وفاته في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ كان جمال عبد الناصر قد وقع خطة «جرانيت رقم ١» وهي خطة عبور قناة السويس بخمس فرق على ثلاثة محاور ثم طورت هذه الخطة أثناء حياته لكنه لم يوقع على التطوير (جرانيت رقم ٢) إلى جانب ذلك كان هنالك هم بناء الجبهة الشرقية وذهب جمال عبد الناصر وجاء أنور السادات وأمامه مجمل عمل أمة بأكمله وهو دفع اليوم الذي يمكن أن تصحح فيه ما حدث سنة ١٩٦٧ وهو ما سمي في ذلك الوقت بـ «ازالة آثار العدوان» وما أريد أن أقوله هنا أن «ازالة آثار العدوان» ليس كما يدعي بعض الناس من أنها مهمة مرحلية جداً لأن كل من يتصور أن الصدام الموجود في الشرق الاوسط هو صدام ينتهي في ثلاث أو أربع سنوات أو حتى خلال جيل بأكمله هو شخص واهم هذا صدام طويل جداً ويقرر مصير أمم ومنطقة بأكملها إذن أنت حين تزيل آثار العدوان معنى ذلك أنك استطعت أن تواجه اسرائيل على أرض اختلتها وأن تجبرها على التخلي عن التمسك بتلك الأرض وهذا هدف إذا اسميناه دفاعياً ومحدوداً في عملياته فهو غير محدود في آثاره من هنا أن الذي حدث هو أن جمال عبد الناصر أكمل المسيرة خلال سنوات ٦٧ و ٦٨ و٦٩ و ٧٠ ثم يأتي أنور السادات ويحقق قيام الجبهة الشرقية التي كانت موضوعاً

يشغل جمال عبد الناصر وقد نجح أنور السادات بفضل صداقته مع حافظ الاسد في تحقيق التفاهم على قيام هذه الجبهة ثم تأتي هذه الخطة وتحت ضغوط أقوى من إرادة أي فرد وبحكم ديناميكية قوة وجدت وعندها حركتها الذاتية وهي القوات المسلحة العربية كلها سواء في مصر أو في سوريا بالتحديد إضافة إلى بلدان عربية أخرى بدأ يتبلور موقف لا يستطيع أحد حتى لو أراد أن يتجاوزه وجاءت سنة ١٩٧٣ واستطاعت القوات العربية أن تعبر قناة السويس والقوات السورية تقدمت أي أنه لأول مرة في التاريخ العربي الحديث وجدنا أنفسنا أمام حقيقة قيام التحالف العربي الكبير مصر وسوريا تحاربان في اللحظة نفسها، حتى أن أكثر شيء كان يشغلني يوم ٦ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٣ هو ما إذا كانت كل الاطراف ستلتزم بالتوقيت المتفق عليه، وهو ما حدث فعلاً القاهرة ودمشق اطلقتا النار في اللحظة ذاتها، وهذه مسألة مهمة جداً لا ينتبه إليها كثيرون على الرغم مما لها من ايماءات استراتيجية وتاريخية أكثر أهمية في حياتنا والتأثير على مستقبلنا من كل حسابات الارباح والخسائر فالقتال هو في مجمله عمليات عسكرية يسبقها وضع تصور لمفهوم الحرب استراتيجية الحرب والواضح عندي أنه لا يمكن لبلد عربي واحد أن يحارب باستراتيجية تخصه وحده في حين أن الحرب تخص أمة بأكملها من هنا أن معنى دخول سوريا الحرب في اللحظة نفسها مع مصر يفوق في أهميته الكثير مما يمكن أن نتحدث عنه في حساب المعارك كأن نسأل عن حجم الخسائر أو حجم النيران التي اطلقت إلى غير ذلك.

اضافة إلى دخول مصر وسوريا الحرب في وقت واحد برزت الصورة على النحو الآتي: العراق أرسل قواته إلى سوريا، الاردن لم تحارب من حدودها ولكنها أرسلت قوات إلى سوريا، وكذلك فعلت المغرب والجزائر والسودان، أما السعودية من جهتها فاشهرت سلاح البترول، إذن نحن أمام تحالف عربي ضخم أعتقد أنه كان أكثر أهمية من قوة النيران التي كانت متوفرة يومها، وإذا اضفنا إلى هذا التحالف الاستراتيجي ابعاده الدولية، مثل تأثير موضوع البترول، ووقوف الاتحاد السوفياتي الذي كنا نحارب بأسلحته والمفاجأة التي واجهت أميركا التي كانت تقول دائماً أن العرب لن يهاجموا اسرائيل أبداً ثم الصدمة التي حدثت

لاسرائيل نفسها وهي ترى أن العرب قادرون على الاخذ بزمام المبادرة، إذا أخذنا كل هذه الابعاد معاً نستطيع أن نلمس مدى أهمية هذا التحالف الضخم الذي فرض نفسه على خارطة المنطقة يومذاك، ومن هنا انني أعتقد أن ما حدث أيام ٦ و٧ و٨ أكتوبر ١٩٧٣ ينبغي أن يسقط من حساباتنا ما حدث سنة ١٩٦٧ . . . تماماً مثلما هو الحال بالنسبة إلى شخص ماض في طريق طويل، يقع، يتعثر، ثم ينهض ويواصل المسيرة، أنت لا تستطيع أن تقول أن هذا الشخص توقف عند هذه السقطة أو تلك، إلا من حيث التاريخ بمعنى أن نقول تاريخاً أن العام كذا شهد كذا، لكن في حسابات الحروب المسيرة لا تتوقف عند معركة واحدة، ولذلك فإن ١٩٦٧ في اعتقادي انتهت، أو أن آثارها انتهت بقيام هذا التحالف الذي كنت أشير إليه بما حصل في أيام ٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٩٧٣.

● كيف تطلب مني أن اعتبر أن ما حصل سنة ١٩٦٧ انتهى وانتهت آثاره بما حصل في حرب ١٩٧٣ في حين أن الارض التي احتلت عام ١٩٦٧ ما تزال محتلة؟

■ هيكل: الارض المحتلة لا تساوي شيئاً في حسابات الإرادة، الارض هي الإرادة أولاً، بمعنى أنني استطيع القول أن اسرائيل كانت موجودة في كل جنوب لبنان لكنها خسرت المعركة هناك بعدما ثبت لها أن هنالك إرادة أخرى موجودة وأن هذه الإرادة قادرة على أن تتحداها فمن الاخطاء التي نتصورها أيضاً أن نتائج المعارك محكومة بحسابات الارض بينما أن الحروب تنتهي إلى خسارة أو إلى نصر حسب احتلال الاجنبي للارادة الوطنية وليس للارض، نعم احتلال الارض هو رمز لاحتلال الارادة، لكن إذا كانت إرادتك قادرة على أن تتحرر من قيد الأرض وتواصل النضال والقتال فأنت إذن مستمر وموجود، وقد يشكل احتلال الارض عبئاً نفسياً عليك، لكنك أنت باستمرار الارادة فيك تكون عبئاً كبيراً يواجه العدو يعني اسرائيل وهي تحتل جنوب لبنان كانت تواجه إرادة اللبنانيين، وبقدر ما كانت الأرض تشكل عبئاً على اللبنانيين من حيث أن أرضهم محتلة، هذا العبء نفسه كان يواجه اسرائيل من حيث أنها تحتل أرضاً فيها إرادة حرة قادرة على أن تتحدى مخططها.

من هنا انني أرفض أن نوقف التاريخ عند لحظة معينة ونقول: هذا هو ما حصل، التاريخ حياة وحركة حية باستمرار وكل لحظة لها أهميتها، وبعد الذي حدث سنة ١٩٧٣ انتهى الحديث عن سنة ١٩٦٧، على الرغم من أن الاسرائيليين ما يزالون في الارض، لكن أشياء كثيرة تغيرت في ١٩٧٣، الموازين تغيرت، الديناميكية تغيرت، حتى السيكولوجية تغيرت، إذن خلاص انتهت ١٩٦٧ ويجب الا نلتفت إليها، لا تقل لي أن الوضع مستمر من سنة ١٩٦٧ وأنه متواصل، وأحب أن أقول هنا أنني لا أدافع عن شخص معين، لأن الذين نفذوا وقادوا ما حصل في ١٩٧٣ هم أنور السادات وحافظ الاسد والملك فيصل بن عبد العزيز، بمعنى أنني لا أدافع عن جمال عبد الناصر الذي اعتبره بطلاً من أبطال هذه الامة، في المحصلة أننا يجب أن نكون منصفين ونقول أن ما حصل سنة ١٩٦٧ وقع تلافيه سنة ١٩٧٣، وعلينا أن نسأل ما الذي حصل من سنة ١٩٧٣ فصاعداً.

● **حسناً... لماذا ظلت معظم الارض المحتلة محتلة على الرغم من أن ما حصل في ١٩٧٣ يلغي ما حصل في ١٩٦٧، هل ثمة خلل سنة ١٩٧٣ ادى إلى أن الوضع العربي هو على ما هو عليه الآن؟**

■ هيكل: الملفت للنظر في ما حصل سنة ١٩٧٣ هو أن العرب المهزومين قوموا أوضاعهم تقويماً صحيحاً، وأدركوا أنهم لا بد لهم من أن يعودوا إلى ممارسة إرادتهم، وهؤلاء العرب الذين مارسوا إرادتهم وحققوا بذلك بعض التقدم، وأعطوا - على أقل تقدير - إشارات لعدوهم من نوع أنهم لن يقبلوا الاحتلال، وأعطوا إشارات للمجتمع الدولي من نوع أنهم لن يقبلوا الامر الواقع، وأعطوا إشارات أنهم قادرون على الحركة، وأنهم قادرون على التقدم والتضحية واستيعاب تكنولوجيا معقدة وجديدة، هؤلاء أنفسهم عادوا من موقع سوء التقدير من جهة والزهو والتفاؤل من جهة أخرى، فاضاعوا كل شيء.

● **كيف؟**

■ هيكل: في الحرب، وهي ما تزال دائرة بدأت كل الاطراف العربية، مع الاسف

الشديد، تحاول أن تحصي مكاسبها وغنائمها الذاتية، والنتيجة أنهم خسروا، عندما كانت هنالك هزيمة ادرك العرب كلهم أنهم جميعاً يدفعون ثمن ما جرى، وأول ما حققوا نوعاً من القوة والانتصار تصوروا أن هنالك الكثير من الغنائم وانهمكوا جميعهم في حسابات الغنائم، والنتيجة أن ذلك التحالف الذي كان قائماً بينهم انتهى وضاع منهم أنا أعتقد أن التورط في حسابات الارباح والغنائم كان بداية التفريط بما حصل في ١٩٧٣، وبتعبير آخر أن ما حصل في يناير وفبراير ومارس ١٩٧٤ واستمراراً حتى منتصف ١٩٧٥ كان في تقديري أبشع الجرائم التي ارتكبت في حق هذه الامة.

● **ما الذي تعنيه من أحداث تلك الفترة؟**

■ هيكل: سأقول.. الذي حدث أننا ونحن ننجح في تحقيق العبور، وننجح في أخذ زمام المبادأة، وتحارب مصر وسوريا معاً وفي وقت واحد وبدعم عربي، ونرى أننا نجحنا في تحقيق شيء مختلف عما حدث في ١٩٦٧، بدأ البعض منا يتحدث عن مردود ما حصل لا من الناحية العسكرية، ولا حتى من الناحية السياسية، بل من الناحية الطبقية، بدأ البعض منا يقول: «بلاش السلاح السوفياتي»، ليس ضرورياً أن يكون الاتحاد السوفياتي طرفاً في التسوية، بمعنى أننا بعد ما قاتلنا بالسلاح السوفياتي بدأنا ندير ظهورنا للسوفيات، بل ونعرضهم إلى اذلال وامتهان، وننسى بذلك أننا سنظل بحاجة إلى السلاح السوفياتي، لانني من المؤمنين بأننا لن نحارب اسرائيل، أو لن يسمح لنا أن نحارب اسرائيل بسلاح غير السلاح السوفياتي، ومعنى أن تتخلى عن السلاح السوفياتي وتخرج السوفيات كقوة سياسية من المنطقة، معناه أنك تقبل بمنطق التسوية وتسقط الخيار العسكري، وهو يعني أيضاً القبول بالدخول في مفاوضات لن تنتهي، لأن أية مفاوضات بين طرفين ميزان القوى بينهما مختل هي مفاوضات محكومة بالفشل من حيث أن أطرافها سوف يتفاوضون إلى الابد من دون الوصول إلى نتيجة هذه أول الغلطات.

الخطأ الثاني أننا لم نفهم قيمة التحالف الذي كان قائماً مصر ذهبت إلى توقيع اتفاقية فك ارتباط من جانبها، وسوريا أحست أنها خدعت، وسواء كان الاحساس

السوري صحيحاً أو لم يكن، فأنا أتصور أن الذين أطلقوا الرصاص في وقت واحد من واجبهم أن يمسكوا القلم في وقت واحد أيضاً، بل قبل ذلك أي قبل اتفاقية فك الارتباط حصل اختلاف على القبول بوقف اطلاق النار، مصر وافقت وسوريا رفضت، إذن توقيت الاطلاق الموحد للنار، لم يكن هو توقيت وقف الاطلاق، بمعنى أن اطراف التحالف بدأت مسيرة الشتات بأسرع مما تصور العدو نفسه، علاوة على ذلك جرى اخراج السوفيات من المنطقة بما أخل بالتوازن الاستراتيجي، وأحدث نوعاً من التسليم للولايات المتحدة بأن تصبح وحدها الحكم في المنطقة، وهي، أي أميركا جاءت وطالبت برفع الحظر البترولي بحجة أنها لن تستطيع التحرك سياسياً طالما أنها تحت تهديد بحظر النفط وكانت النتيجة أن الطرف الذي طالب بحظر النفط هو نفسه الذي طلب رفعه، حتى أن مصر ضغطت على سوريا لكي تقبل برفع الحظر، والملك فيصل نفسه سأل دول المواجهة هل أنها متأكدة من أن الوقت بات مناسباً لرفع الحظر، إذن انهمكنا في احصاء الغنائم واخلينا بالتوازن الاستراتيجي، ثم فرطنا بقيمة التحالف الذي حصل، ثم استمرت الاخطاء استمرار فك التحالف استمرار احصاء الغنائم استمرار حساب المكاسب الذاتية العودة إلى تحكيم المنطق الطبقي بدلاً عن المنطق القومي رغم أن اليساري وغير اليساري كان يحارب تحت العلم نفسه، والنفطي وغير النفطي كان يقاتل، أمة بأكملها كانت معبأة ثم حدث أن انقسمت إلى متشددين ومعتدلين دخلنا هذه اللعبة التي قادتنا إلى كامب ديفيد. بمعنى أن مصر لحظة خرجت لتوقع اتفاقية فك اشتباك وحدها ثم أخرجت السوفيات من المعادلة بتصور أن الاميركيين سيقدمون لها حلاً عادلاً وشاملاً، هذه بداية طريق قادت إلى كامب ديفيد، ما الذي كان عند مصر؟ نسأل أنفسنا هذا السؤال لنجد أن مصر كان عندها:

١ ـ التحالف العربي ووجودها داخل اطار عربي كبير.

٢ ـ كان عندها سلاحها.

وعندما حدث التفريط بهذين العاملين، بقي هناك سلاحان كانت اسرائيل تريد

ابطال مفعولهما وهما ورقة انهاء حالة الحرب والاعتراف بها، وورقة المقاطعة العربية ضدها ولحظة ذهب أنور السادات وحطت طائرته في القدس وقبل أن يهبط منها ويصافح مناحيم بيغن، كان في الواقع يسلم بهاتين الورقتين، من تلك اللحظة انتهى كل شيء وكامب ديفيد جاءت نتيجة طبيعية لهذه السلسلة ثم توالت الانهيارات في العالم العربي لأن الذي حدث هو أن البناء الكبير وقع فبدأت الاطراف تعاني من آثار الانهيار لبنان مثلاً انهار لأن البناء الكبير الذي كان يحميه وقع، ثم ان سوريا أرادت ان تؤمن نفسها لأنها وجدت أنها بعد كامب ديفيد في وضع استراتيجي غير مقبول، فكان طبيعياً أن تسعى لتأمين سلامتها في لبنان حيث يمكن أن تطال فصارت لبنان أرض مواجهة، العراق أحس أنه مهدد بما كان يجري في ايران فنشبت الحرب العراقية ـ الايرانية، المغرب العربي زادت فيه حدة الصراع والانقسامات الخليج الذي يبني عمارات وطرقاً من دون بشر بدأ أيضاً يحس بالخطر وحصل في السودان ما حصل النتيجة التي انتهينا إليها أننا بدأنا نعد الغنائم ونحن منتصرون فانتهينا مهزومين والشيء الخطر جداً الذي افرزه تسلسل الانهيار العربي هو أن كل نظام بدأ يتصرف وكأن أمنه معزول عن أمن الامة وهذا مستحيل.

● **ألا ترى أن الصورة تغيرت الآن؟**

■ هيكل: الصورة لم تتغير كثيراً.. بمعنى أنك عندما تقدم على اتخاذ موقف معين ثم تترتب على هذا الموقف آثاره فإنك لا تستطيع الغاء هذه الاثار ببساطة، أن تأخذ اليوم قراراً يجعلك في وضع معين ثم تتخذ في اليوم التالي قراراً مختلفاً يضعك في موقف مختلف مع تطور الظروف نحن الآن أمام وضع مختلف عن الذي كان قائماً سنة ١٩٧٤، لأن مصر ذهبت إلى مدى في الشوط لم تكن تريده اطراف عربية أخرى بمعنى أن هذه الاطراف لم تكن تتصور أن السادات سيذهب إلى القدس المحتلة لكن الذي حصل حصل، وكانت النتيجة أننا صرنا أمام وضع أصبحت مصر فيه خارج المعادلة العربية بالكامل، وأصبحت هناك موجة معادية لعروبة مصر داخل مصر نفسها وفي الناحية الثانية كان هنالك كلام لا يمس أنور السادات كشخص ولكنه كان يمس مصر نفسها، إذن مع استمرار هذه التطورات دخلنا في حركية جديدة مختلفة تجعل آثار ما جرى ما تزال موجودة فمصر ما تزال تواجه موقفاً

صعباً وليست قادرة على اتخاذ قرار على الرغم من حسن نيات الرئيس حسني مبارك ورغبته الصادقة في اعادة مصر إلى مكانتها ودورها العربيين لكن هذه العودة إلى العرب لها تكاليفها ولها حساباتها وهو في الوقت نفسه غير قادر على أن يكون في الخطونقيضه أن يكون في القدس المحتلة وفي الجامعة العربية في الوقت نفسه. . مسألة صعبة جداً هناك حقائق موجودة تقيده والآخرون مقيدون بها أيضاً من آثار ما جرى أيضاً أننا في السنوات العشر الاخيرة أهدرنا كمية من الطاقات العربية في غير موضعها الصحيح تعال ننظر إلى العالم العربي اليوم: مصر ووضعها واضح لبنان وكلنا نرى ما هو فيه الارض المحتلة أهلها في وضع صعب لأنهم حاولوا وكانت عندهم آمال يوم كان الواقع العربي في حالة نهوض، لكن أمام حالة الانهيار العربي تواضعت أحلامهم وآمالهم ولولا الذي حصل في جنوب لبنان لكنا كعرب مكشوفين بل وعراة تماماً من الناحية المعنوية العراق مشغول بالحرب التي يشعر أنه يدفع من خلالها عن وجوده المهدد سوريا مشدودة إلى ما يحدث في لبنان من جهة وإلى نيات اسرائيل تجاهها من جهة ثانية، دول الخليج كونت لنفسها منظمة مجلس التعاون لتهتم بمصالحها السودان حصل فيه ما حصل الجزائر بعيدة ووحدها، تونس مثل جزيرة في البحر، هذا كله نتيجة طبيعية لما حصل.

● عودة إلى إشارتك إلى الأرض المحتلة وأن أهلها في موقف صعب، وهو ما يعيدني إلى مناقشة رأيك في أن ما حدث سنة ١٩٧٣ قد ألغي ما حصل سنة ١٩٦٧. ما أريد أن أشير إليه هو أن الأهل في الأرض المحتلة يعانون احتلالاً استيطانياً بدأ سنة ١٩٦٧ ولم ينته حتى الآن، بل أنهم يستشعرون خطورة الاستيطان والتهويد أكثر منا نحن الموجودين في الخارج، فكيف نقول لهم انسوا ما حصل سنة ١٩٦٧ وهم ما يزالون تحت معاناة آثاره؟

■ هيكل: أليس غريباً أن الاستيطان وابتلاع الضفة الغربية وغزة لم يبدأ إلا بعد سنة ١٩٧٥. ما أريد أن أقوله هو أن هناك أرضاً محتلة، لكن طالما أن هنالك إرادة فاعلة ومؤثرة في أي بلد عربي أو مجموعة بلاد عربية قادرة، يبقى الكفاح مستمراً، أما الذي يدفع الرازحين تحت الاحتلال إلى الاحساس باليأس، وأن ضوءاً ما

ينطفىء كل يوم هو أن أضواء الأمل تطفأ فعلاً، ما نحن غير قادرين على فهمه أحياناً، ونخطىء فيه كثيراً أن ما يطمئن الرازحين تحت الاحتلال في أية ظروف يعيشونها هو أن يعلموا أن هناك شعلة للحرية في مكان ما، وأن هناك كفاحاً وعملاً وحشداً وجهداً مستمراً في اتجاه تحقيق الهدف القومي. إذن القضية هي قضية غياب الارادة وليست احتلال الأرض، الناس في الأرض المحتلة أحبطوا بعدما رأوا ارادة الكفاح تنطفىء في بلد عربي بعد آخر، أيام حرب الاستنزاف على سبيل المثال كانت معنويات أهل الأرض المحتلة في القمة، كان عندهم احساس أن هنالك بقية في العالم العربي تتحرك بدأ التجاسر على تهويد الأرض وتغيير هويتها عندما اطمأن الكل أنه لم تعد هنالك ارادة قتال، عندما ضاع التحالف العربي الكبير، وبدأت الانهيارات تتوالى.

● **هل تعتقد أن الرئيس (الراحل) أنور السادات عندما ذهب إلى القدس المحتلة، ومضى في الطريق إلى نهايته بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد كان يفعل ذلك انسجاماً مع تكوينه السياسي الذي لم يفصح عنه طوال عهد جمال عبد الناصر؟**

■ هيكل: مشكلة أنور السادات، في تقديري، كانت الجهل بالتاريخ، كان رجلاً بعلم محدود وقدرات محدودة، ربما كان خبيثاً أو ذكياً إلى حد ما، لكن فهمه الاستراتيجي للحرب كان قاصراً. أما أن ما حدث كان نتيجة بنية سياسية نشأ عليها فهذه مسألة لا أدعي علماً بها، لكنني أدعي أنه لم يفعل ما فعله لوحده... لم يكن يستطيع. أخشى أن أقول أن أنصار الحل الأميركي هم الذين زينوا للسادات الطريق الذي سار عليه، هؤلاء هم الذين ضغطوا لطرد السوفيات من مصر على أساس أن لديهم تطمينات من الولايات المتحدة بأن المشكلة ليست في اسرائيل بل هي في الوجود السوفياتي في المنطقة، وأنه إذا خرج السوفيات من مصر ستخرج اسرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها، وهو من جهته، أي السادات، سواء بتصورات قائمة على جهل، أو بغواية آخرين فإنه سار في الحل، وربما أنه فاجأ الأطراف الضاغطة عليه بتوقيت قرار طرد الخبراء السوفيات من مصر، ومع ذلك السوفيات واصلوا تزويد مصر بالسلاح لأنهم لم يشأوا أن يقال أن مصر لا تحارب لأن

السوفيات حجبوا عنها السلاح. إذن القول بأن السادات في الأصل تكوينه السياسي ونزوعه إلى الاتجاه الأميركي والحياة على الطريقة الأميركية كان متأصلاً عنده فردي على ذلك هو أن هنالك مناخاً معيناً هو الذي أيقظ فيه ذلك كله. أنا لا أدافع عنه فالرجل مات وأنا في سجونه، لكن أنا ضد القاء اللوم والمسؤولية عليه وحده، ليس صحيحاً أن أنور السادات فعل ما فعل لوحده، الصحيح أن السادات فعل ما فعل بالاشتراك مع آخرين، لأن الذي حصل إنما حصل في مناخ معين سهل حصول ما حصل.

● **ننتقل إلى نقطة أخرى في السياق نفسه، لو افترضنا أنك أحد الذين يشاركون في صنع القرار الفلسطيني، ما هو القرار الذي ترى أن هنالك ضرورة لاتخاذه إزاء ما يجري الحديث عنه هذه الأيام لجهة التسوية والمفاوضات و. . .**

■ هيكل: هنالك قرار رئيسي لا بد من اتخاذه على المستوى الفلسطيني، وهو قرار توحيد أداة النضال، واعادة تنظيم الثورة الفلسطينية. أما ما يقال عن مؤتمر دولي ومفاوضات، وأن أميركا ستعطي شيئاً ما فهو متوهم، أقول هذا الكلام وأنا كنت في أميركا قبل ثلاثة أشهر وذاهب إليها بعد غد. . . كل ما يقال عن قرب التوصل إلى تسوية أميركية، عن احتمال عقد مؤتمر دولي، ليس صحيحاً بالمرة. الصورة العربية أمام الآخرين هي أن هنالك ضعفاً عربياً عاماً حتى في البؤرة الحية وهي الثورة الفلسطينية، وحتى عندما يتفق الملك حسين وياسر عرفات فإن ذلك لا يعني الكثير وأخشى أن أسمي اتفاقهما اتفاق يأس وليس اتفاق أمل لأن جميع الطرق تبدو مسدودة ولم يبق سوى هذا الملجأ الأخير، وفي السياسة فإن الملاذ الأخير ليس ملاذاً وإنما هو الاستسلام. . . أنا أفهم أن الملجأ الأخير عسكري، أما في السياسة فالملجأ الأخير استسلام!! من هنا، وعودة إلى سؤالك، فإن الأولوية الأولى فلسطينياً الآن هي توحيد المقاومة الفلسطينية، أنا مدرك أن ياسر عرفات وقيادة «فتح» لن يستسلموا ولن يقبلوا بأقل من الأهداف المرحلية للنضال الفلسطيني، ولكن رداً على سؤالك أقول أن الأولوية الأولى هي لتوحيد صفوف المقاومة وليس لأي شيء آخر. ثم أن **الأولوية الثانية في تقديري أمام القيادة الفلسطينية هي في**

إيجاد صلة بين الثورة الفلسطينية وبين مصر الشعب وليس بالضرورة مصر النظام، لأن مصر هي في صراع مع اسرائيل غصباً عن الجميع وبصرف النظر عن القضية الفلسطينية. . بمعنى أنه حتى لو لم تكن هناك قضية فلسطينية فإن مصر، في اعتقادي، ستدخل في صراع مع اسرائيل يصل إلى حد الحرب، وأنا لا يعنيني أنه مضت حتى الآن عشر سنوات من دون حرب، أنا يعنيني التاريخ، مصر تقع جغرافياً في افريقيا لكن حركتها السياسية عبر التاريخ كانت في آسيا وفي العالم العربي، فإذا ما جاء كيان ليقطع عليها الطريق ويفصلها عن بقية الجسم العربي فإن هذا أمر مرفوض وستحارب به مصر اليوم أو غداً أو بعد كذا سنة.

● **كيف تنفذ القيادة الفلسطينية مسألة التوحيد. . .**

■ هيكل: هذه ليست مشكلتي. . .

● **لكن أنت تطالب باتخاذ قرار بتوحيد الثورة، وفي واقع الحال إن شتات الثورة هي في بعض جوانبه انعكاس لتداخلات عربية، وفي جوانب أخرى أن أبواب العمل العسكري مغلقة، والعمل السياسي ليس متفقاً عليه ولا حوله، فكيف يحدث التوحيد إذن؟**

■ هيكل: كل قرار استراتيجي يبدأ بالسؤال عن ما هي ضروراته. ياسر عرفات يختلف مع فلان أو علان، يتفق مع حافظ الأسد أو يختلف معه، يلتقي مع الملك حسين أو لا يلتقي، ليس هذا هو الموضوع، أنا أقول أنه في هذه المرحلة هنالك أولوية أولى لتوحيد الثورة الفلسطينية وإعادت ترتيبها، ثم أعطي الأولوية الثانية لمصر وإمكانية استعادتها، ليس باشتراط الخروج من كامب ديفيد وإنما بالتوأمة القائمة بين مصر وفلسطين، أي بالحضور الفلسطيني في مصر والاهتمام المصري بفلسطين. هذه أولويات في اعتقادي تسبق أي شيء آخر. وما أريد أن أضيفه هنا هو أن الطريق الذي تصوره بعض الأطراف سالكاً أمام التسوية هو طريق معبد بالصخور والأشواك، سواء انعقد مؤتمر دولي أو لم ينعقد، لن يعود شيء لسبب بسيط جداً وهو أنه ليست هنالك إرادات وراء أي هدف، ولو كانت هنالك إرادات فهي منهكة ومستنزفة، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً، أي أن المدفوعين إلى الباب

الأخير لا يستطيعون أن يطالبوا بأي شيء سوى أن يفتح لهم الباب ويطلب منهم الجلوس على مقاعد معينة.. بس مش أكثر من كدة!! بمعنى آخر أن القيادة الفلسطينية مطالبة بتجميع القدر الأكبر من القوى الفلسطينية وتحاول أن توحد فيما بينها وتطرح لنفسها أسلوب عمل جديداً متناسباً مع الظروف المتغيرة.

● **وهل يمكن أن يحدث هذا من دون تصحيح العلاقة مع سوريا، أي أن الحضور الفلسطيني في سوريا من شأنه أن يساعد على تحقيق نوع من الوحدة ثم البحث في تطوير أسلوب الكفاح المسلح؟**

■ هيكل: لنتكلم بصراحة، أظن أن الذين ضربوا «المارينز» في بيروت لم يكن لهم حضور عسكري في سوريا، نحن نتكلم دائماً عن أسلوب عمل واحد، أنا لا أعرف كيف سيحل الخلاف بين حافظ الأسد وياسر عرفات، لكن أعرف أن هنالك ضرورة استراتيجية واحدة وهي ضرورة توحيد أكبر كم ممكن من القوى الفلسطينية، توحيد فكرها واختيار أساليب للنضال السياسي والعسكري تلائم ظروفها حتى لو لم تكن هناك سوريا. يبقى أنه من المهم أن تكون هناك علاقة صحيحة بين سوريا والمقاومة، هذا صحيح، لكن كيف يتحقق، لست أدري!! لكن ما أدريه وأدركه أن هنالك قضايا قومية فوق الأشخاص، ومن هم في مواقع المسؤولية القيادية لا ينظرون إلى كبريائهم الذاتي إلا من خلال كبرياء قضاياهم القومية، هناك قضايا لا يحكم فيها ما يجري لشخص أو لأشخاص أبداً، أعرف أن أي قيادي مفوض من شعب أو من أمة عليه أن يسقط من حساباته كل شيء إلا مصلحة وتحقيق هدف الشعب أو الأمة. لذلك أكرر أن القيادة الفلسطينية مطالبة اليوم بأكبر قدر من الوحدة، بأكبر قدر من نشاطها الذاتي المعتمد على فكرة سياسية معينة وعلى عمل مؤثر. ليس هنالك طريق أو بديل آخر أمامها.

● **على ذكر مسؤوليات القائد تجاه مشاعره الشخصية، هل في تقديرك أن ياسر عرفات بعدما قاد معركة الصمود في بيروت سنة ١٩٨٢ أخطأ بخروجه من بيروت إلى اليونان وليس إلى سوريا؟**

■ هيكل: أيوه... نعم أعتقد أنه كان يجب أن يذهب إلى سوريا مهما كانت

جراحه، وأنا أعرف أن جراحه كانت كبيرة، يمكن أستطيع أن أزعم أنني أعرف ياسر عرفات أكثر من أي شخص آخر خارج دائرة رفاقه، أعرفه وأحبه وأحترمه وأقدر دوره في تجسيد الدور الفلسطيني ولا أتصور إمكانية استبداله بأحد آخر لأن كمية الاستثمار التي بات يمثلها الرجل، بصرف النظر عن مزاياه أو عيوبه، غير قابلة للالغاء، مع ذلك أقول أنه كان يجب أن يذهب إلى سوريا، وأقول ذلك مع تسليمي بدرجة الاستفزاز التي ربما تكون واجهته من قبل سوريا، لكن خروجه إلى اليونان كان إشارة خاطئة حتى أمام العالم الخارجي أمام المجتمع الدولي، صحيح أنه كان محبطاً من العرب كلهم، لكن كان يجب أن يكون محبطاً من نفسه أيضاً، هنا لا نملك أن نجلس ونضع اللوم على ياسر عرفات وحده، أو على حافظ الأسد وياسر عرفات، كلنا مسؤولون عما حصل، لكن مع الأسف نحن نلجأ دائماً إلى الأسلوب الأسهل، أن نبحث عن شخص واحد، فاعل واحد نحمله المسؤولية ونستريح!!

● عودة إلى القرار الفلسطيني في هذه الظروف، ألا ترى أن هنالك ضرورة أن تتعامل القيادة الفلسطينية مع طروحات التسوية... مثل الاعتراف بالقرار ٢٤٢، الاعتراف المتبادل مع اسرائيل، المؤتمر الدولي، إلى غير ذلك، أم أنك ترى أن المنظمة يجب ألا تنتظر شيئاً من هذا كله ومن الولايات المتحدة على وجه التحديد؟

■ هيكل: الذي تستطيع أن تنتظره منظمة التحرير الفلسطينية من الولايات المتحدة هو قرار واحد فقط. قرار بحلها، أما ما يقال عن الاعتراف بالقرار ٢٤٢ كشرط لجلوس أميركا مع المنظمة، وما يقال عن المؤتمر الدولي، والاعتراف المتبادل، كل هذا كلام يشبه إلى حد ما ملء الفراغ في الروايات والمسرحيات، بمعنى أنه عندما يكون هنالك عجز عن العمل تظهر إلى السطح مثل هذه الطروحات. باختصار يمكن القول إما أن الانسان فاعل وقادر وإما أنه غير فاعل وغير قادر، وفي فترات ما بين القدرة على الفعل وما بين العجز يحدث أن المسرح يجب أن يملأ بما يشغل الفراغ. الحقيقة التي لا جدال حولها هي أن هذه الأرض لا تتسع

لوجودين، فهي إما للاسرائيليين أو أنها للفلسطينيين، وهذا ضارب في عمق التاريخ، هو ليس واقعاً نشأ اليوم أو في الأمس، بل هو خلاصة المأساة التي تقول أنه ليس هناك حل، أي حل يطمئن إليه الاسرائيليون هو الحل الذي يلغي الفلسطينيين؛ والعكس أيضاً صحيح، إذن نحن أمام مأزق تاريخي، لكن دعنا نقول أنه ليس من الضروري أن كل المآزق التاريخية تواجه مرة واحدة، إنما على الأقل يكون هنالك تبين للكل، وهنالك محاولة للتأثير في الجزء، وفي سياق التبين ومحاولة التأثير يجب أن نتذكر بعض الثوابت، على سبيل المثال أن اسرائيل لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية مهما قدمت المنظمة، ونحن إذا نظرنا إلى كل الصيغ العربية المطروحة سنجد أننا لن نرضى اسرائيل، أليس غريباً أننا نجهد أنفسنا في البحث عن صيغة ونحن في موقف متناقض مع شروط التفاوض، ولنسأل أنفسنا ما الذي يحدث عادة في المفاوضات؟ عندما تكون راغباً في شيء ولكن لديك العجز عن تحقيقه يحدث أنك تخفض من شروطك، نحن نجري إلى أميركا ونطلب منها أن تهتم وهي لا تهتم والذي يحدث هو أننا لا نرفع من شروطنا بل نخفض منها لأننا الطرف الراغب في الشيء والعاجز عن تحقيقه، هذا يؤدي بدوره إلى أنه في الجانب الاسرائيلي هنالك مزايدة على الأكثر، وفي جانبنا هنالك مناقصة نحو الأقل، وكل الأطراف الأخرى حريصة أن يستمر العرب في تنقيص شروطهم، وفي النهاية فإن ما ستقبله اسرائيل هو الذي يلغي وجودنا.

● وماذا عن لبنان... هل تعتقد أنه ما تزال هنالك فرصة أن يتعافى لبنان ويظل دولة واحدة؟

● هيكل: ببساطة أعتقد أن لبنان انتاج عربي، لبنان في هذه المنطقة كان يؤدي دوراً ما، هو ليس دولة جغرافيا، وليس دولة استراتيجية، وليس دولة موارد، لبنان دولة تقوم بدور معين ومشكلتها أن قواعد ممارسة هذا الدور اختلت فلم يعد أحد قادراً على أن يعرف ما الذي يفعله... تستطيع القول أن لبنان دولة موزاييك... زجاج ملون موضوع في كنيسة أو جامع لكن الجدار الذي كان يستند إليه انهار، فكيف تعيد تثبيته اذن؟ لا يمكن أن يعود لبنان إلى الوضع الذي كان عليه، إلا إذا

الوضع العربي كله جرت إعادة تركيب له، وأخشى أن أقول أنه حتى لو حصل هذا فإن لبنان السابق لن يعود لسبب بسيط وهو أن لبنان كان يمثل محطة مهمة، محطة مالية لعوائد النفط، محطة خدمات، وكان أرض لقاء بين الدول العربية، وبؤرة ثقافية، ومركز اشعاع، وكان وكان وكان، بكل الخصائص الذاتية كان للبنان دور، الآن وبغيابه طول هذه السنين والمصائب التي حصلت له وفيه فإن أصحاب المصالح في الخدمات التي كان يؤديها لبنان أصبحوا يعرفون الطريق إلى الخط الأمامي متجاوزين لبنان، صار كل العرب يعرفون زيورخ وبورصات لندن وغيره وغيره.

● **ألا تلاحظ أن تأثيرات ما جرى في لبنان امتدت إلى خارجه في المحيط العربي؟ أعني أن الفرز الطائفي مستمر في الاستشراء عربياً وأصبح التصنيف إلى شيعي وسني ومسلم ومسيحي يبدو كما لو أنه طبيعي؟ هل أن هذا التصنيف يثير فيك نوعاً من القلق؟**

■ هيكل: بالطبع يثير هذا الأمر القلق، لكن ما أريد أن أقوله هنا هو أن الفرز الطائفي يبدو نتاجاً طبيعياً لانهيار الحلم القومي، الغطاء العام ضاع، ملابسك ضاعت منك، الهوية كلها ضاعت. نحن أمام المشكلة الطائفية التي ظهرت بعدما انتهى البناء القومي الكبير الذي كان يشدنا جميعاً، المياه إذ توقفت ظهرت عفونتها، التيار القومي الذي كنا مشدودين إليه كان يمنع المشكلة الطائفية من الظهور على الرغم مما كان على سطحه من قش، لكنه كان حركة تكتسح أمامها كل الظواهر السلبية ومنها بل وفي المقدمة منها المشكلة الطائفية.

● **وكيف ترى الحرب بين العراق وايران وتأثير غياب العمل القومي العربي عليها؟**

■ هيكل: أرى العراق واقفاً، صامداً، والأمة العربية غير قادرة على مساعدته لا حرباً ولا سلماً، كنت أتمنى لو أن أشقاء العراق يساعدونه في إنجاز السلام، مع الأسف الشديد الأمم المتحدة من جانبها تحاول، منظمة المؤتمر الاسلامي من جانبها تحاول، منظمة دول عدم الانحياز من جانبها تحاول، والعرب عاجزون عن

عقد قمة عربية، ولو مصغرة، تكون مخصصة لبحث سبل ايقاف هذه الحرب وتحقيق السلام، هل هذا معقول؟

● **والحل؟ هل ترى لهذه الحرب؟**

■ هيكل: أخشى أن أقول أن هنالك أطرافاً كثيرة لا تريد لهذه الحرب أن تنتهي، ومن هذه الأطراف هناك أطراف عربية، أتدري أن زعيماً عربياً كنت أسأله عن جهد ما يمكن أن يبذله لوقف الحرب، فكان رده نصف بيت من الشعر يقول: «وربما تموت الأفاعي من سموم العقارب» (!!) هل تصدق هذا؟ لقد رويت هذا للرئيس صدام حسين ولم أذكر له اسم الزعيم العربي، لكنني قلت له أن أحداً منهم لن يقف معك، أقصد من الأطراف التي لا تريد عراقاً قومياً مستقراً، كما أنها لا تريد ثورة مستقرة في ايران بصرف النظر عن صحة انتمائها للاسلام أو عدم صحته. بعد ذلك الأسوأ من هذا كله أن تكون هناك أطراف عربية تدعم ايران بالسلاح، أنا أفهم أننا يجب أن نأخذ بالآية الكريمة «وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» أما أن تضرب ايران بغداد بصواريخ وصلتها من دولة عربية فهو ليس أمراً يدعو إلى الاستغراب فقط، بل هو شيء مشين وبشع.

فهرس السلسلة الثانية

نعتذر عن أدراج كل أسماء الكتب ، وليس كتب السلسلة الثانية فقط .

الكتـــاب	المـــؤلف
- خريف الغضب .	أ. محمد حسنين هيكل .
- أحاديث فى العاصفة .	أ. محمد حسنين هيكل .
- سنة ثالثة سجن .	أ. مصطفى أمين.
- الملك فاروق وألمانيا النازية.	أ. وجيه عتيق.
- أعجب الرحلات فى التاريخ	أ. أنيس منصور .
- مواقف .	أ. انيس منصور .
- القوة الخفيـــة .	أ. أنيس منصور .
- حول العالم فى ٢٠٠ يوم	أ. أنيس منصور .
- لعنة الفراعنة .	أ. أنيس منصور .
- الذين عادوا من السماء.	أ. أنيس منصور .
- الآمال الكبرى .	تشارلز ديكنز .
- ديفيد كوبر فيلد .	تشارلز ديكنز .
- ترنيمة عيد الميلاد.	تشارلز ديكنز .
- الرجل الخفى .	هـ. جـ. ويلز .
- المختار من القصص العالمية.	مكتبة الأسرة بمصر .
- فجر الضمير .	جيمس برستيد .
- رجل الساعة أو الجديد فى التطور الطبيعى ..	ريتشارد دوكنز .
- تاريخ موجز لزمن .	ستيفن هوكنج .
- اينشتين والنسبية .	أ. مصطفى محمود .

مختارات من الكتب

الكتاب	المختار

- (بحثآ عن عالم أفضل). للفيلسوف كارل بوبر \ .	ضد التبجح . رسالة لم تعد لنشر أصلا.
- (تاريخ حياة أحد اللصوص). أحسان عبد القدوس .	قصة أيام المظاهرات .
- (نوادر وطرائف من الصين العظيمة). ترجمة أبراهيم البشمى	بعض النوادر الجميلة التى وردت فيه .

للحصول على أى من الكتب السابقة ، بالرجاء زيارة هذا الموقع المؤقت :

www.geocities.com/theknowledge_walls

ولتواصل معنا :
Theknowledge_walls@yahoo.com